الإمامُ

أبو العزائم

المجدِّدُ الصُّوفي

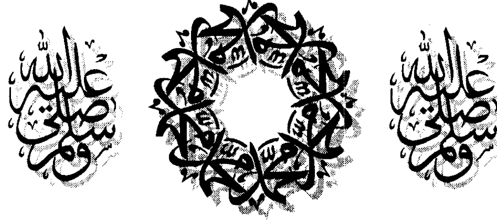
فوزي محمد أبو زيد

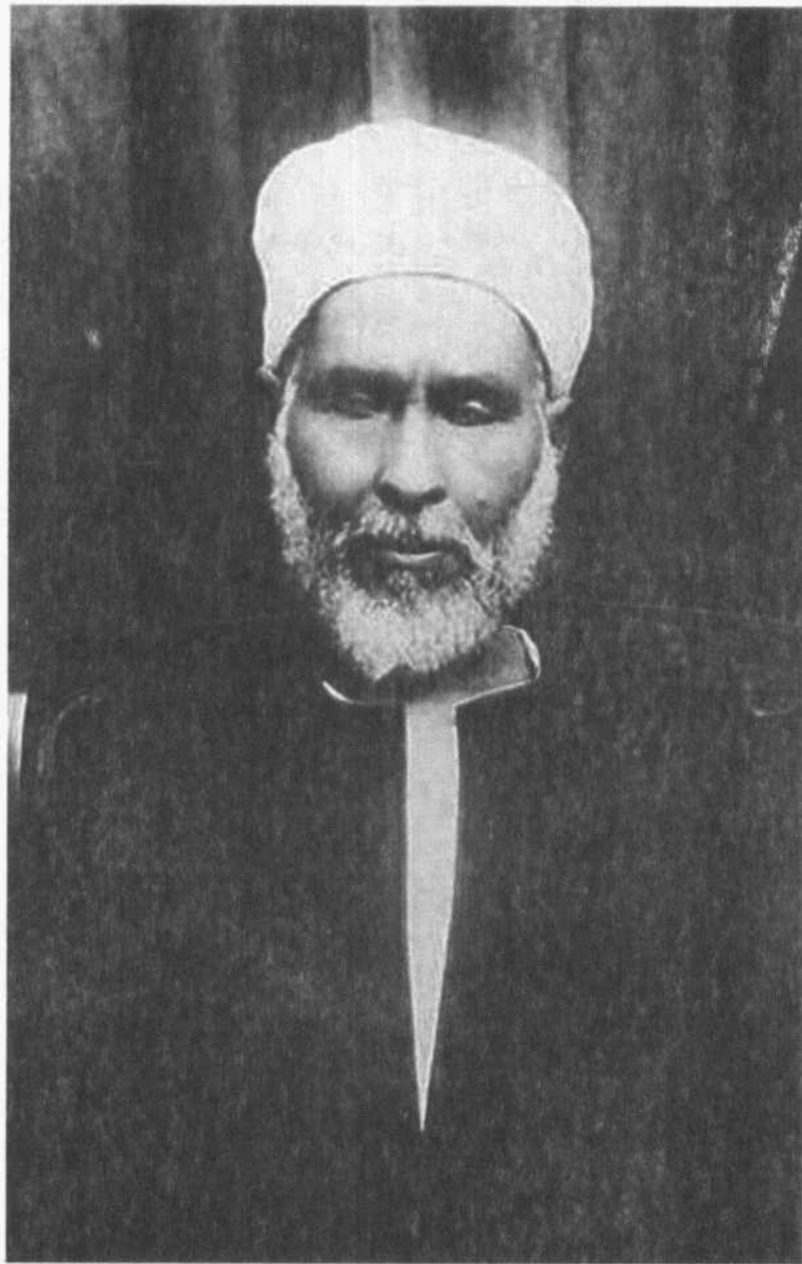
الطبعة الثانية (مَزيدَةٌ و مُنقَّحَة)

دار الإيمان والحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب	الإمام أبو العزائم المجدد الصوفي
المؤلف	الأستاذ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة الثانية	٢٣ يونيو ٢٠٠٩م الموافق غرة رجب ١٤٣٠هـ
الطبعة الأولى	١٩٩٢م، ١٤١٢هـ
عدد الصفحات	٢٠٨ صفحة
المقاس	١٧ سم * ٢٤ سم
الورق	٨٠ جم
الطباعة الداخلية	١ لون، أسود
الغلاف	كوشيه لميع، ٢٥٠ جرام
طباعة الغلاف	٤ لون، سلوفان لميع
إشراف	دار الإيمان والحياة - ١١٤ش ١٠٥ - المعادي - القاهرة - جمهورية مصر العربية، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠-٢-٢٠، فاكس ٢٥٢٦١٦١٨-٢-٢٠
طباعة	دار نوبار للطباعة
رقم إيداع محلي	٢٠٠٩/١١٤٣٠
الترقيم الدولي	ISBN: 977-17-7103-5





الإمام المجدِّد السيد محمد ماضي أبو العزائم رضي الله عنه

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على سابغ النعماء ... والشكر لله على جميع الآلاء ..

والصلاة والسلام على إمام الرسل والأنبياء سيدنا محمد وآله الأنقياء، وصحابته الأوفياء، وكل من تبعهم بخير إلى يوم العرض والجزاء، وبعد،

لما نفدت الطبعة الأولى من باكورة كتبنا *الإمام أبوالعزائم المجدد الصوفى* أشار كثير من الأحباب إلى رغبتهم فى إعادة طباعته؛ لما له من أهمية بالغة فى هذا العصر، حيث أن الإمام أبا العزائم ﷺ يعد من أبرز دعاة الوسطية الإسلامية فى عصرنا، لأنه ﷺ يرى أنه لا علاج لكل أمراض المجتمعات الإسلامية:

- إلا بنبذ الفُرقة وإزالة الشحناء والبغضاء من القلوب.
- وتنقية النفوس من الأثرة والأنانية وحب الدنيا.
- والإجتماع على شرع الله، وهدى رسول الله ﷺ ...

عملاً بالآية القرآنية الكريمة:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾(١٠٣ آل عمران)

ويرى ﷺ كذلك أنه لا سبيل إلى رقى مجتمعاتنا الإسلامية وازدهارها وتقدمها إلا بتربية الأفراد التربية الإسلامية الحقة التى يكون الفرد فيها ظاهره شريعة وباطنه حقيقة، ظاهره سنى وباطنه صوفى، ظاهره القيام بأحكام الشريعة الظاهرة والتزام بتعاليمها فى كل أموره من عبادات وأخلاق ومعاملات وسلوكيات، وباطنه مراقبة الله وخشيته، والخوف من مقامه، والرغبة فى رضائه، واستحضار أوصاف حضرته وعظمته وكبريائه، حتى يكون معالم فى أفق قلبه، يوجهه ويهديه إلى الحق وإلى الطريق المستقيم متاسياً بقوله عزَّ شأنه:

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾(التوبة).

فاستخرنا الله تعالى فى ذلك، وقمنا بمراجعة الكتاب فى نسخته الأصلية، وأدخلنا عليه بعض التعديلات من الحذف والإضافة وتغيير بعض الألفاظ والجمل والعبارات، وكذلك توضيح بعض المعانى، وذلك ليكون أكثر تلائماً مع العصر، مع مراعاة عدم الإخلال بالكتاب الأصلى من ناحية التبويب والترتيب والسياق.

كما قد حذفنا الملاحق[1] من مؤخرة الكتاب لعدم الحاجة إليها هنا حيث تمت طباعتها فى كتاب مستقل هو: *أوراد الأخيار*.

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ (هود)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الجميزة مساء الخميس

١٩ من جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ، ١٤ من مايو ٢٠٠٩ م

فوزي محمد أبوزيد

: الجميزة، محافظة الغربية، جمهورية مصر العربية
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩، ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠ :
WWW.fawzyabuzeid.com :
fawzy@fawzyabuzeid.com :
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com

[1] الملحق الأول الفتوحات العزمية فى الصلاة على خير البرية للإمام أبى العزائم ، والملحق الثانى ختم صلاة الصبح له رضى الله عنه وأرضاه.

مقدمة

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى ...

والصلاة والسلام على كنز حقيقة الاصطفا، ورمز الصفا والوفا، سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه ومن اقتفى، وبعد ...

كنا نتحدث مع بعض الإخوان الصادقين الذين تشبعت روحهم بمحبة الصالحين، وتدفعهم دفعاً حثيثاً إلى الإقتداء بهم، ومتابعة هديهم، ومحاولة السير على منهاجهم، فتطرق الحديث إلى مولانا الإمام أبي العزائم ﷺ وأرضاه، فطلب مني جلُّهم معرفة شئ ما عن حياة الإمام أبي العزائم وجهاده ﷺ في ذات الله.

ولما تدبرت في هذا الأمر، وجدت أنه ليس هناك كتاب يشمل النواحي الروحية والتربية الصوفية عنده، بل والأحوال التي يتمتع بها الصوفية، وخاصة المتابعين منهم للإمام أبي العزائم ﷺ، إذ الكتب التي ظهرت حتى وقتنا هذا، وتتعلق بشخصه الكريم رضى الله عنه وأرضاه هي:

كتاب **الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين** لفضيلة الشيخ محمد علي سلامة، وهو كتاب فاق الجودة، من ناحية الأسلوب والصياغة والمعاني، ولكنه يخاطب الخاصة من تلاميذ الإمام ﷺ، لأنه يصف أحواله القلبية، ومقاماته الوهبية.

والكتاب الآخر: هو كتاب **أبو العزائم - حياته - جهاده - آثاره** للأستاذ/ عبد المنعم شقرف المحامي، وهو كتاب جيد، ولكنه يركز على جهاد الإمام أبي العزائم السياسي في مواجهة الإنجليز، وفي تعضيد الثورات التي يقوم بها المسلمون في كل بقاع الأرض، ودوره العظيم، في إحياء الخلافة الإسلامية.

ولذا، وجدت لزاماً علي نحو الإمام أبي العزائم ﷺ، وواجباً علي نحو إخواني آل العزائم خاصة، والمسلمين أجمعين أن أوضح الدور العظيم الذي قام به ﷺ في تجديد أحوال الصوفية، وبيان ما أندرس من أخلاقهم وسلوكهم، ومقاماتهم، والدور

الكبير الذي قام به ﷺ في سبيل نشر هذه المبادئ السامية، والأحوال الراقية، بين ربوع الأمم الإسلامية، متعرضاً قدر الإستطاعة لشئ من حياته الخاصة في بيته، وحياته العامة مع أخوانه والمسلمين، وأرجو بذلك أن أوفّي بعضاً ما عليَّ من واجبات نحو إمامي ومرشدي ﷺ.

هذا وقد استلهمت روح سيدي ومرشدي الإمام أبي العزائم ﷺ، فأحسست كأنه ﷺ يملي علي في أذني، هذه العبارات، وتلكم الكلمات، وذلك ما دفعني إلى المبادرة إلى هذا العمل، الذي أسأل الله ﷻ أن يجعله شفيعاً لي يوم العرض عليه ..

فما كان فيه من صواب وتوفيق، فبفضل الله أولاً، وببركة الإمام أبي العزائم ﷺ، وإمداده، وإلهامه لذاتي ثانياً، وما كان فيه من سهو أو تقصير، فإنما يرجع إلى عجلتي، وغفلتي وزللي.

والله أسأل أن ينفع به كل من قرأه، أو شارك في طبعه أو نشره، وأن يجازي عنا الإمام أبي العزائم خير الجزاء بمغفرة ورضوان وخير في الدنيا والآخرة.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾

[البقرة].

كتبه

فوزي محمد أبو زيد

دار الصفا، الجميزة - غربية

السبت ١٦ من جماد الأولى ١٤١٢هـ، الموافق ٢٣ من نوفمبر سنة ١٩٩١م

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾

(٣٢ فاطر)

إِنَّ الرِّجَالَ كُنُوزٌ لَيْسَ يَدْرِيهَا
إِلا مُرَادٌ تَحَلَّى مِنْ مَعَانِيهَا
فِى الأَرْضِ أَجْسَامُهُمْ وَالْعَرْشُ مَقْعَدُهُمْ
قُلُوبُهُمْ صَفَتْ وَاللهُ هَادِيهَا
هُمُ الشُّمُوسُ لِشَرْعِ الْمُصْطَفَى وَهُمُ
سَفِينَةُ الْوَصْلِ بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا

أبو العزائم ﷺ

الفصل الأول

نسبه وأسرته

- نسبه
- أسرته وكنيته
- جده الأعلى

أبو العزائم ماضي بن سلطان

الفصل الأول : نسبه وأسرته

نسبه

ينتسب ﷺ إلى العترة الطاهرة من آل البيت الكرام، فهو ﷺ :

- حسيني من جهة والده.
- وحسني من جهة أمه.
- ونسبه كما هو مثبت في كتبه ﷺ هو السيد محمد ماضي أبو العزائم:

بن السيد/ عبد الله المحجوب:

بن السيد أحمد، بن السيد مصطفى، بن السيد إبراهيم، بن السيد صالح، بن السيد ماضي، بن السيد درويش، بن السيد محمد، بن السيد علي، بن السيد محمد، بن السيد إبراهيم، بن السيد رمضان، بن السيد أحمد، بن السيد عبد الحميد، بن السيد محمد، بن السيد علي، بن السيد حسن، بن السيد زيد، بن السيد حسن، بن السيد علي الطويل، بن السيد محمد، بن السيد إبراهيم، بن السيد محمد، بن السيد عبد الله العوكلاني، بن السيد أبو الحسن موسى الكاظم، بن السيد جعفر الصادق، بن السيد محمد الباقر، بن السيد علي زين العابدين، بن سيدنا الحسين، بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هذا من جهة أبيه رضى الله تعالى عنه [٢]

أما نسبه ﷺ من جهة أمه فهي:

[٢] نيل االخيرات ص ١٠٩ الطبعة الحادية عشرة ((الإمام محمد ماضي أبي العزائم)).

السيدة آمنة المهدية:

ابنة السيد أحمد العربي الفرجاني، بن السيد علـــي، بـــن السيد سليمان، بن السيد مصطفى، بن السيد زين الدين، بن السيد محمد درويش، بن السيد حسام الدين، بن الـــسيد ولي الدين، بن السيد زين الدين، بن السيد شرف الدين، بن السيد شمس الدين، بن السيد محمد الهتاكي، بن السيد عبد العزيـــز، بن السيد عبد القادر الجيلاني، بن أبي صالح موســـى جنكـــي دست، بن السيد عبد الله الجيلي، بن السيد يحي الزاهد، بـــن السيد محمد، بن السيد داود، بن السيد عبد الله، بن الـــسيد موسى الجون، بن السيد عبد الله المحض، بن الـــسيد حـــسن المثنى، بن سيدنا الإمام الحسن[3]، بن الإمام علي بن أبي طالـــب ﷺ وكرم الله وجهه ....

أسرته وكنيته

ونلاحظ هنا أن اسمه ﷺ محمد بن عبد الله المحجوب.

أما ماضي وأبو العزائم، فهما كنيتان تكنى بهما في حياته.

- وترجع الكنية الأولى (ماضى) :

إلى الأمير ماضي بن مقرب من بني هلال:

وهي القبيلة العربية المشهورة، التي كانت تسكن في بلاد الحجاز حتى تمكـــن الفاطميون من إنشاء الدولة الفاطمية، وجعلوا مصراً مقراً لحكمهـــم، وكـــان مـــن سياستهم، جلب كل من ينتسب إلى السيدة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنـــها إلى دولتهم، لإكرامهم وتعويضهم عما شعروا به من ظلم واضطهاد تحت حكم الأمويين

---

[3] نيل الخيرات ص ١١٠ المرجع السابق.

والعباسيين، فأرسلوا إلى بني هلال، واستقدموهم إلى مصر.

وتحكي الروايات التاريخية، أن عددهم كان يزيد على الأربعمائة ألف، ونظراً لكثرتهم العددية، وجهوهم إلى جنوب البلاد، وأسكنوهم في بلاد الصعيد.

ثم حدثت بعض الثورات على الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، فما كان منهم إلا أن طلبوا من إخوانهم من بني هلال، أن يهبوا لنجدتهم، والقضاء على هذه الثورات، خاصة وأنهم كانوا مشهورين بالفروسية والبطولة والفداء والتضحية.

فوافق البعض وذهبوا إلى بلاد المغرب واستطاعوا القضاء على هذه الثورات، وأشهرها القضاء على الدولة الزناتية، التي كانت تسيطر على تونس وجزء كبير من الجزائر، واستقروا هناك في أماكن متفرقة.

فذهب الأمير ماضي بن مقرب إلى منطقة الأغواط، الواقعة على الحدود الآن بين الجزائر والمغرب، وأسس عين ماضي واستقر بها هو وذريته.

بينما انتشر الجزء الذي تبقى في مصر في محافظات سوهاج وقنا وأسوان، وهم ما يسمون بالأشراف الآن.

- أما الكنية الثانية: (أبو العزائم):

فترجع إلى جده الأعلى (ماضي بن سلطان):

والذي كان له الباع الطويل في خدمة ومصاحبة سيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ، وهو الذي كنّاه بهذه الكنية نظراً لما لمسه فيه من جد واجتهاد واخلاص في طاعة الله ﷻ، ومن عزيمة شديدة في العمل على نشر محاسن طريقته ﷺ.

ونظراً لأهمية دوره في حياة الإمام أبي العزائم ﷺ واعتباره له مثلاً أعلى في حياته الصوفية، نذكر على سبيل التبرك، قبساً من سيرته ﷺ:

• جده الأعلى أبو العزائم ماضي بن سلطان

تعرف على سيدي أبي الحسن الشاذلي في أوائل ظهور دعوته في بلاد المغرب العربي، وذلك أثناء سياحاته الروحية وتجواله في هذه البلاد، ناشراً لهديه، بعد أن أمر بذلك، وسمع النداء ((يا علي انزل اهدِ الناس إلينا)).

وقد كان ذلك الوقت يقيم في جبل بالقرب من ((شاذلة)) بتونس الآن، فاستجاب للنداء، ونزل تنفيذ لأمر الله، فتجمع عليه خلائق لا يحصون، كان من بينهم الشيخ ((ماضي بن سلطان))، وتفرس فيه الشيخ علو الهمة، وصدق الإرادة، فأختاره خادماً ذاتياً له، يطلعه على شئونه الخاصة، ويوكل إليه جلائل الأعمال.

ومنذ ذلك الوقت، لزم الشيخ ماضي أستاذه أبي الحسن الشاذلي، حتى رحل معه إلى الإسكندرية، عندما جاء إليها، ولم يبرح عنه حتى انتقل إلى جوار ربه، وكان يلازمه في كل أسفاره، وخاصة سياحاته في البلاد، ورحلاته لأداء فريضة الحج.

ولذا يعول عليه كتَّاب التراجم والسير، لصدق روايته، عندما يكتبون عن سيدي أبي الحسن الشاذلي ﷺ ولقد كان له ﷺ وقائع كثيرة مع شيخه، تدل على علو همته، وصفاء سريرته، وصدق إرادته، وتبين المنهج العظيم الذي أتبعه الإمام أبو الحسن الشاذلي في تربيته لمريديه، والذي اختاره الإمام أبو العزائم ﷺ نهجاً قويماً، لتربية أبنائه ومحبيه، كما سنذكر فيما بعد.

ومن ذلك على سبيل المثال، هذه الوقائع التي يذكرها ابن الصباغ في *الأسرار* وينقلها عنه ابن عياد في *المفاخر العلية في المآثر الشاذلية* وتتد كتب الطبقات وتراجم الشاذلية إلى يومنا هذا:

● قال بن الصباغ ((حدثني الشيخ الصالح أبو العزائم ماضي ﷺ قال:
تحدث الشيخ ﷺ في حقيقة الشيخ مع أصحابه فقال:

((أن تكون يده عليهم يحفظهم حيثما كانوا)) قال: فاعترضت على ذلك في نفسي وقلت: لا يكون ذلك إلا لله ﷻ. فلما أصبحت أخذتني ضيقة شديدة في نفسي، فخرجت لخارج الإسكندرية، وجلست على ساحل البحر اليوم كله، فلما صليت العصر، زيقت، يعني أدخلت رأسي في طوقي، وإذا بيد تحركني، فظننت أنه بعض الفقراء يمازحني.

قال: فأخرجت رأسي من طوقي، وإذا بها امرأة حسناء عليها لباس حسن، وحلي، فقلت لها: ما تريدين؟

قالت: أنت. فقلت: أعوذ بالله منك. فقالت: والله مالي عنك براح؛ فدافعتها عن نفس، فأخذتني فى حضنها، ولعبت بي كما يلعب الطفل بالعصفور وما ملكت من نفس شيئاً، ورمتنى بين فخذيها، فحنت نفسي إليها، وإذا بيد أخذتني من أطواقي، وإذا أنا بالشيخ يقول لي: يا ماضي، ما هذا الذى تقع فيه..؟ ورمانى عنها، فظننت أن الشيخ أحتاز بذلك المكان، فرفعت رأسي، فما وجدت الشيخ ولا المرأة ..

فتعجبت من ذلك، وعلمت أني أصبت باعتراضي عليه. فاستغفرت الله، وصليت المغرب، وآتيت إلى الباب الأخضر، وقد غلقت أبواب البلد كلها، فلما دنوت منه .. انفتح لي ودخلت المدينه ثم أغلق، وهذا الباب، لا يفتح إلا بعد صلاة الجمعة، يخرج منه الأمير والناس إلى الساحل، ثم يغلق إلى الجمعة الأخرى، قال: وأتيت القلعة، ودخلت بيتى مختفياًعن الفقراء.

فلما صلى الشيخ العشاء الآخرة، صرف الناس، وكان في كل ليلة، يعمل ميعاداً يأتي إليه الناس من البلدان، يستمعون كلامه. قال: ثم دخل الخلوة وقال: أين ماضى..؟ قالوا: مارأيناه اليوم، قال: أطلبوه فى بيته، فأتوا إلي، فقلت لهم: إنني مريض، وكان كذلك، فإني ما أتيت إلا بحال عظيم، فقال: احملوه بينكم، قال: فحملونى إليه، وأدخلونى عليه، وأمرهم بالإنصراف !!

فجلست بين يديه وأنا أبكي، فقال لى: يا ماضي. لما قلت بالأمس كذا وكذا، فاعترضت أنت علي، أين كانت يدي اليوم منك لما أردت أن تقع في المعصية؟ .. من لم يمكن من ذلك فليس بشيخ....[٤]

● قال ابن الصباغ: وحدثنا أيضا قال:

كنا بدمنهور الوحش، فلما صلينا العصر، أعطانى كتاباً للشيخ الفقيه فخر الدين الفتزي بالإسكندرية، برسم حاجة عرضت له، فقلت له: يا سيدى إذا كان غداً إن شاء الله، أى أسافر غداً – وهذا الموضع مسيرة يوم للفارس – فقال لى: الساعة تسافر وتعود إلى بالجواب إن شاء الله تعالى.

قال: فتقلدت نمشة [٥]كانت عندى، وخرجت متوجهاً، فوصلت إلى الإسكندرية في أقرب وقت، وأعطيت الكتاب للشيخ ورجعت إليه قبل اصفرار الشمس. وكنت مررت بجبال الحاجر في طريقي، فأسمع بها دوياً وحس المشي، فأظن أنهم اللصوص يعترضونني في طرف النهار، فأرسل النمشة وأبقى منتظراً، قال: فما رأيت أحداً.

قال: فلما رجعت إلى الشيخ وجلست بين يديه تبسم وقال لي: يا ماضي، تجبز نمشتك تتقي بها اللصوص ..؟ الدوي الذي كنت تسمع دوي الملائكة !!

والله ما خرجت من بين يدي حتى تكفل بك ثمانون ألفاً من الملائكة، يحفظونك من أمر الله حتى وصلت إلى الإسكندرية وعدت إلينا....[٦]

● وقال أيضاً: حدثنا الشيخ أبو العزائم ماضي رحمه الله قال:

بعثني الشيخ من الإسكندرية إلى دمياط في بعض حوائجه، وكان عندنا رجل من أهلها، فأراد السفر معي، فاستأذن الشيخ، فأذن له في السفر، فلما توجهنا لباب السدرة – باب من أبواب الإسكندرية – اخرج الرجل دراهم ليشتري بها خبزاً

---

[٤] درة الأسرار لابن الصباغ ص (٤٤، ٤٥).
[٥] النمشة: غطاء مخطط.
[٦] درة الأسرار لابن الصباغ ص (٤٥، ٤٦).

وأداماً، فقلت له: ما نحتاج إلى شئ. فقال لي: نجد دكان فلان في الصحراء .... وأشار إلى دكان حلواني بالإسكندرية. فقلت له إن شاء الله.

وكنت مهما سافرت، لا أحمل معي زاداً، فإذا أصابني جوع أسمع كلامه من خلفي يقول: يا ماضي: اخرج عن يمينك تجد ما تأكل، وكذا إذا عطشت، فأجد طعاماً طيباً وماء عذباً.

قال: فخرجنا عن الإسكندرية ومشينا، وجد بنا السير حتى تعالى النهار بنا، فقال لي: يا ماضي: اطعمني فإني قد جعت. وإذا بكلام الشيخ على العادة يقول: يا ماضي: جاع ضيفك، اخرج عن يمينك تجد ما تطعمه، قال: فخرجت عن يميني، فوجدنا محفلة مملوءة بكنافة سكرية مخلطة بالمسك وماء الورد، فأكلنا حتى ملينا، فبكى الرجل وتعجب مما رأى، فقلت له: أيهما أطيب .. هذا الطعام أو ما أشرت إليه في دكان الحلواني .... ؟ فقال: والله ما رأيت مثل هذا قط .... وما صنع مثله في قصر ملك من الملوك، وأراد أن يرفع بقيته فمنعته، وتركتها على حالها.

ومشينا يسيراً فعطشنا. وإذا بكلام الشيخ يقول: يا ماضي اخرج عن يمينك تجد الماء، فوجدنا عين ماء عذب في الرمل فشربنا، واضطجعنا ساعة، وقمنا، فما وجدنا قطرة ماء، فقال الرجل: أين الماء الذي كان ها هنا؟ فقلت: لا علم لي به، فقال: والله لقد مكن لهذا الشيخ تمكيناً عظيماً. والله لا رجعت إلى أهلي، حتى أنال ما نال هذا الشيخ، أو أموت في الله تعالى، فخلى فروته عندي ..!! ، ومشى في البرية يقول: الله ... الله !!!

قال: فلما قضيت سفري، ورجعت إليه قال لي: يا ماضي: ودَّرت (أهلكت) ضيفك .. ، فقلت له: أنت الذي ودَّرته – أطعمته الكنافة السكرية في البرية، وأسقيته الماء العذب في الرمل، فقال لي: مرَّ في الذاهبين إلى الله تعالى .... [٧]

- وقال: حدثنا الشيخ ماضي رحمه الله أيضاً قال:

حججت سنة من السنين عن إذنه، فلما قضيت مناسك الحج، وأتيت أطوف

---

[٧] درة الأسرار لابن الصباغ ص (٤٦ - ٤٧)

طواف الوداع، قام أهل مكة على من بقي في الحرم من الحجاج فنهبوهم، وكانت عندي أمانات للناس، فدخلت في الحجر، ووقفت تحت الميزاب وقلت: إن خرجت نهبوني، وإن أقمت أقمت بأموال الناس عندي، فتحيرت في أمري، فناديت بالشيخ.

وإذا به واقف بباب الندوة، وهو يشير إلي، فبادرت إليه، فولى خارجاً، فاتبعته، ولم أقدر على اللحاق به، والوصول إليه، فلم أزل كذلك حتى دخلت الركب، فلما دخلت الركب، طلبته، فلم أجده، فلما وصلت إلى الإسكندرية، أتيت إليه، وسلمت عليه، فسألني عن حالي وقال لي: يا ماضي: لما أشتد الحال عليك وناديت بنا، أتينا إليك وخلصناك مما كنت فيه ...[8]

وهذا نذر يسير مما روى عن الشيخ ماضي بن سلطان ﷺ، في صحبته لسيدي أبي الحسن الشاذلي، وقد ذكرنا ذلك، لعلمنا بشدة تعلق الإمام أبي العزائم ﷺ بهذه الأحوال وبحثه عنها، وطلبه لها، وتأسيه بأهلها وهو الذي كان يقول لأبنائه دائماً حاثاً لهم على التحلي بها:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالرجال فلاح

ومن شدة تعلقه به تكنى بكنيته، وتشبه بسيرته، ونسب طريقته إلى السادة الشاذلية، رضي الله تعالى عنهم.

- هذا وقد ظل الشيخ ماضي في محبة شيخه أبي الحسن، حتى كان سفره الأخير إلى الحج، ويحكي ذلك: سيدي ماضي بن سلطان رحمه الله فيقول:

لما توجه رحمه الله في سفرته التي توفى فيها، وكنت تزوجت امرأة من أهل الإسكندرية، وكانت حاملاً، فجعلت تبكي وتقول لي:

تتركني على ولادة وتسافر عني.

[8] المفاخر العلية ... لابن عياد ص (٣٦).

قال: فأخبرت بذلك الشيخ فقال: ادعها إلي، فأتيت بها إليه فلما دخلت بها عليه، قال لها: يا أم عبد الدائم. أتركي لي ماضي يسافر معي، وأرجو لك من الله خيراً، فقالت له: يا سيدي السمع والطاعة.

فدعا لها وانصرفت.

فولدت ونحن مسافرون مولوداً ذكراً وسمته ((عبد الدائم))...[٩]

وقد انتقل الشيخ أبي الحسن الشاذلي إلى جوار ربه في ذلك السفر في ((حميثرا)) بالقرب من قنا، بعد أن أوصى بأن يخلفه على الإخوان، سيدي أبو العباس المرسي ﷺ، فأكمل بهم السفر.

وبعد أداء فريضة الحج والعودة إلى الإسكندرية ...

استأذن الشيخ ماضي سيدي أبي العباس في الذهاب إلى اقليم دسوق، لنشر طريقة شيخه هناك.

وقد اختار قرية ((محلة أبو علي)) لقربها من النيل، ولأنها كانت ميناء هاماً في ذلك الوقت، واستقر بها، وبنى بها زاوية للطريقة الشاذلية، ينشر فيها تعاليم شيخه، وهديه، وقد توارثها أولاده من بعده، ووسعوها، وجعلوها مسجداً كبيراً.

حتى صار الأمر إلى السيد عبد الله المحجوب والد الإمام أبي العزائم.

والذي كان خليفة الشاذلية على هذا الإقليم، وأحيا الطريقة في زاويته، وظل مجاهداً في نشر مبادئها وآدابها متجولاً في ربوع البلاد، لزيارة الصالحين، والتبرك بهم، والتعرف على آثارهم، حتى لقى الله ﷻ، ولا يزال ضريحه إلى يومنا هذا بالمسجد الذي أسسه الشيخ ماضي بن سلطان ﷺ أجمعين.

---

[٩] درة الأسرار ص ٢٢٢.

الفصل الثانى

أولاً: مولده ونشأته

- مولده
- نشأته
- ميوله الصوفية

ثانياً: دراسته فى القاهرة

- تمهيد
- فى الأزهر الشريف
- فى دار العلوم

الفصل الثاني: أولاً: مولده ونشأته

مولده

كان والده السيد عبد الله المحجوب يزاول التجارة في الغلال إلى جانب عمله في الزراعة، وكان يجمع الأرز من الفلاحين، ويقوم بتوريده إلى مضرب الأرز بمدينة رشيد، ولما كان ﷺ يكثر من زيارة الصالحين أحياءاً وأمواتاً، وكانت زوجته السيدة/ آمنة المهدية تشاركه نفس هذا الحب لآل بيت رسول الله وللصالحين أجمعين، فكان يأخذها معه كل عام مرة إلى مدينة رشيد، حيث يباشر عمله، ويمكنها من زيارة الصالحين في تلك البلدة.

ولما حملت بالإمام أبي العزائم ﷺ وكان ميعاد الوضع يصادف أيام ذهابهم إلى رشيد، أراد ﷺ أن يصرفها عن الزيارة في هذا العام لقرب أيام وضعها، ولكنها أصرت وتوسلت إليه أن يحملها معه حتى لا تتخلف عن عادتها، وذلك ليقضي الله أمراً كان مقدوراً.

وشاءت إرادة الله تعالى تكريم هذا الولي من لحظة ولادته، وقد ذهبت السيدة آمنة المهدية لزيارة مسجد سيدي زغلول برشيد، وهو أكبر جامع بها، ويزيد عدد أعمدته على الثلاثمائة والستين، وهو المسجد الذي أذن من فوقه مؤذن الجهاد ضد الحملة الإنجليزية عام (١٨٠٧) ميلادية ((حملة فريزر)) ويتوسطه ضريح سيدي زغلول ﷺ، ولما دخلت رضي الله عنها إلى هذا الضريح المبارك، إذا بآلام الوضع الشديدة تنتابها فجأة بدون مقدمات، حتى أنها لم تتمكن من الخروج من الضريح ولو لأي مكان في داخل المسجد، فأغلق الخادم عليها باب الضريح، وأسندت ظهرها إلى المقصورة الكائنة به وولدت الإمام محمد ماضي أبو العزائم بدون ألم ولا تعب في الوضع كالعادة المرعية، وكان ذلك في صبيحة يوم الاثنين السابع والعشرين من

رجب سنة ألف ومائتين وست وثمانين من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، والموافق الثاني من شهر نوفمبر سنة ألف وثمانمائة وتسعة وستين ميلادية، فجاءها الخادم بقطعة من القماش الموجود على ظهر الضريح، فلفته فيها وخرجت به في الحال، طفلاً بهيجاً يسر الناظرين.

نشأته

وقد اهتم السيد عبد الله المحجوب بتربية أولاده تربية علمية، وساعده على ذلك ثراؤه الواسع، وثقافته الدينية، وقد اهتم بصفة خاصة بمن أقبل منهم على العلم وهم: أحمد ومحمد وزينب.

فأحضر الشيخ عبد الرحمن عبد الغفار، ليحفظهم المتون كالعادة المرعية في ذلك الزمن، وذلك بعد حفظ القرآن الكريم كله، وقد أتمه الإمام أبو العزائم في ثلاث سنوات، حيث ذهب إلى الكتاب في الرابعة من عمره، وأتم حفظ القرآن الكريم في السابعة تقريباً، وقد أشار الإمام أبو العزائم ﷺ إلى المتون التي حفظها على الشيخ عبد الرحمن عبد الغفار في مقدمة كتابه أصول الوصول طبعة (١٩١٢) ميلادية فقال ﷺ:

((وقد أتممت حفظ متن أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك بن أنس، وقسم العبادات من الموطأ، ومتن السنوسية في علم التوحيد، ومن علم النحو الأجرومية والألفية، ومن علم الحديث المختصر للإمام الزبيدي، وذلك على الشيخ عبد الرحمن عبد الغفار)).

وقد انتهى ﷺ من حفظ تلك المتون في فترة وجيزة ولما رأى والده شغفه الكبير بالعلم، اهتم بتلقينه العلوم الدينية، فعهد إلى الشيخ محمد القفاص تدريس علم التوحيد له ﷺ، وطلب من الشيخ محمد الخطيب أن يدرس له الفقه، وقام بنفسه بتلقينه الطريقة الشاذلية وأورادها وأحزابها، ودرس معه الكتب الهامة في علم

التصوف، وخاصة كتاب ((إحياء علوم الدين للإمام الغزالي)) وكتاب ((قوت القلوب)) لأبي طالب المكي، وركز معه أيضاً على دراسة السيرة النبوية العطرة، فقرأ معه كتاب ((الشفا في التعريف بحقوق المصطفى)) للقاضي عياض، وسيرة الرسول ﷺ لابن هشام، ((والطبقات الكبرى)) لابن سعد، وساعده على ذلك، المكتبة الضخمة التي كان يحتفظ بها في بيته، والتي تضم أمهات الكتب الدينية واللغوية والصوفية في ذلك الوقت.

ميوله الصوفية

ظهر لنا كما أوضحنا، أن الإمام أبا العزائم ﷺ نشأ في بيئة صوفية، إذ أن والده ﷺ، كان نائب السادة الشاذلية في إقليم ((دسوق)) وليس هذا فحسب، بل إنه كان يميل إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتاً في مختلف الجهات، حتى أنه أخذه ﷺ في عام واحد وعنده اثنى عشر سنة إلى رحلة الحج، فرافقه في هذه الرحلة، وبعد رجوعهما، أخذه في سياحة في ربوع البلاد للتعرف على الصالحين وزيارتهم، ويتضح لنا مدى ثقافة السيد عبد الله المحجوب ﷺ وسعة صدره في أنه رغم أنه من أخلص أتباع الطريقة الشاذلية لم يمنع ولده محمد من الأخذ على الطريقة الرفاعية، وتلقى أورادها وأحزابها من الشيخ غانم الخشاب، عكس ما كان متبعاً في ذلك العصر من تعصب المتصوفة لمشايخهم، وتمسكهم بهم، حتى ولو كانوا على غير ما يتطلبه هذا المقام العالي من شروط وأحوال.

ويظهر أن الذي دفع السيد عبد الله إلى اهتمامه بتغذية الميول الصوفية عند ولده محمد، ما توسمه فيه من الصلاح والهداية، وما رآه عليه من أحوال تنم على شدة التعلق بالطريق وأهله حتى أنه ﷺ حكى عن نفسه كما جاء في كتاب ((نيل الخيرات .. الطبعة الرابعة عشر ١٩٧٤ ميلادية صفحة ١٠٠)) فقال:

(بينما أنا نائم وأنا لم أشارف العشرة بعد، إذ رأيت رسول الله ﷺ وسيدنا علي كرم الله وجهه مؤتزرين، وبين يدي رسول الله ﷺ عبد أسود اللون قبيح الخلقة، تميز

غيظاً وحنقاً، فأخذه رسول الله ﷺ بن يديه، وقال لعلي: اضربه يا علي، فضربه سيدنا علي كرم الله وجهه بالسيف ثلاثاً، فلم يقطع رقبته، ثم التفت إلي وأنا بجواره ﷺ فقال: اعط السيف لمحمد، فأخذته منه وضربت هذا العبد ضربة كانت القاضية، فنحاه ﷺ ، وركله برجله ثم انصرف.

قال الإمام ﷺ: فأصبحت أحدث أبي بهذه الرؤيا، فقال والدي متمثلاً قول سيدنا يعقوب ﷺ: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ ﴾ [٥يوسف]. وأقبل أخي الأكبر أحمد فحدثته بها، فضربني على مفرق يدي، فكسر ساق ذراعي، وناداني والدي أن أصحبه إلى المسجد حسب عادته، فوجد يدي مربوطة إلى عنقي فقال: ألم أقل لك من قبل لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين) ...[10]

وقد فهم السيد عبد الله ﷺ من رؤيا ولده هذه، أن ولده سيكون له شأن في رفعة الإسلام، لأن العبد الأسود إشارة إلى الظلمات التي تنتشر في الكون، وتحجب العقول والأفئدة عن الاستضاءة بنور الإيمان والإسلام، وعجز سيدنا علي عن قتل العبد في الرؤيا واعطائه السيف للإمام أبي العزائم، يعني تسليمه راية الفتح الإلهي، والنور الرباني للإمام أبي العزائم في هذا العصر المظلم.

وإلى جانب هذه الرؤيا وغيرها، فقد ظهرت على مخايل الإمام ﷺ، علامات صدق الإرادة في طريق الله ﷻ، فكما يحكي عن نفسه ﷺ فيقول:

(كنت كلما سمعت عن رجل صالح ذهبت إليه لزيارته، وكلما رأيت مجذوباً أو صاحب حال تقربت إليه، وكنت أحب سماع سيرة السلف الصالح، وقصص الصالحين، وداومت على قراءة كتاب ((روض الرياحين في مناقب الصالحين للإمام اليافعي ﷺ حتى أنني من كثرة ترداده حفظته عن ظهر قلب) ...[11]

---

[10] نيل الخيرات - الطبعة الرابعة عشر ص (١٠٠ - ١٠١).
[11] مقدمة كتاب أصول الوصول للإمام أبي العزائم طبعة ١٩١٢م.

ثانياً: دراسته في القاهرة

تمهيد

انتقل السيد أحمد ماضي بن السيد عبد الله المحجوب الأكبر إلى القاهرة لإتمام دراسته هناك، وترك أخاه محمد لرعاية والده ومعاونته في أمور معيشته لكبر سنه، وهناك لمع نجمه، فأسس مع الشيخ علي يوسف مجلة الآداب عام (١٨٨٣) ميلادية، وهي مجلة أدبية تاريخية شهرية تصدر في كل شهر مرة، ولما وجدا أنها لا تفي بتطلعاتهما، أنشأ سوياً جريدة المؤيد عام (١٨٨٩) ميلادية وهي صحيفة يومية كانت تعالج أحوال المجتمع في هذا الوقت، وتدعو إلى اليقظة الفكرية والسياسية في وجه الاستعمار وسياساته التوسعية، وظل الحال كذلك حتى توفيت السيدة آمنة المهدية، فحزن الجميع لفقدانها، وإزاء ذلك، أصر أحمد على أن ينقل الأسرة كلها معه إلى القاهرة، وكان الإمام أبو العزائم في السادسة عشرة من عمره في ذلك الوقت.

في الأزهر الشريف

بعد الانتقال إلى القاهرة، تعرف الإمام أبو العزائم على كثير من الشخصيات البارزة، التي كانت تجلس في مقر صحيفة المؤيد لتناقش قضايا الساعة، وارتاح بصفة خاصة إلى الشيخ حسن الطويل، أستاذ التوحيد بالأزهر، فكان يرافقه في سيره، ويزوره في بيته، ويجلس معه الساعات الطوال يتناقشان في مختلف القضايا الدينية، وقد أشار الشيخ حسن الطويل، على السيد أحمد ماضي أن يلحق أخيه محمد بالأزهر، ليتزود من علومه الدينية المختلفة، فوافق على ذلك، ودخل الإمام أبو العزائم الأزهر لأول مرة في السابعة عشرة من عمره، وأقبل على العلم بعزيمة لا تعرف الكلل، حتى أنه كان يحصل ما يحتاج إلى سنوات طويلة في أيام قليلة.

في دار العلوم

وفي تلك الآونة، أنشأ السيد علي مبارك مدرسة دار العلوم، لحاجة وزارة المعارف إلى مدرسين أكفاء، ونوع المناهج بها حتى تخرج المدرس الصالح في نظره للقيام بتربية النشئ، حيث أنه كان يرى أن العملية التعليمية كلها تتوقف على استعداد وكفاءة المدرس.

فأشار السيد أحمد ماضي على أخيه محمد أن يتقدم لمدرسة دار العلوم، وأن يستعد للامتحان الذي يجرى للمتقدمين لاختيار المقبولين في هذه المدرسة، ولم يكن بقي على زمن الامتحان سوى خمسة عشر يوماً، ولكن الإمام ﷺ واصل الاستذكار ليلاً ونهاراً، حتى استوعب المواد المقررة للامتحان، ودخل الاختبار، واجتازه بمهارة كبيرة حازت اعجاب جميع الممتحنين.

وقد تخرج ﷺ في أول دفعة من دار العلوم وانخرط في سلك التدريس في وزارة المعارف، حيث عين مدرساً بمديرية المنيا عام (١٣١١) هجرية الموافق عام (١٨٨٢) ميلادية.

هذا وقد حرص الإمام ﷺ أيضاً على تنمية ميوله الصوفية أكثر وأكثر، خاصة وأن مدينة القاهرة تعج بالكثير من أولياء الله الصالحين أحياءاً وأمواتاً، فكان يتردد على مزارات آل البيت الكرام، وأولياء الله الصالحين.

كما كان يزور كل من يسمع عن صلاحه وتقواه من الأحياء الموجودين، وقد أستأنس بصفة خاصة بالشيخ حسنين الحصافي صاحب الطريقة الحصافية الشاذلية، ولازمه في معظم أوقاته، وأخذ عنه الطريق، وتلقى منه الأوراد والأحزاب والأدعية والاستغاثات.

الفصل الثالث

الدعوة إلى الله

- في المنيا
- بدء دعوته
- قصة الشيخ الصبيحي

الفصل الثالث: الدعوة إلى الله

● في المنيا

بعد أن عين الإمام أبو العزائم مدرساً في مديرية المنيـــا، شـــاءت إرادة الله أن يتوفى السيد أحمد ماضي، الأخ الأكبر رغم صغر سنه، بعد أن بـــزغ نجمـــه في عـــالم الصحافة، حتى سمي (شيخ الصحافة الإسلامية).

فانتقل الإمام بالأسرة كلها، واستقر بهم في بلدة المطاهرة جنوب المنيا.

وفي ذلك الوقت تلقى الأمر من سيدنا رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الله ﷻ.

فرأى في ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول (أي ليلة ميلاد رسول الله ﷺ)، رأى رسول الله ﷺ وشرح له في تلك الرؤيا كثيراً من معاني الآيات القرآنية.

ولقنه صيغ في الصلاة على حضرته ﷺ سماها (الفتوحات الربانية والمنح النبوية في الصلاة على خير البرية).

ثم لقنه دعاء الغوث (غوث العصر)، وأمره أن يدعو به، وأن يلقنـــه لجميـــع المسلمين، وهو :

{ اللهم باسمك العظيم الأعظم، وبجاه المصطفى ﷺ ، وبسر أسمائك الحسنى ما علمنا منها وما لم نعلم، أن تعجل بالانتقام ممن ظلم، وأن تهلك الكافرين بالكافرين، وتوقع الظالمين في الظالمين، وتخرج المسلمين من بينهم سالمين غانمين آمين يا رب العالمين }

بدء دعوته

فبدأ ﷺ منذ ذلك الحين تبليغ رسالة الله، ودعوة الخلق إلى الله.

كيف كان ذلك ؟

كان ﷺ يقضي معظم وقته مع الخلق، يقرأ عليهم دروساً في مذهب الإمام مالك ﷺ بالمسجد، ويتكلم معهم في الأخلاق والتوحيد وغيرها بعد ذلك.

فإذا كان يوم الخميس من كل أسبوع، أخذ زاده معه وذهب إلى إحدى القرى أو المدن المجاورة، فيؤم بيت الله، ويجلس مع المصلين يحدثهم بما يفتح الله عليه من العلوم والمعارف الإلهية في شرح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، حتى إذا آنس منهم الرغبة في العودة إلى منازلهم، صرفهم بلطف ...

ويصرُّ أن يبيت بالمسجد، فيحي ليله بذكر الله، حتى إذا اقترب الفجر، قام فتوضأ وصلى ما تيسَّر له، ثم يصعد إلى مأذنة المسجد، فيردد بصوته الندي ما يلهمه الله ﷻ به، من المواجيد الروحانية والقصائد الصوفية، حتى يحين موعد الآذان، فيؤذن للفجر ويصلي بالناس جماعة، ثم يعتكف في بيت الله حتى صلاة الجمعة فيؤدي الخطبة، وينصرف إلى منزله بالمطاهرة.

فكان لهذا الحال دوى كبير وأثر عظيم في نفوس الناس حتى أن دعوته ﷺ وصلت إلى كل مدن الصعيد، من الجيزة حتى أسوان في وقت قصير جداً، وما ذلك إلا لصدق إرادته وصفاء يقينه، ومدى اخلاصه وفناءه بكله في دعوة الله ﷻ .

ومما يدل على ذلك أنه ﷺ وأرضاه، كان سائراً مع بعض رفاقه بالقرب من سمالوط بمحافظة المنيا، وأدركتهم العشاء بالقرب من الدير الشهير هناك، فأمر أحد أصحابه أن يؤذن، وأمر الباقين بتجهيز المكان والتجهز لأداء الصلاة.

وأثناء قيامهم بأداء الصلاة، أحس الرهبان بدافع غريب يدفعهم إلى الخروج لمشاهدة هذا الشيخ المسلم ورفاقه، وبعد انتهاء الصلاة أخذ ﷺ يشرح بعض الآيات

القرآنية التي تتحدث عن سيدنا عيسى والسيدة مريم، فما كان منهم إلا أن أخذوا يقتربون رويداً رويداً وهم لا يشعرون، حتى انضموا إلى الحلقة المحيطة بالشيخ .. وظل هذا المجلس لساعات !!! حتى عرضوا عليه استضافته في الدير، فدخل وقضى معهم الليلة حتى مطلع الفجر، وانتهت تلك الليلة المباركة بإسلامهم جميعاً، وتغيير أسمائهم إلى أسماء إسلامية سماها ﷺ، وسمى كبيرهم: الجنيد.. وقد قال في ذلك ﷺ معبراً عما حدث له تلك الليلة:

حبيبي قد شرح صدري وآنسني إلى الفجر
وأطلعني على معنى من الإحسان والسر
ورقاني إلى أعلى مقام القرب والسير
سمعت حنين رهبان لدى نظرى الى الزهر
وعند شهودهم حسني تمنوا يقتفوا أثري
وناداني الإمام هيا أتاك الوصل بالبشر
فقم للدير يا ماضي فإني قد صدر أمري
تملّى بي وشاهدني ومل عندي عن الغير
وأنبأ من يرد قربي بحسني حيث لا يدري

قصة الشيخ الصبيحى

ثم انتقل ﷺ إلى بلدة الإبراهيمية بمحافظة الشرقية، وكأنما كان النقل لأمور يريدها الله، وأحوال يريد أن يبينها ويظهرها ﷻ .. فقد تعرف ﷺ هناك على أول رجل أكمل الإمام تربيته، وشهد له ببلوغه مقام الرجال في هذه البلدة، وهو الشيخ الصبيحي ﷺ، وكان الشيخ الصبيحى عالماً من علماء الأزهر، إلا أنه رفض الوظائف الحكومية، وأثر أن يشتغل بالأعمال الحرة، ففتح دكاناً يبيع فيه البضائع المختلفة، وكان ﷺ مشغولاً بعلوم الكيمياء، وما يدعى بعض المنتحلين إلى هذا العلم، من تحويل المعادن إلى ذهب.

وقد حضر الشيخ الصبيحي درساً للإمام ﷺ بالمسجد الكبير بالبلدة، وكـان الإمام قد ألمح أثناء هذا الدرس إلى علم الكيمياء، وصناعتها، ودور جابر ابن حيـان فيها، وكيف أن الأصول التي استنبطها جابر خفيت على من بعده، فلم يتمكنوا مـن تطبيق قواعده وقوانينه !!

ففهم الشيخ الصبيحي من ذلك، أن الإمام يعرف أسرار الكيمياء التي اخترعها جابر، وبالتالي يعرف تحويل المعادن إلى ذهب، فطلب منه بعد الصلاة أن يتلقى علـى يديه هذا العلم، وأظهر الإمام الموافقة، ولازمه مدة، والشيخ يريد أن يخرجه من هذا الوهم، بالحكمة الروحانية، ولكنه كان مصراً على ما أراد، حتى حدث له مـا ثـنى عزمه عن ذلك !! دخل الشيخ الصبيحى دكانه ... فوجد كل أصناف البـضاعة في نظره ذهباً خالصاً !!! ، وكلما جاءه مشترى، والمشتري بالطبع يرى الصنف علـى حالته الطبيعية، فيقول له: اعطني كذا؟ فيذهب الشيخ الصبيحي إلى الصنف فيجـده ذهباً. فيقول له: هذا الصنف غير موجود !!، والمشتري يراه !! فيقـول لـه: هـذا الصنف موجود ... وهو هذا! وقد ذهبت إليه! فيقول: لا أبيعه لـك. !!! ولا زال مستمراً على هذا الحال حتى وصفه الناس بالجنون.

وإذا بالإمام أبي العزائم يأتي إليه ويرده إلى حالته، ويشرح له كيمياء الصالحين ويقول له: { **يا بني! إن كيميائنا هي تقوى الله ﷻ، ومراقبته** } ، ولا زال به حتى وصل إلى حال كمل الأولياء في الصدق والصفاء والطهر والنقاء ﷺ.

ثم حدث أن سرحت وزارة المعارف بايعاز من الإنجليز عدداً كبيراً من المدرسين بحجة ضغط المصروفات الحكومية، فرجع ﷺ إلى المنيا، وكتب طالباً إعـادة تعيينـه، فاستجابت الوزارة، وعين بالمنيا ... واستقر بها بعض الوقت .. ثم انتقل إلى أسـوان وادفو، وفي تلك الأثناء، طلبت حكومة السودان تعيين مدرسـين بهـا، فتقـدم ﷺ واختارته اللجنة الخاصة بذلك ... وعين مدرساً بحكومة السودان في بلدة ((سواكن)) بجنوب السودان.

الفصل الرابع

جهاده في السودان

- في سواكن
- التبشير بالإسلام
- في وادي حلفا
- العودة إلى سواكن

الفصل الرابع: جهاده في السودان

في سواكن

ذهب ﷺ إلى سواكن، وكل همه الدعوة إلى الله ﷻ فكان يقضي وقته متنقلاً بين المساجد يقرأ على الناس، صحيح البخاري ويشرح أحاديثه، ويشرح لهم أيضاً قسم العبادات من الموطأ للإمام مالك.

وفي بحثه عن الصالحين، تعرف على الشيخ عبد الرحيم السواكني، وكان من أجل مشايخ الطرق الصوفية في السودان، وله أتباع كثيرون منتشرون في كل أرجاء السودان، وكان يسكن بجزيرة في النيل بالقرب من سواكن.

ويضرب الإمام لنا مثلاً نادراً في التفاني عن النفس في الدعوة إلى الله ﷻ، فقد ظل يتقرب من هذا الرجل، حتى صيره خادمه الذاتي، يناوله وضوءه، ويقضي له حاجاته الخاصة، وهو في كل ذلك لا يظهر أي شئ من مكنون ما خصه الله ﷻ به، حتى وثق به الشيخ عبد الرحيم، وثوقاً بليغاً.

ولما آن الأوان لكشف الغطاء وانبلاج الحق، وكان ذلك في ليلة المولد النبوي، وكان الشيخ عبد الرحيم يقيم حفلاً ضخماً بهذه المناسبة، يحضره المريدون بل وجميع الطرق الصوفية من شتى أنحاء السودان، ويجلس هو على كرسي عال خاص به، وله ثياب مزركشة بكل أصناف الزينة، لا يلبسها إلا في تلك المناسبة.

فتقدم منه الإمام أبو العزائم ﷺ، وطلب منه أن يلقي كلمة في تلك المناسبة، فوافق على الفور لاعزازه له، وتقديره له، لحسن أدبه في خدمته، وما أن تكلم الإمام أبو العزائم وتغنى ببعض مواجيده، حتى فوجئ جميع الحاضرين بالشيخ عبد الرحيم يخلع ملابسه، ويصرخ بأعلى صوته ويقول: أنت الذي أبحث عنك عمري كله، وتوضئني ولا أعرف ...!! يا ويح عبد الرحيم !!، وينوح على نفسه !!

ثم رزقه الله الصدق والنورانية أثر خروجه عن جاهه وكبريائه وإخلاصه في متابعة الإمام أبي العزائم، حتى أنه أصابه حياء عظيم، جعله يجلس دائماً خارج المكان الذي يجلس فيه الإمام أبو العزائم، وإذا واجهه ينكس رأسه في الأرض، وعندما سئل عن ذلك قال: لا أستطيع أن أثبت بصري في وجه مولانا ﷺ.

وبلغ به الحب لأبي العزائم حتى قال في ذلك:

وإذا الجبال تزحزت عن أرضها — عن حبِّنا في الله لا نتحول
وحى السماء متزل ببيوتنا — وحقائق الآيات عنا تنقل
وإذا تجلى بالجمال حبيبنا — في الأوليا فلنا الطراز الأول
قل للحسود اخسأ فإنك جاهل — بجنابنا يتوسل المتوسل

التبشير بالإسلام

وقد آثر ﷺ سواكن على سواها من بلاد السودان، لقربها من المنطقة الجنوبية التي تنتشر فيها الوثنية، فكان أول من عمل على نشر الإسلام في هذه المنطقة في العصر الحديث، ليثبت للعالم كله أن الإسلام لم ينتشر في كل أنحاء القارة الأفريقية إلا بجهود المخلصين من أتباع الطرق الصوفية، وليكذب دعوى الذين يتهمون الصوفية بالسلبية والانعزالية، والفضل ما شهدت به الأعداء... فهذا أرنولد يقول في كتابه الدعوة إلى الإسلام:

(وفي غرب أفريقيا كانت هناك طائفتان قائمتان بصفة خاصة على نشر الإسلام: هما: القادرية والتيجانية) ...[١٢] ويتحدث أيضاً عن أثر الطريقة الإدريسية والميرغانية فيقول عند حديثه عن الحركات التي عملت على نشر الإسلام في إفريقيا: (ومن أسبق تلك الحركات، حركة يعزى قيامها إلى السيد أحمد بن إدريس، وقد أرسل قبل موته عام ١٨٣٥ ميلادية أحد أتباعه ويدعى محمد عثمان الأميرغني في

[١٢] الدعوة إلى الإسلام أرنولد ص ٣٦٥.

رحلة إلى إفريقيا لنشر تعاليم الإسلام) ...[١٣]

وهكذا السنوسية وغيرها من الطرق الصوفية الأخرى التي عملت على نـــشر الإسلام ابتغاء رضوان الله ﷻ.

وقد قام لب دعوته ﷺ في هذا القسم الجنوبي على أمرين:

- أولهما: احتياج هذه المنطقة إلى الملح، حيث أنه لا يتوافر بها.
- ثانياً: رغبة أهلها في تعدد الزوجات، وهذا لا يتنافى مع الإسلام وإن كان يتعارض مع الأديان الأخرى.

فكلف أتباعه المخلصين بجلب الملح والذهاب به إلى الجنوب على هيئة تجّار وفي أثناء ذلك، يتبادلون الحديث مع السكان، ويعرضون عليهم بلطف ولـــين مبـــادئ الإسلام السمحة، ووعدهم على ذلك غنى الدنيا وسعادة الآخرة.

وقد كان لما قام به ﷺ وأتباعه، أثر كبير في دخول سكان الجنوب الإســـلام، حتى ذعر الإنجليز من هذا الأمر، خاصة أن المبشرين الذين جاءوا بهم ومعهـــم كـــل الامكانيات المادية، عجزوا أمام فقراء آل العزائم الصادقين، فما كان منـــهم إلا أن قاموا بنقله إلى وادي حلفا.

في وادي حلفا

وفي وادي حلفا، وجد الإمام ﷺ الناس هناك مـــشتغلين بـــالملاهي والخمـــر، ويقضون جل وقتهم في هذه الأشياء، ولا ينتبهون من شدة غيهم، وفساد أحـــوالهم، لشأن الشريعة وأحكامها فبدأ ﷺ، يدعوهم إلى الله ﷻ،بطريقة حيرت النهى، ضرب بها المثل الأعظم للداعي الصادق في كيفية جذب العصاة والنافرين إلى الله ﷻ.

حتى أنه ﷺ كان يدخل الحانات والخمارات ليدعو أهلها إلى التوبة والإقبـــال

[١٣] نفس المرجع السابق ص ٣٦٤.

على الله، لأنه لا يتيسر له أن يجالس أمثال هؤلاء إلا في المواطن والمجالس التي يرتعون فيها، ومن بين الوقائع الكثيرة له ﷺ في هذا المجال، نذكر أنفسنا بهذه الواقعة:

فقد دخل ﷺ الحانة ذات يوم، واتجه إلى منضدة يجلس عليها كامل أفندي مدير عام السكة الحديد في السودان، في ذلك الوقت، وكان يتردد يومياً على الحانة ويقضي معظم وقته فيها !!!

وعندما أخذته المفاجأة بجلوس الإمام معه على المنضدة، طلب الخمار، وطلب منه أن يحضر للشيخ قدحاً من القهوة، وإذا به يفاجأ بالشيخ يقول له:

لا، ولكن أحضر لي زجاجة خمر وطبق من الكبد الطري !!

فتعجبا معاً، وأمام إصرار الشيخ ﷺ، أحضر ما طلب، فوضع ﷺ جرعة من الخمر على الكبد الطري، فإذا به يتفحم ويتحول إلى اللون الأسود، فتعجب كامل أفندي من هذا المنظر الذي لم يخطر بباله قط، فقال له ﷺ:

هذا ما يفعله الخمر بكبدك وأنت لا تشعر !!

وواصل الحديث شارحاً له مفاسد الخمر ومضارها، حتى أعلن توبته، وذهب به إلى المسجد وصار من كبار أحبابه ومريديه.

وهكذا ظل ﷺ يتردد على الحانات حتى عرفه أصحابها، فبمجرد دخوله، يقدمون له قدح القهوة ويتجاذب الحديث مع الرواد، فيصلح في كل يوم نفراً منهم على الله ﷻ، ويوجههم إلى طاعته وحسن العمل بشريعته.

وفي أثناء ذلك، كان يتردد إلى أماكن السماع واللهو أيضاً ومعه نفر من أخوانه، يغنون الأناشيد الدينية والمواجيد الروحانية، التي تعلمهم أحكام الإسلام وآدابه، وتولى ﷺ شرحها، حتى هام بها أهل البلد جميعاً، فصاروا يتغنون بها في غدوهم ورواحهم ومنازلهم وأماكن أعمالهم، ثم أقبل بهم بعد ذلك على أحكام الشريعة الإسلامية وعلومها شرحاً وتفصيلاً، حتى شرح الله صدورهم للإقبال على أركان الإسلام والعمل بها.

العودة إلى سواكن

وفي تلك الأثناء قام شيوخ القبائل في سواكن بشكاوي متعددة للإدارة الحكومية مطالبين بعودته ، فما كان من الإدارة إلا أن وافقت على مضض، فرجع إلى سواكن.

وقد كان ظهر في ذلك الوقت دعوة الماسونية، وهي حركة يهودية تمهد لقيام دولة يهودية في فلسطين، فأخذ يتحدث عن أهداف هذه الحركة ومبادئها، ونواياها الخفية التي لا تظهرها في الاجتماعات العلنية، وذلك أثناء شرحه وتفسيره للآيات القرآنية التي تتحدث عن بني إسرائيل.

وقد حدث أنه أشار ذات مرة إلى مرجع ظهر سراً في الولايات المتحدة الأمريكية عام (١٩٠٦) ميلادية، وهو: دائرة المعارف الماسونية ونقل منها ما يلي نصه : (أن يكون كل محفل ماسوني رمزاً لهيكل، وأن يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلاً لملك اليهود، وأن يكون كل ماسوني تجسيداً للعامل اليهودي)

فتعجب حاكم سواكن السير جرانفيل، وطالبه بالمرجع الذي أشار إليه، فأشار الإمام بيده إلى صدره قائلاً: هذا هو المرجع !

فتعجب الحاضرون، وزاد عجبهم عندما قال لهم:

أنه ليس لديه نسخة من دائرة المعارف، وأن منزله تحت أمرهم ليتأكدوا من ذلك وقال: أن المؤمن يرى بنور الله لأن الله هو المؤمن، ثم قال للحاكم الإنجليزي: أهذا المطبوع موجود أم لا؟ فأجاب الحاكم بالإيجاب. فقال: ففيم إذاً الإستجواب؟ .. إنني أتكلم معكم بما تقولون عن أنفسكم ......[١٤]

---

[١٤] الإمام أبو العزائم لعبد المنعم شقرف ص ١٥١.

الفصل الخامس

الجهاد المقدس

- تمهيد
- جهاده الإنجليز في السودان
- أثره في أهل السودان
- جهاده للإنجليز في مصر
- جهاده الإسلامي
- أمراض المجتمع الإسلامي وعلاجها
- وسائل تحقيق المجد الإسلامي

الفصل الخامس: الجهاد المقدس

● تمهيد

يجدد الإمام ﷺ في هذا الفصل كما سنرى، أحوال الصوفية الصادقين، وتنفيذهم الحق قول رسول الله ﷺ: { أَفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جائِرٍ }[١٥]

والحق أن تاريخ الصوفية العظام يسجل لهم أنصع الصفحات في الجهاد في سبيل الله، والمجاهدة للظلمة من الحكام، وحث العامة على عدم الرضا بالواقع المر، لأن شعارهم قول الله ﷻفى [١١الرعد] :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾

فها هو الإمام الغزالي ﷺ عندما توالت الهزائم على المسلمين في الأندلس، يكتب إلى ابن تشفين ملك المغرب يستنهضه ويقول له في عنف المؤمن الذي لا يعرف في الحق لومة لائم: ((إما أن تحمل سيفك في سبيل الله، وإما أن تعتزل إمارة المسلمين حتى ينهض بحقهم سواك))، وهذا محي الدين بن عربي ﷺ، عندما تهاون الملك الكامل في قتال الصليبيين قال له: ((إنك دنئ الهمة، والإسلام لن يعترف بأمثالك، فانهض للقتال، أو نقاتلك كما نقاتلهم))[١٦] ، وهذا الإمام أبو الحسن الشاذلي رغم فقد بصره، يذهب هو وأتباعه مع قافلة النور، تضم رجالات من أعظم الرجال في العلم والدين، العز بن عبد السلام، مجد الدين القشيري، محي الدين بن سراقة، مجد الدين الأخميمي، الفقيه الكامل بن القاضي صدر الدين، الفقيه عبد الحكم بن أبي الحوافر، إلى المنصورة في ميدان القتال، ليحثوا الجند على الجهاد، ويعملوا على رفع روحهم المعنوية، حتى تم لهم النصر، ووقع لويس التاسع أسيراً في دار ابن لقمان، بل أن أعظم

---

[١٥] رواه البيهقي في (الشّعب) من حديث أبي أمامة و أبو داود والترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري.
[١٦] الطرق الصوفية في مصر د. عامر النجار ص ١٤.

دولة في بلاد المغرب العربي في عصره الزاهر، وهي دولة الموحدين، أسسها ابن تومرت الداعية الصوفي، وبلغ بها غاية مجدها تلميذه عبد المؤمن.

((ولم يقتصر دور الصوفية على جهاد أعداء الإسلام، بل أنهم قادوا الثورات ضد الحكام الظالمين، فها هو الصوفي الكبير الإمام الدردير يقود الثورة الوطنية على الأمراء المماليك التي اشتعل لهيبها في عام ١٢٠٠ هجرية عام ١٧٨٦ ميلادية، والتي أعلنت فيها لأول مرة حقوق الإنسان، قبل الثورة الفرنسية بثلاث سنوات، وكان من نتائج هذه الثورة المباركة، اعتراف المماليك بأن الأمة مصدر السلطات، وبعدم فرض ضرائب جديدة إلا برأي الشعب، واعترافهم الكامل بحرية الأمة وكرامتها)) [١٧]

والأمثلة في هذا المجال كثيرة وكثيرة، ويكفي أن نسجل هنا شهادة لأحد الأقلام المنصفة في هذا المجال حيث يقول ((يسجل التاريخ لبعض الصوفية المسلمين، مواقف لا تنقصها الشجاعة إيزاء نصح الحاكم ورده عن ظلمه في عزة مدهشة، قلَّ أن توجد، في مثل هذا العصر، وقد كان اتصال أغلب المتصوفة بالقاعدة الشعبية أوثق منه بالقمة، فكانوا أعرف الناس بآلام الناس، وأدى بعضهم دوره الإشتراكي الإنساني في مجال المواساة والإسعاف والإنصاف والإرشاد، ولم يحجم إلا المتصوف ذو المزاج المريض))....[١٨]

جهاده الإنجليز في السودان

انتقل الإمام ﷺ إلى أم درمان، فواصل رسالته، وشرح حكم ابن عطاء الله السكندري، والموطأ للإمام مالك، بمساجدها ثم حدث أن طلبت جامعة غوردون بالخرطوم أستاذاً للشريعة بها فتقدم ﷺ، وشغل هذا المنصب.

وبدأ منذ تلك اللحظة الجهاد على أشده مع الإنجليز، حيث أخذ يشرح للناس بالمساجد صحيح البخاري والموطأ، ويحدثهم في التوحيد والأخلاق، وفي نفس الوقت

[١٧] مكانة التصوف محمد عبد الشافعي (ص ١٦٧).
[١٨] التصوف طريقاً ومذهباً د. كمال جعفر ص ٣٣.

يشرح لخاصة طلابه في الجامعة وفي مقدمتهم الزعيم الوطني السوداني على عبد اللطيف مساوئ الاستعمار، ويطالبهم بالعمل المنظم للقضاء عليه وإجلائه عن البلاد.

وأحسَّ ﷺ بروحه الشفافة وبصيرته النافذة بأن هناك اتصالات تجري بين الشريف حسين في مكة والحاكم الإنجليزي في مصر (مكماهون) فأعلن أنه ذاهب إلى مكة لأداء العمرة، وإن كان هدفه الحقيقي هو مقابلة الشريف حسين، وفعلاً استطاع مقابلته، وطلب منه أن يكلمه على انفراد، وأخذ ينصحه، وعرفه بالمراسلات التي تمت بينه وبين الإنجليز، وما دار فيها رغم أن أحداً لم يكن يدري بها بعد، وطلب منه في نهاية اللقاء أن يتخلى عن الإنجليز، ويساند إخوانه المسلمين وألا يذكر لأحد شيئاً مما دار في هذا اللقاء.

ولكن الشريف حسين أخبر الإنجليز بما دار بينه وبين الإمام أبي العزائم، فأحسوا بالخطر نحوه، وبدأوا في محاولة استقطابه ﷺ لجانبهم، لكنه رفض كل ذلك، فطلبه الحاكم العام الإنجليزي في السودان – ريجنالد وينجت – وطلب منه أن يكتب مبيناً للناس مساوئ الخلافة الإسلامية في تركيا، وما يرغبهم في التعاون مع الإنجليز باعتبارهم يعملون لتقدم البلاد ورفاهيتها، فقال له الإمام أبو العزائم ﷺ: أتكتب ضد الإنجليز؟ قال: كيف هذا وأنا رجل مُتَعَلِّم؟ قال ﷺ: إذاً كيف تطلب مني أن أكتب ضد وطني وأنا مُعَلِّم؟

ولم ييأس الحاكم الإنجليزي من رد الإمام أبي العزائم فتركه ينصرف ثم دبر مكيدة أخرى، فأقام حفلاً بنادي الضباط بالخرطوم، دعا إليه الإمام أبا العزائم وكبار الشخصيات الإسلامية والإنجليزية بحجة التعارف بين المسلمين والإنجليز، ولكنه ﷺ رفض حضور هذا الحفل، وعندما سئل عن سبب رفضه قال: سأجيبكم في المسجد الجامع، وذهب إلى المسجد الكبير بالخرطوم، وكان غاصاً بالمصلين، وقرأ عليهم بصوته الندي قول الله ﷻ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ

﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [٢٢المجادلة]، وأخذ يشرحها لهم بطريقة أثارت حماس الحاضرين، حتى كانت شبه مظاهرة على الإنجليز وأعوانهم، فأثار ذلك حنق الإنجليز وأقالوه من عمله وردوه إلى مصر في أول أغسطس ١٩١٥ ميلادية.

أثره في أهل السودان

غير أنه ﷺ ترك آثاراً كبيرة في أهالي السودان، حيث أنه جذب القلوب إليه بأخلاقه العالية، وصفاته السامية، خاصة زهده وورعه ﷺ، وقد وصل به الأمر إلى أن الفقراء كانوا يتعرضون له في اليوم الذي يقبض فيه راتبه، فيوزعه عليهم ويرجع إلى داره بغير شئ معتمداً على فضل الله ﷻ.

ولما استاء من حوله من هذا الأمر، عاتبوه ذات مرة، وبينما هو يتحدث معهم، إذ بسيارة محملة بكل ما يتطلبه المترل من حاجيات، أرسلها رجل كريم من أهل اليسار، فقال ﷺ: ((لقد أحضر الله لكم كل ما تحتاجون إليه بغير نصب ولا تعب، وكأنه يعاملكم معاملة أهل الجنة))

وخصَّ ﷺ بحدبه وعطفه الفقراء، حتى كان أكثر من مرة يطلب من أهل بيته تجهيز الولائم الفاخرة بحجة أنه سيزوره بعد صلاة الجمعة نفر من الوجهاء والأمراء، ثم يعود إلى المترل وليس حوله إلا نفر من الفقراء، فيشمئز أهل المترل من ذلك الوضع ويقولون له: لم تكلفنا وأنت تعلم أنه لن يأتي معك أحد من الوجهاء؟ .. ولما تكرر هذا الأمر منهم قال ﷺ منبهاً لهم ومعلماً لنا: ألا ترون؟ أليس عندكم بصيرة؟ هذا! وأشار إلى فقير ذي أسمال بالية، عند الله وجيهاً!، وهذا وأشار إلى مسكين حافي القدمين يلبس المرقعات وجيهاً في الدنيا والآخرة !!، وهذا أمير العباد!، وهذا أمير الزهاد!، وهكذا يضع لكل واحد من الفقراء ما يناسب حاله ومقامه عند الله ﷻ، ويتمثل بقول سيدي أبي مدين ﷺ:

ما لذة العيش إلا صحبةُ الفقرا ... هم السلاطين والسادات والأمرا

وقد افتتن الناس به في الخرطوم بالذات، نظراً للعلوم الوهبية التي أفاضها الله ﷻ عليه، حتى أنه ﷺ كان يتحدث ذات مرة في المسجد الكبير بالخرطوم، فانبهر الحاضرون، حتى قاطعه أحدهم قائلاً: كلام من هذا يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي عبد القادر الجيلاني؟ فأشار بيده إليه وقال: انتظر يا بني، ثم واصل الحديث وأتى ببيان أعجب مما تقدم، فلم يتمالك الرجل نفسه، وقال: كلام من هذا يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي محي الدين بن عربي؟ فقال: انتظر يا بني، ثم واصل الحديث، وعلا بالعبارة حتى أسكر الحاضرين، فما كان من الرجل إلا أن وقف منبهراً وقال: كلام من هذا يا مولانا؟ هل هو كلام سيدي أبي الحسن الشاذلي؟ فقال ﷺ سائلاً له: يابني، من الذي أعطى الشيخ عبد القادر الجيلاني؟ قال: الله قال: ومن الذي أعطى سيدي محي الدين بن عربي؟ قال: الله، قال: ومن الذي أعطى سيدي أبي الحسن الشاذلي؟ قال: الله، قال ﷺ: الذي أعطى الجيلاني والذي أعطى ابن العربي والذي أعطى الشاذلي هو الذي أعطاني))، ففهم الحاضرون أن عطاء الله لأحبابه وأوليائه لا ينقطع ما دامت السموات والأرض، لأن خزائنه ﷻ لا تفنى ولا تبيد، وإنما يترل منها على أحبابه وأوليائه بقدر ما يناسب عصورهم وأزمانهم، وحاجة أهل تلك الأزمان والعصور: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [٧٤آل عمران].

وهكذا ربى ﷺ بالسودان رجالاً جاهدوا في الله حق جهاده، عرفوا أنفسهم فعرفهم الله بصفاته العلية، وأطلعهم ﷻ على أنواره القدسية، وأفاض عليهم من علومه الوهبية، وأسراره الحكمية، ما تعجز عنه العبارة، ولا تفي به الإشارة.

● جهاده للإنجليز في مصر

وبعد أن أقاله الإنجليز من عمله في السودان، أصدروا قراراً بعدم اشتغاله في الأعمال الحكومية، وقرروا تحديد إقامته بمديرية المنيا.

فأخذ ﷺ ينتقل في ربوع تلك المحافظة، ناشراً لدعوته الدينية، وعاملاً على تربية أحبابه على المثل الإيمانية والأخلاق الإسلامية، حيث أن الدعوة الصوفية عند الإمام أبي العزائم ﷺ، تتركز في إعداد الأفراد دينياً وسلوكياً وخلقياً لحمل الأمانات

التي من أجلها أختار الله ﷻ الإنسان لعمارة الكون، ويعتبر ﷺ بناء الإنسان هو حجر الزاوية في أي نهضة أو تقدم لأي مجتمع من المجتمعات.

وكان ﷺ يذكر إخوانه دائماً بالحوار الرائع الذي دار بين سيدنا عمر وأصحابه، عندما دخلوا بيت مال المسلمين بعد أن وزع سيدنا عمر كل ما فيه على المسلمين، وطلب من الخازن أن يكنسه ويرشه بالماء، ثم دخل فصلى فيه ركعتين، وقال لأصحابه: تمنوا!، فقال بعضهم: أتمنى أن يمتلئ بيت المال ذهباً وفضة ننفقها على الجهاد والمجاهدين في سبيل الله، وقال آخر: أتمنى أن يمتلئ سلاحاً وعتاداً يجهز به المجاهدين في إعلاء كلمة الله، وقال آخر: أتمنى أن يمتلئ طعاماً وكساء يوزع على فقراء المسلمين حتى لا يبقى بينهم فقير أو محتاج، ثم تنبه رجل منهم وقال: وما تتمنى أنت يا أمير المؤمنين؟ فقال ﷺ:

{ أتمنى أن يمتلئ رجالاً مثل المقداد ! وسلمان! وبلال! وصهيب! }

فالصوفية في جوهرها كما جلاها ووضحها الإمام أبو العزائم هي بناء الفرد على السلوك الحميد والصفات النبيلة والأخلاق الفاضلة والمعاملات الحسنة حتى يكون نموذجاً يحتذى به في نشر كمالات هذا الدين لكل من تقع عينه عليه، وفي سبيل ذلك يكلف بالمجاهدات والرياضات الروحية والعبادات الدينية وغيرها من عوامل تهذيب الفرد وبناء سلوكه.

غير أنه في تلك الأثناء اتصل نفر من ذوي الجاه من أخوانه ومحبيه وهم محمود باشا سليمان وحمد باشا الباسل بالسلطات المعنية، وأفهموهم أن وجود الإمام أبي العزائم في القاهرة يسهل لهم مأمورية متابعته ومراقبة حركاته وسكناته، فسمحوا له بالانتقال إلى القاهرة، وهنا بدأ عهد جديد في الصراع بينه ﷺ وبين المستعمر.

حيث هيأ له الله ﷻ منزلاً كبيراً في عطفة الفريق بشارع الخليج المصري (بورسعيد الآن)، وكان هذا المنزل يتكون من عدة منازل، بينها ميدان واسع، وله باب كبير يسمح بدخول السيارات الضخمة المحملة بالبضائع إليه.

فأنشأ الإمام أبو العزائم مطبعة المدينة المنورة بداره، وأسس مجلة السعادة

الأبدية ومجلة الفتح ومجلة المدينة المنورة، وأوكل إدارة المطبعة إلى ابنه السيد أحمد ماضي أبو العزائم، وأوكل رئاسة تحرير المجلات إلى ابنه السيد محمد الحسن ماضي أبو العزائم، وعن طريق هذه المجلات أخذ ينشر مقالاته التي تلهب حماسة الجماهير، وتؤلبهم على المستعمرين والمستبدين، وكان ذلك مما مهد لقيام ثورة (١٩١٩) م.

ولما شبت تلك الثورة، كان لأبي العزائم الدور الأكبر في إثارة الجماهير وتحريكهم للمطالبة برد الزعماء وهم سعد زغلول ورفاقه من المنفى، والمطالبة بالاستقلال والحكم الدستوري المستقل، وفي سبيل ذلك، سخر مطبعة المدينة المنورة لطباعة المنشورات السرية لزعماء الثورة، وكتب فضلاً عن مقالاته في الصحف اليومية والأسبوعية في تلك الآونة كتاب ((الجهاد)) ولما منعت السلطات إصداره، طبعه ووزعه سراً على المواطنين.

ثم لجأ إلى الأسلوب الرمزي، فكتب مسرحية ((محكمة الصلح الكبرى)) والتي يشير بها إلى مؤتمر الصلح الذي عقد بباريس، وصور فيه الحلفاء والمجتمعين بأنهم مجموعة من الوحوش المفترسة، والشعوب الضعيفة والمغلوبة على أمرها، بأنها هي الفريسة التي تتقاسمها تلك الوحوش.

وكان أبناؤه لهم دور هام في توصيل الرسائل والمنشورات بين أرجاء البلاد طولاً وعرضاً، حتى أن الإنجليز أحسوا بذلك الخطر، فداهموا الإمام في داره فجأة، ويحكي الموقف نجله السيد أحمد ماضي أبي العزائم ﷺ فيقول: ((بينما أنا مهتم بتنجيز طبع ملحق السعادة الأبدية يوم الخميس ١١ ربيع أول ١٣٣٨ هـ المتضمن حكمة الآيات القرآنية التي أظهرها الله ﷻ في ليلة مولده ﷺ، وما تفضل الله به على العالم أجمع، وكلنا في عمل الاستعداد للاحتفال بليلة ذكرى سطوع أنوار تلك الشمس المحمدية بسراي سيدنا ومرشدنا حجة الإسلام محمد ماضي أبو العزائم، نفعنا الله به، وكأننا لما نحن فيه من المسرات بالحبيب المحبوب ﷺ نشاهد أنواره المحمدية ونتمثل النعم العظمى التي فاز بها المجتمع الإسلامي بيمن طالعه، وبعد صلاة الظهر مع السيد الوالد ﷺ، وسماع ما أحيا الأرواح من سيادته في شرح المقامات المحمدية، سارع كل منا إلى تجهيز معدات الاحتفال، وإذا بجيش جرار يقوده ضابط إنجليزي من الضباط

العظام ومعه أركان حرب وغيرهم، والجيش مدجج بالسلاح، ثم هجموا على المنزل بعد أن أحاط بعضهم به من الخارج، وصاح الضابط بالنداء العسكري – في صفين – وأمر بالهجوم، فأسرعت فصيلة منهم إلى فوق الأسطح وأخرى على الأبواب وثالثة إلى الحجرات دون حياء وكأن الحرب قد أعلنت، وما شهدت أبصارنا هذا المظهر إلا وتذكرنا عناية الله بأوليائه ورحمته بهم، فاطمئنت قلوبنا، ولديها أقبل علينا الإمام ﷺ هاشاً باشاً مسروراً قائلاً: قولوا الحمد لله، وبعد أن فرغوا من التفتيش كما يحلو لهم، أخذوا الإمام معهم فأصر أولاده جميعاً على أن يكونوا معه وفي خدمته، ورضخ الضباط لهذا الطلب، وأودعونا جميعاً ثكنات قصر النيل)) ...[19] وتدخل بعض ذوي النفوذ لدى السلطات، وصوروا لهم الأمر وخطورته بأن لزعماء الدين حرمة وحصانة يجب صيانتها، فأفرج عنه الإنجليز فوراً!

وعاد الإمام لنشاطه واتصالاته فألقى الإنجليز القبض عليه مرة أخرى في ١٧ رمضان من نفس العام ويوافق هذا العام عام (١٩١٩) ميلادية، وفي هذه المرة، دخل قائدهم على الإمام شاهراً مسدسه، وطلب تفتيش الدار جميعها، بحثاً عن مكاتبات سرية بين أبي العزائم وبعض الزعماء المسلمين، وكان ﷺ يضع المكاتبات السرية في صندوق كبير بغرفة نومه، وكانت دهشة الجميع عندما جلس الإمام على الصندوق وقال للقائد: فتش كما تريد فليس عند الشيخ شئ يخفيه، وازدادت دهشتهم عندما خرجوا جميعاً من الغرفة دون أن ينتبهوا إلى أن أبا العزائم يجلس على الصندوق، وبجواره الكرسي الذي اعتاد الجلوس عليه، وأخذوهم إلى قصر النيل مرة أخرى، ولكن سرعان ما أفرجوا عنه.

جهاده الإسلامي

ولم يكتف الإمام ﷺ بجهاد المستعمر في مصر والسودان فقط، بل أعلنها حرباً شعواء على المستعمر في كل بلد إسلامية، فاتصل بزعماء الإسلام في أنحاء العالم، وتبادل معهم الآراء والرسائل، وحثهم على النهوض بمسئولياتهم الجسام في مواجهة

---

[19] مذكرات محمود أحمد ماضي أبي العزائم عن كتاب أبو العزائم لشقرف ص ١٨١.

أعداء الله وأعداء الإسلام.

وكان أبرز من اتصل بهم الإمام في ذلك، جمعية العلماء بالهند وكبار الزعماء المسلمين هناك وعلى رأسهم محمد علي جناح، ومحمد إقبال، وشوكت علي، وكفاية الله وغيرهم، واتصل بزعماء أندونسيا، وعلى رأسهم أحمد سوكارنو ورفاقه، واتصل بزعماء المسلمين المجاهدين في مراكش والجزائر وتونس وليبيا وفلسطين ويوغسلافيا وألبانيا وغيرها من البلاد الإسلامية، حتى كانت داره ﷺ معقلاً يلجأ إليه هؤلاء الزعماء عندما يضطرهم المستعمر لمغادرة البلاد، وكان يفسح لهم صدور مجلاته، لينشروا فيها أفكارهم، ويعبروا فيها عن آرائهم.

وهو أول من حول مؤتمر الحج السنوي إلى مؤتمر عام، لبحث مشاكل المسلمين كما تهدف الشريعة السمحاء من جمع هذه الجموع المختلفة في مكان واحد، ووقت واحد، وقصة ذلك ترجع إلى قيام مصطفى كامل أتاترك بإلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا في ٢ مارس عام (١٩٢٤) ميلادية، وإخراجه لآخر الخلفاء العثمانيين وهو (السلطان عبد المجيد خان)، ومنذ أن سمع الإمام ﷺ هذا الخبر، لم يهدأ له بال، ولم يرتاح له خاطر، حتى حدد يوم ٢٠ مارس عام (١٩٢٤) ميلادية لعمل مؤتمر للخلافة الإسلامية في داره، دعا إليه زعماء المسلمين في كافة أنحاء الأرض، وحضرته وفود من كافة هذه البلدان.

وبعد أن شرح لهم ﷺ أسباب إلغاء الخلافة، ووضح رأيه في أن شخص الخليفة لم يكن يمثل حقيقة هذا المنصب، الذي يعتبر بمثابة الرأس من الجسد الإسلامي، منذ أكثر من مائة عام، واعتبر هذا الأمر فرصة للمسلمين، ليعيدوا لهذا المنصب جلاله وقوته، وكون المجتمعين جماعة الخلافة الإسلامية في وادي النيل، وأصدروا قراراتهم، وقد نشرت محاضر الاجتماعات والقرارات في الصحف اليومية في تلك الآونة.

وطلب أن يحج هذا العام للاتصال والتنسيق مع الزعماء المسلمين في موسم الحج، لكن السلطات المصرية منعته من السفر، لأن الإنجليز أوهموا الملك فؤاد بأنهم سينصبوه خليفة للمسلمين، وجعلوه لذلك ينشئ جماعة مأجورة وأعطاها الصفة الرسمية، واعتبرها الممثل الشرعي للحكومة المصرية في مؤتمرات الخلافة الإسلامية.

وحاول الملك فؤاد استقطابه، فأرسل إليه رئيس الديوان الملكي يطلب منه أن يقابله في القصر الملكي، فرفض ﷺ هذا العرض، وقال كلمته الخالدة ((بلغه يا حسن أن قوماً فقدوا الإسلام في أنفسهم وأهليهم، لا يستطيعون أن يبلغوه ويعطوه لغيرهم))، حيث أنه ﷺ كان لا يؤيد ترشيح الملك فؤاد لهذا الأمر ويقول أنه ألعوبة في يد الإنجليز، كما كان أيضاً لا يوافق على ترشيح الشريف حسين، لتعاونه مع الإنجليز ضد إخوانه المسلمين في تركيا.

وحتى إنه عندما ذهب للحج في عام (١٩٢٤) ميلادية وخرج معه خمسمائة رجل من خاصة إخوانه، أرسل إليه الشريف حسين مدير البرق نائباً عنه لاستقباله في جدة، ويخيره في أي القصور يحب أن يقيم فيه ليهيئه له، فقال ﷺ بعزة المؤمن الذي لا يخاف في الله لومة لائم: (إن أبا العزائم رجل خديم الفقراء، ولا يحتاج في إقامته إلى القصور) فقال مدير البرق: تلك أوامر سيدنا ولا قدرة لنا على مخالفتها، فقال ﷺ: (يا بني، إن لك أن تسيد على نفسك من تشاء، أما أنا فأقول إنني في أرض لا سيد فيها إلا الله ﷻ)، ورفض في تلك الحجة مقابلة الشريف حسين، بل أنه دعا عليه في هذا العام لخيانته للإسلام والمسلمين، فكانت نهايته وخروجه نهائياً من هذه البلاد.

وبعد أن استولى الملك عبد العزيز آل سعود على السلطة في بلاد الحجاز كلها، راسل الإمام أبا العزائم ﷺ ، وطلب منه أن يواصل جهده من أجل العمل لإحياء الخلافة الإسلامية، واقترح أن تكون مكة مقر هذا المؤتمر، وأن يكون ذلك أثناء موسم الحج في عام (١٩٢٦) ميلادية عام (١٣٤٤) هجرية، فأجرى الإمام اتصالاته بالزعماء المسلمين، وسافر هو وإخوانه بعد أن خرج من بيته محرماً بالحج، وألتقوا في مكة المكرمة، وتم انعقاد المؤتمر، نتيجة للاتصالات والجهود الضخمة التي بذلها الإمام ﷺ، ولكن تدخلت الأهواء النفسية ومن ورائها المخططات الإستعمارية، فلم يصل المؤتمر إلى قرار حاسم في شأن الموضوع الذي عقد من أجله، بل تحولت الجهود إلى مواضيع فرعية بعيدة كل البعد عن روح المؤتمر التي بثها الإمام أبو العزائم ﷺ في نفوس الحاضرين.

وهكذا نجد الإمام أبا العزائم يطالعنا بنموذج فريد للصوفي الحق الذي يشارك

في أحداث وطنه، ويعمل على رفع الظلم عن إخوانه المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض، ويحاول جاهداً أن يجمع ما تفرق من شملهم، وأن يحي معاليم الإيمان في نفوسهم وقلوبهم...

حتى أنه ﷺ كان يطالع صبيحة كل يوم جميع الصحف اليومية، والمجلات الأسبوعية والشهرية متلمساً أخبار إخوانه المسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض، ويشاركهم في آلامهم ويرسل لهم الرسالة تلو الرسالة، ناصحاً لهم ومحذراً من أعدائهم وشارحاً لهم الطريقة الحكيمة التي ينالون بها أغراضهم مطبقاً بذلك قول رسول الله ﷺ: {مَنْ لَمْ يَهْتَمّ بِأَمْرِ لِلْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ}[٢٠]، وعاملاً بقوله ﷺ: {مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمّىٰ}[٢١]، ويقول في ذلك ﷺ:

بربكم وطني الإسلام أفديه ... بالروح والمال والرحمن يعليه
وكل من ناوئ الإسلام غطرسة ... فهو العدو بسيف الله أرميه
والمسلمون هم نفسي وحبهم ... فرض علي بصدق القول أرويه

أمراض المجتمع الإسلامي وعلاجها

وكالطبيب النطاسي الماهر، وضع الإمام أبو العزائم ﷺ يده على الأمراض التي مكنت الأعداء من الأمة الإسلامية، ومزقت بين مجتمعاتها، وجعلت الأخوة بعد الألفة يختلفون، وبعد العزة يذلون، وبعد السيادة يستعبدون، وأرجع هذا الأمر إلى سببين:

أولها: التعصب للقوميات والنزعات العرقية وتفضيلها على الأخوة الإسلامية مما جعل هذا المجتمعات تعمل على إحياء لغاتها القديمة وتاريخها المندثر، وتتخلى في سبيل ذلك عن إسلاميتها، وذلك كما حدث في تركيا وإيران وغيرها.

السبب الثاني: هو سيطرة هذه الفئات على المجتمعات، وهم: العلماء الذين

[٢٠] رواه الحاكم عن ابن مسعود.
[٢١] رواه البخاري ومسلم.

شغلتهم الدنيا عن الدار الآخرة، والدعاة الجهلاء الذين يتعصبون لأفكارهم وآرائهم رغم مخالفتها لإجماع المسلمين، ثم ولاة السوء الذين يحرصون على المناصب ويعملون في سبيل الوصول إليها أو الاحتفاظ بها كل ما يجوز وما لا يجوز من المكر والكيد والدهاء والخداع ويستبيحون ذلك كله في سبيل الوصول إلى أغراضهم، لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة مهما كانت خبيثة، وأخيراً: عبيد المادة الذين ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [١٩الحشر].

ويضع ﷺ الدواء لهذه الأمراض، فيجعل الأساس الأول فيه هو ملاحظة كمالات الإسلام ودراسة الإسلام وأحكام الإيمان دراسة يستقر بها في نفوس الأفراد والمجتمعات أنه لا مدنية حقيقية ولا سعادة نفسية واجتماعية إلا بالإسلام وكما قال ﷺ: { الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [٢٢].

وفي ذلك يقول ﷺ: ((والشفاء من كل تلك الأسقام الروحانية بالرجوع لما كان عليه سلفنا الصالح تمسكاً بالكتاب والسنة، فإن الله الذي خلق الخلق هو أعلم بصالحهم ومصالحهم وإنما يسعد آخر هذه الأمة بما سعد به أولها))[٢٣] فإذا عشقت النفوس هذا الدين لما فيه من كمالات تعصبت له- أي تمسكت بأن يكون هاديها والمسيطر عليها في كل أحوالها، وقد وضع ﷺ الوسائل التي تحقق المجتمع الإسلامي ونجملها فيما يلي:

أولاً: أن تكون اللغة التي يتفهم بها جميع المسلمين مع بعضهم بعضاً أو مع غيرهم هي لغة القرآن والسنة.

ثانياً: أن تقام حدود الله، بمعنى أن يكون العمل بكتاب الله وبسنة رسول الله.

ثالثاً: أن تكون تربية المسلمين مؤسسة على التربية الإسلامية بحيث يكون التعليم أولاً مستهدفاً تعليم الإيمان والقرآن، ثم يكون تعليم الصناعات أو الزراعة أو التجارة أو تعليم فنون الجهاد وتدبير المدن وسياسة المجتمعات كله مؤسس على الدين، ويكون تعليم تلك الفنون لأنها وسائل لإعلاء كلمة الإسلام وحفظ ثغوره،

---

[٢٢] متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير.
[٢٣] الشفاء من مرض التفرقة للإمام أبي العزائم ص ٣٤.

وجلب الخير لأهله وقوة سلطان المسلمين)) [٢٤]

هذا وقد فصل الإمام أبو العزائم هذه الوسائل ببسط كبير وضع فيه تصوره للمناهج والعلوم التي يجب أن تدرس في المدارس الإسلامية الخاصة بالذكور، والمناهج والعلوم التي يجب أن تدرس للفتاة المسلمة وذلك في كتابه الإسلام نسب فليراجعه من يرجو المزيد في هذا الباب.

وأما الداء العضال الذي أصاب المجتمعات الإسلامية في قلبها وهو مرض التفرقة، فقد شرحه ﷺ في كتاب" *الشفاء من مرض التفرقة*" بإسهاب عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى]، ، وقد أحدث هذا الكتاب عند خروجه دوياً كبيراً حتى أنه ﷺ قدم بسببه للمحاكمة في محكمة الجنايات، ولكنه لم يستكن ولم يضعف، بل واجه المحاكمة في عزة وبأس، واستطاع بلباقته وذكاءه وأسلوبه البارع، أن يخلص من أذى الحكام وكيد الحاكمين.

وسائل تحقيق المجد الإسلامي

وبعد أن وضع أسس تكوين المجتمع الإسلامي التي أشرنا إليها وضح الوسائل التي نستطيع بها تجديد المجد الإسلامي الذي كان لسلفنا الكرام، وسنوجزها فيما يلي وإن كان قد فصلها ﷺ في كتبه "*الإسلام دين*" و"*الإسلام نسب*" و"*الإسلام وطن*".

أولاً- الإسلام دين:

فالإسلام في نظره هو الدين الحق لأن الأديان السابقة قد نسخت بعد بعثته ﷺ، وهو الدين الوحيد الذي يسع البشرية كلها أحكاماً وتعاليماً صالحة لكل زمان ومكان، ومناسبة لكل فرد من بني الإنسان، وفي ذلك يقول: ((ونحن لا نشك أن الدين الذي يجب أن يؤمن به العالم أجمع، لابد وأن يكون مستوفياً للأحكام التي تكون

---

[٢٤] الإسلام نسب ص ٩٣.

بها سعادة الإنسان دنيا وأخرى حقاً، فإذا تقرر ذلك يظهر جلياً أن الإسلام هو الدين الحق، وأن الدين هو الإسلام)) ...[٢٥]

ثانياً: الإسلام نسب:

فالنسب حقيقة عنده ﷺ بين المؤمنين منبثق من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [١٠الحجرات]، لأن الأخ الحقيقي هو من شاكل الإنسان خلقاً وشيمة وعملاً، والمشاكلة لا تكون إلا في مبدأ، ولا يتحقق ذلك إلا في الإسلام، وهذه الأخوة هي التي جعلت سلمان الفارسي من أهل آل بيت رسول الله ﷺ في قوله {سَلمَانُ مِنَّا آلَ البَيْتِ }[٢٦]، وفي ذلك يقول ﷺ :

((يظن الناس أن النسب قرابة تدلى إلى الأب والأم والعم والخال، جهل الناس بحقك أيها الأخ الصالح التقي، ليس هذا هو النسب، إنما النسب حقيقة الإسلام، لأن نسيبك في الحقيقة من شاكلك حقيقة وخلقاً وشيمة وعملاً، ولو كان أعجمياً وكنت شريفاً هاشمياً، وحسبنا حجة في ذلك قوله ﷺ (أدخل الإسلام بلالاً في نسبي وأخرج الكفر أبا جهل من نسبي)، وقوله ﷺ (سلمان منا آل البيت)، فالقرابة يا أخي هي المشاكلة، ولا مشاكلة إلا في مبدأ ينتج السعادة، وفي معنى يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ، ولا يتحقق ذلك إلا في الإسلام، وليس ابن أمك وأبيك بقريبك إن خالفك شكلاً واعتقاداً وشمائلاً وميولاً، وليست القرابة تصح حقيقة في الدنيا للمعاونة وفي الآخرة بالسعادة إلا بأخوة الإسلام، وكل قريب وصديق وحبيب ولو من أب وأم لم تكن قرابته للإسلام، فهي خسران في الدنيا وهلاك في الآخرة، سرُّ قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف])).

ثالثاً: الإسلام وطن:

فيعيب ﷺ على من يتمسك بتراب نشأ على أرضه، ويجعله هو الوطن فيقول له : ((الوطن هو الإسلام وليس هو أرضاً خضراء أو أفقاً من سماء زرقاء، بل ذلك الوطن هو الإسلام، نعم لأن العمل بروح الإسلام يجعل المسلمين رجلاً واحداً، كل

---

[٢٥] الإسلام دين للإمام أبي العزائم ص ١٦، ١٧.
[٢٦] رواه الطبراني في الكبير.

فرد منهم عضو لذلك الجسد))[٢٧].

ثم يذكر المسلم بالمجد الإسلامي عندما كان الإسلام وطنٌ للجميع فيقول:

((تذكر أيها الأخ المسلم هذا المجد الذي كنت فيه مذ كان وطنك الإسلام، كان الصيني يلقى المراكشي، فإذا قال السلام عليكم بشَّ في وجهه فرحاً بسماع الكلمة الإسلامية وضمه إلى صدره، وأسرع به إلى بيته، وفتح له عن خزائن المسلمين التي في بيته، كانت كلمة السلام عليكم توجب على سامعها بذل المال والنفس في النصرة والتأييد، ما ذلك إلا لأن الوطن كان الإسلام)).[٢٨] وبعد أن بيَّن ما ناله المسلم من ودٍّ بينه وبين أخيه المسلم بسبب الإسلام، بيَّن العزة التي أضفاها الإسلام على أبنائه فقال ﷺ :

((أنت أيها المسلم وحقك كنت أسعد الخلق طراً، مذ كان الإسلام وطنك، كانت تنحني لك الرؤوس التي عليها التيجان رهبة مذ كان الإسلام وطنك، لم يكن ذلك لخصوص الأمير من المسلمين، بل كان والله أيضاً لتاجر حقير في بلاد غير إسلامية، كنت أيها المسلم إذا انتقلت إلى بلاد غير إسلامية، نُبِّهَ على العامة والخاصة أن يمسكوا ألسنتهم، وأن يغضوا عنك أبصارهم، وأن يحتفلوا بك لتنشر عنهم الخير في بلادك، لم يكن ذلك إلا لأن وطنك الإسلام، وإنك تمثل جمال الإسلام وكماله بالوجه الأكمل، فكنت وأنت منفرد كجيش خميس قمتز له رؤوس أهل التيجان))[٢٩]

وهكذا، فصل الإمام أبو العزائم هذه الحقائق الثلاث: الدين والوطن والنسب، ووضع لكل حقيقة من تلك الحقائق كتاباً خاصاً بها، يبين روح الشريعة فيها، حتى يتحقق كل مسلم أن الدين هو الإسلام، وأن الوطن هو الإسلام وأن النسب هو الإسلام، وأن يسارع إلى الخير الحقيقي الذي سارع إليه أصحاب رسول الله ﷺ وتابعوهم بإحسان، طمعاً في نيل العزة لله، والسعادة في الدنيا والتمكين في الأرض بالحق والفوز برضوان الله الأكبر والنعيم المقيم في جوار رسول الله ﷺ.

---

[٢٧] الإسلام وطن ص ١٠.
[٢٨] الإسلام وطن ص ١٣.
[٢٩] الإسلام وطن ص ١٢

الفصل السادس

الشَّيْخُ المُرَبِّي

- تمْهيد
- التأدُّبُ بآداب الشَّريعَة
- الزُّهْدُ
- الوَرَعُ
- البَصيرَةُ النَّافذَة
- الرَّحْمَةُ بالخَلْق

الفصل السادس: الشيخ المربّي

تمهيد

نشأ الإمام أبو العزائم ﷺ وأرضاه وقد اندرست أحوال الصوفية الصادقين، وظهرت أحوال البطالين والمنتفعين ممن جعلوا الطريق وسيلة للحصول على شهواقم وأغراضهم، ولم يبق إلا نذر قليل حفظوا روح التصوف وأحواله ومواجيده وأخلاقه، أما الأغلبية العظمى منهم فقد جعلوه رسوماً وزياً وأكلاً وشرباً، ونسوا الغرض الذي من أجله أسس، وهو السلوك إلى ملك الملوك ﷻ.

فحاول ﷺ أن يجدد هذه الأحوال التي اندرست، ويبين هذه المكارم التي توارت، ويوضح هذه الأخلاق التي أميتت، وقد طبق ﷺ هذه المناهج والاتجاهات على ثلاث مراحل عملاً بحديث سيدنا رسول الله ﷺ الذي يقول: { ابْدَأْ بِنَفْسِكَ ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ }[٣٠] وقوله { ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ }[٣١] وسنوضح هذه المراحل على قدر ضعفنا وتقصيرنا، لا على قد ر كماله ﷺ وأرضاه.

يرى ﷺ أن الشيخ المربي لكي يؤثر فيمن حوله لابد أن يأخذ نفسه بعزائم الأمور، ولا يترل إلى الرخص، وإن كان يفتي بها لغيره.

وأن عليه أن يعمل أولاً بما يعتقد أنه الصواب، حتى إذا قال وقع القول منه موقع الإجابة وأحدث الانفعال السلوكي المطلوب في نفوس السامعين.

وصفات الشيخ عنده كثيرة نثرها في كتبه الصوفية ككتاب "*مذكرة المرشدين والمسترشدين*" و "*شراب الأرواح*" وكتاب "*معارج المقربين*" وكتاب "*الطهور المدار على قلوب الأبرار*" وغيرها، ونبرز أبرز هذه الصفات ملمحين إلى تحلّيه ﷺ بها كما يلي:

---

[٣٠] رواه الشيخان عن أبي هريرة والطبراني عن حكيم بن حزام

[٣١] عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ أَخْرَجَهُ أَبو دَاوُدَ وَالتِرْمِذِيُّ

التأدب بآداب الشريعة

أخذ نفسه ﷺ بالمجاهدات الفادحة، والعزائم الماضية، حتى يكون أسوة حسنة لمن حوله، فما كان يضيع نفساً من أنفاسه في غير طاعة الله ﷻ، إما بذكر أو شكر أو درس أو تفقد لأحوال أخوانه أو لأحوال المسلمين أجمعين، أو عبادة قلبية خاصة بينه وبين الله ﷻ، حتى أنه ﷺ، كان لا ينام إلا إذا جلست إبنته بجواره أو أحد أبنائه أومحبيه يتلون القرآن على مسامعه، ويأمرهم ألا يكفوا عن ذلك حتى إذا استغرق في النوم، ومن العجب أن بعضهم كان يلحن أحياناً في قراءته، فينتبه ﷺ من نومه ويصحح له القراءة، بل إنه ﷺ لشدة تعلقه بذكر الله ﷻ، كان إذا نام يسمع لتردد أنفاسه نغمة شجية، يسمعها من حوله تقول: الله ... الله.

فإذا كان وقت السحر، استيقظ من نومه وتوضأ وصلى ما شاء حتى يطلع الفجر، فينادي على أهله ومريديه ويقول: الصلاة الصلاة يا غراس الجنة، ثم يصلي بهم، وبعد انتهاء الصلاة يقول للمتكاسلين الذين فاتتهم الجماعة الأولى، موقظاً وموبخاً: الصلاة الصلاة يا غراس النار.

ثم يجلس في مصلاه يقرأ مع أخوانه ورد ختم صلاة الصبح، الذي جمعه من الأحاديث الواردة عن سيدنا رسول الله ﷺ، وأدعية الأنبياء والمرسلين التي تحققت وأجيبت في كتاب الله ﷻ، وبعدها يقرأون صيغ الصلوات التي أمده بها سيدنا رسول الله ﷺ، ثم يشرح لهم ما تيسر من آيات كتاب الله، حتى إذا بزغت الشمس وارتفعت قدر رمح أو يزيد، تناول معهم طعام الفطور وأذن للجميع بالتوجه إلى العمل.

وهو في جميع أحواله لا يخرج عن الشريعة طرفة عين، بل كل حركة وسكنة من حركاته وسكناته كانت مضبوطة بأحكام الشرع الشريف، حتى أنه ﷺ في أواخر أيامه، وكان قد مرض وشلَّت رجلاه، فأرادوا أن يدخلوه دورة المياه، ولم ينتبهوا إذ أدخلوه من الجهة اليمنى فانتفض ﷺ، انتفاضة شديدة وقال وهو يتألم: خالفت رسول الله ﷺ، العفو يا سيدي يا رسول الله.

وقد حضر لديه جماعة من العلماء، فأراد أن يبين لهم الأدب العالي الذي ربى

عليه أبنائه ومريديه، فأحضر رجلاً أمياً، وقال له ماذا تصنع إذا وجدت أن أبا العزائم يخالف رسول الله ﷺ؟ فقال التلميذ الذي تأدب بآداب شيخه: لو خالف أبو العزائم رسول الله ﷺ لقرعناه بنعالنا، فأحتضنه ﷺ والتزمه وقال له: أنت ولدي حقاً، ويقول لهم آمراً باتباع السنة : { حافظ على السنة ولو بشرت بالجنة }، ويقول أيضاً:

لـــسنته فاخـــضع وكـــن متأدبـــاً   وحاذر فحصن الشرع باب السلامة
على الجمر قف أن أوقفتك تواضعاً   يكن لك برداً بل ســـلاماً برحمـــة

بل أنه ﷺ يجعل الحكم على المريد، متوقفاً على مدى استجابته لأوامر الشريعة المطهرة، فيقول مبيناً علامة المريد الصادق من الدَّعي المندس في صفوف الصادقين:

من فارق الشرع الشريف فليس من   آل العـــزائم فـــافهمن برهـــاني

ولا عجب في ذلك، حيث أنه ﷺ، كان يحدث عن جده الصالح أبي العـــزائم ماضي هذه الواقعة التي دارت بينه وبين ولد شيخه أبي الحسن الشاذلي ﷺ فقال:

((كان للشيخ ولد اسمه علي، فلقيته بالإسكندرية سكراناً بالخمر، فأتيت بـــه إلى الدار، وضربته ضرباً وجيعاً حتى تعلق بأمه، فجذبته حتى خرج بخيوط رأســـها في يده، فصاحت وبكت فدخل عليها الشيخ فقال لها: ما يبكيك؟ فأخبرته بالقـــصة ولم تخبره بسكره، فتغير الشيخ لذلك، فلما دخل الزاوية قال لي: يا ماضي لما فعلت كذا وكذا؟ قلت لأني وجدته سكراناً بالخمر، والله لو تعلق بك لجلدته الحـــد، فقـــال لي هكذا هو، وتغير وجهه، ودخل الخلوة ساعة، واستدعاني فدخلت عليه فوجدته فرحاً مستبشراً، فقال لي دخلت إلى هذا المكان وهممت أن أدعو على ولـــدي، فقيـــل لي: ياعلي مالك ولولي! دعه حتى ينفذ ما قدرته عليه!، فلم تمض إلا مدة يـــسيرة، حـــتى خرج في سياحة، وظهر في أرض المغرب وظهرت ولايته)) [٣٢]

ولهذا كان ﷺ أول ما يأتي إليه المريد يوجهه إلى تعلم الشريعة المطهرة والعمل بها ويقول: طريقنا هذا أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة، ويحدد مآخذ طريقتـــه في أكثر من موضع في كتبه ويقول:

[٣٢] درة الأسرار لابن الصباغ ص ٤٩.

((طريق آل العزائم هو ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ﷺ جميعاً، وأساسه مقام الإحسان بعد مقام الإسلام والإيمان، والسالك في هذا الطريق يجب أن يكون محصلاً ما لابد له منه من العقيدة الحقة والعلم بأحكام العبادات والمعاملات والأخلاق كما هي سنة المرشدين، فكذلك السير في كل المساجد والزوايا المعدة لتربية الطريق، فإن خديم الفقراء يبتدئ بتعليم الأحكام الشرعية والآداب النبوية، وتعليم المعاملات والأخلاق بجميع أنواعها)) [٣٣]، ويقول محذراً لمن يخالف هذا المنهج: ((وكل خديم في بلد خالف منهج المرشد أفسد على الفقراء أحوالهم)) [٣٤]، ويحدد ﷺ الأسس التي بنى عليها طريقته فيقول: ((مآخذ هذه الطريقة:

- كتاب الله تعالى بعد علم محكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه عملاً بالمحكم وإيماناً بالمتشابه بقدر الاستطاعة وتركاً للمنهي عنه جملة واحدة إلا لضرورة شرعية.
- أقوال رسول الله ﷺ بعد العلم بصحة السند فيما يؤدي إلى علم اليقين والأخذ بأقواله بدون ملاحظة إلى السند فيما يؤدي إلى فضيلة أو مكرمة.
- وأعماله ﷺ التي تثبت من طرقها الصحيحة وأحواله ﷺ المبينة في كتب السيرة الصحيحة التي يستنير بها المرشد عند مقتضيات ذلك.
- وهدي الخلفاء الراشدين وأئمة الصحابة المأخوذ من تراجمهم ﷺ أجمعين والأخذ بالعزائم في كل ذلك.
- وأعمال السلف الصالح وأئمة المسلمين ومواجيدهم الصادرة عن عين اليقين وصدق التمكين وصفاء الضمير والإخلاص في المعاملة لرب العالمين.
- ثم طمأنينة القلب بعد العلم بكل ذلك حال الدخول في العمل أو القول أو الحال لأن كل ذلك خالص لوجه الله بحيث أن السالك في هذه الطريقة إذا لم يستبن له الأمر في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ أو في هدي السلف الصالح يلزم أن يتوقف عنه حتى يطمئن قلبه أنه خير وأنه خالص لله تعالى)) [٣٥]

[٣٣] نيل الخيرات الطبعة الحادية عشرة ص ٣٦.
[٣٤] نيل الخيرات الطبعة الحادية عشرة ص ٣٧.
[٣٥] نيل الخيرات الطبعة الحادية عشرة ص ١٠.

الزهد

ويؤكد هنا ﷺ أن من يقوم لدعوة الخلق إلى الله لابد أن يكون مستغنياً بالخالق عن الخلق، ومتأسياً في أحواله بالسادة الأنبياء حيث يحكي عنهم الله قولهم لأممهم: ﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ﴾ [٥١هـود]

ويقول معرفاً بالشيخ المربي: شيخك من يعطيك لا من يأخذ منك. وقال لمن سـألوه عن العلامة التي يعرفون بها صدق الـداعي إلى الله ﷻ في دعوتـه: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا ﴾ [٢١يس].

وضرب بنفسه ﷺ أروع الأمثال في ذلك، فحينما استقر في القاهرة وقد فصله الإنجليز من عمله، وداره غاصة بالمريدين والأحباب الذين يحتاجون إلى نفقات كبيرة وكثيرة، حتى أن أبرز محبيه وهو محمد محمود سليمان باشا، وكان يسمى في عـصره ملك الصعيد لثرائه الواسع، سجَّل حجة ووثقها في الشهر العقاري بمائة فدان باسـم الإمام أبي العزائم ﷺ. وذهب إليه وعرضها عليه وقال: يا سيدي هذا شـئ يـسير تستعينون به على أمور الدعوة، وحاجات الفقراء، فغضب أبو العـزائم ﷺ غـضباً شديداً، حتى أن الشرر كاد أن يتطاير من عينيه، وقال له في حدة: من الذي قال لك أن أبا العزائم يحب الدنيا؟ انظر، وأشار إلى خلفه فنظر فرأى عجباً، رأى أكواماً مـن الذهب لا حصر لها، فعلم أن تلك عناية الله بأحباب الله وأصفيائه، حتى أنـه لـشدة زهده ﷺ، سجل البيت الذي كان يقطن فيه باسم (آل العـزائم) في كـل أقطـار الأرض، حتى يتأس بسيدنا رسول الله ﷺ، ويخرج من الدنيا ولم يصب منها شيئاً، هذا مع أن الضرورات الكثيرة كانت تنتابه المرة تلو المرة، لكنه كان بما في يد الله أوثـق منه بما في يد نفسه.

وهكذا يجدد أبو العزائم أحوال السلف الصالح في زهدهم في الدنيا وإقبـالهم على الله، ويعرفهم بأن الزهد لا يتم إلا بعد وجود الشئ في ذات اليد، فتكون الدنيا في يد الإنسان ولكنها خارجة من قلبه، بمعنى أنه لا يفرح بها عند الوجـد ولا يحـزن عليها عند الفقد، أما الزهد في غير الوجد أي زهد الإنسان لأنه لا يملك شيئاً فهـذا ليس بزهد العارفين، وإنما زهد العوام من الناس، لأنه إذا حصل عليها ربما يتغير حاله.

الورع

وهو عنده ﷺ للسالكين في ترك الشبهات، وللواصلين في ترك كثير من المباحات، وللمتمكنين في ترك ما سوى الله ﷻ بالكلية.

فقد كان له ﷺ فيه الباع الأعظم والقدر الأجلُّ، وليس أدلَّ على ذلك من هذه الحادثة الفريدة من نوعها: فقد دعاه صالح سليم باشا في بور سعيد لتناول الغذاء عنده هو وإخوانه، فما كان منه ﷺ، بعد محاولاته الاعتذار واصرار الباشا ورجاؤه وتوسلاته على التلبية إلا أن أمر ابنه المبارك السيد أحمد ماضي أن يأخذ معه رغيفين من الخبز وقطعة من الجبن، ولما استقروا على المائدة، وقد غصَّت بأصناف الأطعمة الشهية، وأذن الباشا للحاضرين بتناول الطعام بعد استئذانه ﷺ في ذلك، طلب من السيد أحمد إخراج ما معه من الخبز والجبن ووضعه أمامه، فأسرع الباشا إليه هلعاً وسأله لماذا يأكل هذا الطعام مع أن المائدة حافلة، وفي إمكانه ووسعه أن يأتي بما يريد استجلاباً لرضاء الشيخ ﷺ، فقال له ﷺ بحكمته المعهودة: (إن هذا الطعام أمرني به الطبيب) – ويقصد الطبيب الأعظم ﷺ .

ولم يكتف ﷺ بالتخلق بهذا الخلق الكريم والحال العظيم في نفسه وإنما كان يدرب ويمرن أولاده ومحبيه على هذا الورع ويباعد بينهم وبين الشبهات والمحرمات قدر ما يستطيع، فهذا رجل فلاح من أتباعه، وكان يسكن في منطقة بولاق، وكانت قبل عمرانها الحالي منطقة زراعية، وكان أهلها يبيعون اللبن كل صباح لسكان القاهرة، فشكا له الرجل أن زوجته تخرج مع جاراتها باللبن، فيرجعن مسرعات وتتأخر هي حتى ضحوة النهار، مما جعله يشك في أمرها، ويتهمها في سلوكها.

وعرض الأمر على الشيخ ليجلي له الحقيقة، فقال له الشيخ ﷺ، ضع غداً قدراً من الماء على اللبن من غير أن تعلمها، فنظر الرجل إليه بدهشة ولكنه ﷺ قال له: افعل ما أمرتك به، فعلم أن هذا لحكمة عالية يعلمها الشيخ، وكانت دهشته أعظم عندما نفذ أمر الشيخ، ووجد زوجته ترجع مع صويحباتها، فأسرع إلى الشيخ وعليه إمارات الدهشة، فقرأ ﷺ ما يدور بخلده وقال له: يا بني إن جاراتك تغش

اللبن بالماء، فيقيِّض الله لهن مالاً حراماً ثمناً له، والمال الحرام كثير هذه الأيـام، ولـذا يرجعن بسرعة، أما زوجتك فلأنها تراعي حق الله وتتأدب بآداب سيدنا رسـول الله فإنها تتعب حتى يهيئ الله لها مالاً حلالاً ثمناً للبنها، وذكره بالقول المأثور: { إذا غضب الله على عبد رزقه من حرام، فإذا اشتد غضبه عليه بارك له فيه }.

والورع هو مقام الصديقين عنده لأنه أفضل من كل العبادات على الإطـلاق سر قوله ﷺ: { إتَّقِ المَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ }[36]

البصيرة النافذة

كان ﷺ يرى أن أهم صفة يجب أن تتوفر في الشيخ المربي هي البصيرة النافذة، التي تنفذ بشعاعها النوراني وراء الحواجز والمسافات، لتسهل للسالك قطع العقبـات والمفازات والوصول إلى أعلى الدرجات والمقامات، ويستشف ذلك من قول الله ﷻ لحبيبه ﷺ في محكم التنزيل ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [١٠٨يوسف].

وهذا هو نهج الصوفيين الحقيقيين قديماً وحديثاً، فهذا سيدنا الجنيد ﷺ عنـدما تلقى الإذن من شيخه السري بالإرشاد وجلس في المسجد الجـامع وتجمـع حولـه الخلائق، اندس في وسطهم نصراني، وقد تزيا بزي رجل عربي، وبادره قبل أن يتكلم بالسؤال قائلاً: ما معنى حديث: { اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُـورِ اللَّـهِ }[37] ؟ فنظر إليه ودقق النظر وأطرق برأسه إلى الأرض ثم رفعها بعد برهة وقالَ له: معناه أنَّه قد آن الآن أوان إسلامك يا نصراني؛ فانطق بالشهادتين، وفي ذلك يقول ﷺ:

إذا رمت أن ترأى بعين البـصيرة ... فسلم لنا الأحوال في كل حضرة
ومن راحنا الصافي تناول مدامـة ... يناولها المختار من غـير راحـة
فقد خـصني طـه بفـيض وداده ... وأعلى بمحض الفضل شأني ورتبتي
أنا الباب فرد الوقت من غير ريبة ... أنا ساقي الندمان راح الشهادة

---

[36] رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة.
[37] رواه الطبراني والترمذي من حديث أبي امامة.

ويقول أيضاً ﷺ:

أنا الخبير فسلني عنه أنبيك وسلمن لي إلى العليا أرقيك
واخلع سواه وكن صبابة مغرم وبعه نفسك والأموال يعطيك

وكان ﷺ المثل الأعلى في عصره في الشفافية النورانية والبصيرة الروحانية، بل أن كل حركاته وسكناته تشف عن هذه البصيرة الوضاءة، وخاصة أمام المعارضين والمعاندين، فعندما أوعز الإنجليز لعلماء الأزهر أن يتهموه في عقيدته زوراً وبهتاناً، ليتسنى لهم محاكمته بعد الصاق التهم المزعومة به، تريث عقلاؤهم وآثروا أن يرسلوا عشرة منهم لاختباره، وحضروا الأسئلة التي تكشف لهم حقيقة أمره، وتخيَّروا لذلك الأمر ليلة الإسراء والمعراج، حتى ينكشف أمره حسب زعمهم لمريديه وأحبابه، وكان يوضع له كرسي خاص في وسط السرادق الذي يقام لأجل إحياء هذه المناسبة، فطلب ﷺ من أبنائه المشرفين على الحفل أن يجهزوا خمسة كراسي عن يمينه وخمسة عن يساره ولا يدعون أحداً يجلس عليها إلا بإذن منه شخصياً.

وعندما بدأ الاحتفال، وسط دهشة الحاضرين من هذه الكراسي الفارغة من الجالسين، إذا بالعشرة علماء يحضرون، فأمر باجلاسهم على الكراسي المعدة لهم، وبعد ترحيبه بهم، أخذ يجاذبهم أطراف الحديث قائلاً:

عندما كنت بالسودان، جاء عشرة من العلماء كهيئتكم ليمتحنوني فسألني الأول الذي عن يميني وأشار إلى الذي عن يمينه، عن كذا؟ - وعين السؤال الذي حضره وجهزه هذا الشخص - ثم ذكر الثاني بسؤاله وأجاب عليه، وهكذا حتى أجاب العشرة عن أسئلتهم التي جهزوها بدون أن يطلع عليها أو يتفوهوا بها ... بصيرة من الله ونورانية، وشفافية وإمداداً من سيدنا رسول الله ﷺ.

بل أنه ﷺ كان يفحم المستشرقين حين يستشف ببصيرته النافذة أغراضهم الخبيثة التي تكمن في أسئلتهم، فهذا أحدهم يتوجه إليه بالسؤال قائلاً: الحي أفضل أم الميت؟ فأجابه على الفور بدون تريث مريم أفضل أم إبليس؟ فبهت الذي كفر .. وتعجب الحاضرون لوجومه, فكشف لهم حقيقة الأمر وقال: إن هذا يريد أن أقول

له: الحي! فيصل عن طريق الجدال إلى أن عيسى وهو في نظرنا حيٌّ أفضل من سيدنا محمد، فأجبته بأن إبليس حيٌّ ومريم قد ماتت.

أما عن بصيرته ﷺ في تربية مريديه وأحبابه فحدث عنها ولا حرج، والأمر فيها أكثر من أن تحويه هذه الصفحات، وحسبنا منها هذا المثال الذي في تسبب في توبة أخص كتابه كامل أفندي وإسلام زوجته الفرنسية، والتي سمت نفسها فاطمة.

فقد كانت أم كامل من الصالحات القانتات، اللاتي تهذبن وتربين على يد الإمام أبي العزائم، وكانت تذكر لابنها في رسائلها إليه كثيراً من النوادر والأحاديث التي تسمعها من الإمام أبي العزائم، فظن ابنها لعدم معرفته بالإمام أنه رجل عادي، وأن هناك علاقة بينه وبين أمه، فصمم وهو في دراسته للحقوق بفرنسا أن يقتل الإمام أبا العزائم بعد عودته إلى مصر، وعند مجيئه أظهر لأمه اعجابه بأبي العزائم، وطلب منها أن تصحبه هو وزوجته ليسلما عليه، وأخفى المسدس في ثيابه، وجهزه للضرب فوراً، وعندما رآه الإمام قال له على البديهة: مرحباً يا كامل أفندي، جئت تقتل أبا العزائم: وتخفي المسدس في ثيابك؟ اخرج مسدسك فإن الله حائل بينك وبين ذلك.

فذعر الرجل وأخرج مسدسه، وسلمه له، وترجم لزوجته الفرنسية ما دار فارتمت على الأرض، وأغمي عليها، وفي تلك اللحظات، رأت أن القيامة قد قامت، والملائكة يأخذونها ليقذفونها في جهنم، وهي تستجير فلا تجد من يدفع عنها، وبينما هي على باب النار، إذا بها تجد الإمام أبا العزائم يقول لهم: خلوا عنها، فأمسكت به ثم أفاقت من سباتها وهي تصيح يا أبا العزائم .. فأسلمت وحسن إسلامها وصارت تكتب باباً ثابتاً في مجلة المدينة المنورة الأسبوعية تحت عنوان ((أوربية أسلمت)).

والإمام يحدد مهمة الشيخ في تصفية قلوب المريدين، وتهذيب نفوسهم وصفاء أحوالهم، فإذا كان هو لم يتمكن من تلك الأحوال ولم يستطع أن يهذب نفسه فكيف يعطي ذلك لغيره؟ وفاقد الشئ لا يعطيه.

وهذه البصيرة هي سلاح العارفين عند ورود الشبهات وقائدهم للوصول إلى مراد الله في تأويل الآيات القرآنية، ومعرفة ما يقصده سيدنا رسول الله ﷺ في

الأحاديث النبوية، وهي التي تحدد الأمراض والحجب والقواطع التي تمنع السالكين وتحجبهم عن الوصول إلى درجات الروحانيين، ويقول في ذلك: ((وإنما إمام المستقين من وصل إلى جناب القدس ثم ورَّثه الله علوم الرسالة والنبوة، فأقام داعياً للحق بالحق دالاً على الحق بالحق، مجدداً للسنة، مبيناً لسيرة السلف الصالح، هذا هو الإمام المقتدى به، وإذا أظهره الله في عصر من العصور وجب على كل طالب أن يقتدى به أو بمن اقتدى به أو بمن اقتدى بمن اقتدى به، فإن هؤلاء في الجنة ما داموا محافظين على تلك الأسرار)) ..[٣٨]

وينعي ﷺ على كثير من مدعي الصوفية في عصره فيقول: ((هذا وبعض أهل الطريق، إذا مات المرشد أو مات الشيخ المأذون بالطريق، يسلمون لأحد أولاده أو أقاربه، وهذا أمر حسن، لو أن من سلموا له يكون على شئ من العلم والعمل والحال، واجتهد في تحصيل ما به كمال نفسه ونفع غيره، وحافظ على الاقتداء بالمرشد محافظة حقيقية في القول والعمل والحال.

أما إذا سلموا لابن المرشد، أو لأحد أقاربه، وكان صبياً لم يبلغ الحلم، أو كبيراً على غير استقامة، بعيداً عن معرفة الطريق وأهله، فإنهم بذلك يكونون عرضوا من اقتدوا به للهلاك وأهلكوا أنفسهم، لأنهم بذلك يجعلوه يغتر بنفسه، ويتكبر على العلم، ويحتقر العلماء، ولا يزيده الإقبال عليه، إلا غروراً وبعداً عن الله، وكأنهم بذلك أساءوا إلى مرشدهم فإنه جملهم بالعلم والعمل والحال، وهم لم يحسنوا إليه في أولاده وأهله، وكان الواجب عليهم، أن يجتهدوا في تربية ابن الأستاذ أو من يكون من أهله، تربية حقيقية، علماً وتهذيباً وعملاً حتى يكون لسان صدق لوالده، ووارثاً لعلومه وأحواله، وإني لأعجب من رجل لا يرضى أن يجعل الحصرم من العنب زبيباً ويرضى أن يجعل الطفل الصغير المؤهل للتربية والتهذيب والتعليم، مرشداً عظيماً، وظن أنه يحسن صنعاً)) ..[٣٩]

ويأتي ﷺ بالقول الفصل في هذا الأمر الذي طال فيه الجدل والكلام بين أبناء

[٣٨] مذكرة المرشدين والمسترشدين طبعة سنة ١٩٨٣ ص ٦٤.
[٣٩] مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ٦٥.

الطرق الصوفية وغيرهم في شأن من يقوم بتربية المريدين بعد شيخهم فيقول:

((أن الله ﷻ حكمٌ في كتابه العزيز في ميراث الأرض خاصاً لمخصوصين، وحكم في ميراث السماء أنه فضله يؤتيه لمن يشاء، فحكم ﷻ في خير الدنيا بما هو واضح، وحكم في ميراث الأنبياء والمرسلين بالفضل العظيم بأنه لمن يشاء ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [٢١الحديد].))[40]

الرحمة بالخلق

خلق سيدنا رسول الله ﷺ من عين الرحمة الإلهية فكان رحمة مفاضة لجميع الكائنات العلوية والسفلية، سرُّ قول الله ﷻ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء]، ومن قلبه ﷺ تفاض الرحمة على قلوب وارثيه فيغمرون الكون بضروب الرحمة المحمدية من الشفقة والعطف والحنان والكرم والبر والإحسان والعفو والصفح والغفران وغيرها من أبواب الرحمة التي لا حصر لها.

وقد كان عين أعيان الرحمة الإيمانية الإسلامية في هذا العصر، مولانا الإمام أبوالعزائم ﷺ، فقد وسعت رحمته الصغير والكبير، فكان ﷺ يقضي جلَّ وقته يؤنس أبناء المريدين والمحبين حتى تعلقوا به من نعومة أظفارهم، وشعاره الدائم في ذلك: (عاشروا الناس معاشرة، إن عشتم حنوا إليكم وإن متم بكوا عليكم)، حتى أنه في سبيل ذلك كان ينسى أبنائه الصلب نظراً لانشغاله بأبناء الفقراء.

وعندما أقامه الله لدلالة الخلق على الله:

اختار نفراً من خاصة أصحابه يعاونونه في أداء هذه الرسالة وأتى بأسرهم، وأسكنهم في داره وتكفل برعايتهم وتربية أبنائهم والإشراف على جميع شئونهم، ليتفرغوا لدعوة الله ﷻ، لأنه ﷺ، كان يرى أن سريان القيم الإسلامية وانتشار المكارم الإيمانية في المجتمع هما العامل الأكبر لحفظه من الضياع والتفكك، وصونه من الخلاف والشقاق والفساد، وحفظه من الأمراض القلبية كالحقد والحسد والشح والطمع والحرص والأثرة وغيرهما، وهذه المهمة لا يقوم بها إلا الدعاة إلى الله

[40] مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ٦٥.

المخلصين الذين أخلصوا لله قلباً وقالباً، والذين يقول فيهم:

عبيـــد أخلـــصوا لله ذاتـــاً وقاموا صادقين بحسن نيـــة
فلم يشغلهم حـــظ ووهـــم عن الإخلاص للذات العلية
ومن يد سيد الرسل التهامي سقوا خمر البشائر أحمديـــة

وكان ﷺ من شدة حدبه وحرصه على مريديه:

يدخل غرفته الخاصة موهماً خاصة أصحابه أنه سينام، فإذا تأكـد مـن نـوم الجميع، خرج من غرفته ماشياً على أطراف أصابعه، يتفقد المريـدين، فيغطـي مـن كشف الغطاء عن نفسه، ويصلح من نام على غير هيئة النـوم الطبيعيـة، حـتى إذا اطمئن على الجميع، دخل فاستراح في حجرته.

وبلغ به ﷺ فرط إحساسه بإخوانه:

أنه كان يأمر من يدعوه إلى منزله ألا يحضر الطعام حتى يراه بنفسه، ويمـسك المغرفة ويحركها فيه بضع مرات، ذاكراً الله ملتمساً منه ﷻ البركة، فيكثـر الخـير ويفيض، وإذا تفرس في فقير أنه يودُّ دعوته إلى بيته، ولكن يمنعه من ذلك ضيق ذات اليد، يخبره أنه سيزوره في ميعاد ويحدده، ويرسل قبل الميعاد نفراً من خاصة أحبابـه ويعطيهم المال، ويكلفهم أن يشتروا أصنافاً من المأكولات والفواكه والحلويات تليق بالوجهاء والأغنياء، ولا يخبرون أحداً بهذا الصنيع، ثم يذهب هو ورفاقه، فينبـهرون من ضروب الخير وأصناف البر، التي يجدونها عند أخيهم الفقير، ويسر الفقير وأهـل بيته سروراً ما بعده سرور، ويقول ﷺ معلماً لأحبابه ومريديه قول رسول الله ﷺ:

{ مَا عُبِدَ اللهُ بِشَيءٍ أَفْضَلَ مِنْ جَبْرِ الْخَاطِرِ }[٤١]

وكمثل السادة الصوفية المحققين والذين يعبر عنهم سيدي أبو العباس المرسـي ﷺ فيقول:

((لا تمنعوا أحداً من الدخول علينا بليل أوبنهار، فإن المريد يأتي والشوق يملأ

[٤١] ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة.

فؤاده، فإذا منع فسد حاله وتغير)).

ويمتثل بقول القائل: ((قلوب الأحرار لا تحتمل الانتظار)).

وهكذا أيضاً كان الإمام أبو العزائم ﷺ، فقد حكى الأخ الصادق الشيخ عبد الحميد سري وكان كاتباً بمحكمة السويس:

أنه وجد سيارة متجهة إلى القاهرة لقضاء مصلحة ضرورية وترجع في نفس اليوم، فاستأذن في الذهاب معهم ليبلّ شوقه بملاقاة مولانا الإمام، وعند حضوره إلى دار أبي العزائم، كان وقت القيلولة، وكان الشيخ مفتاح زيدان الخادم الخاص للإمام، يجلس على باب الغرفة حتى لا يترك أحداً يقلق راحة الإمام أثناء قيلولته.

فاستأذنه الشيخ عبد الحميد سري أن ينظر إلى وجه الإمام وهو نائم حتى يمتع نظره بالنظر في وجهه، لأن النظر في وجه العالم عبادة، فامتنع الشيخ مفتاح، وبينما هم كذلك إذا بالشيخ يصفق بيديه ويستدعي الشيخ مفتاح ويقول له: من بالباب؟ فيقول له: عبد الحميد سري. فيقول له: ادخله، فأدخله فصافحه ثم سأله عن أحواله وعن أحوال رفاقه في السويس، ثم قال له مبشراً ومشجعاً على هذه الهمة:

((يا بني نظرة في الوجه خير من ألف شهر)).

وهذه الرحمة التي امتلأت بها جوانح هذا القلب الكبير وسعت جميع خلق الله حتى قال ﷺ:

((آل العزائم لهم حال مع الله يجذب الكافر والنافر فما بالك بالمؤمن المطيع؟))

هذه الرحمة التي كان يفتح بها أبواب التوبة والاقبال على الله للعصاة والمذنبين ويدعوهم إلى الله مشجعاً وحاثاً قائلاً:

((رب معصية أورثت ذلاً وإنكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً))

ويقول ﷺ أيضاً:

اسمعوا فالذنب سر الاقتراب   من هو المعلوم في حل غياب

يكسر الذنب القلوب بوقعه	كسره قرب إلى نور الكتـــاب

هذه الرحمة وسعت حتى الكافرين لتظهر لهم جمال هذا الدين، فيقبلوا على الله خاشعين مخبتين، فقد كان يسكن فوقه امرأة يهودية وأولادها، ورفضت أن تخرج من السكن، وبالغت في إيذائه ﷺ أشد الإيذاء، حتى أنها كانت تمسك الهون وتدق عليه في الحجرة التي ينام فيها، في أوقات راحته حتى لا ينام.

ومن كثرة تكرارها لهذا العمل، حدث خرق في السقف، فكانت تنتظر حـــتى يلبس ملابسه ويتهيأ للخروج فتلقي عليه من الخرق، القاذورات التي تنجس ثيابـــه، ويتضايق المريدون ويثور بعضهم، فيقول لهم ﷺ ملاطفاً: قال ﷺ: { لَمْ يَكُنْ مُـؤْمِنٌ وَلاَ يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلاَّ وَلَهُ جَارٌ يُؤْذِيهِ }[٤٢]

ثم يأمرهم أن يبدأوا بها دائماً بعد طهي الطعام، فيعطوها ما يكفيها وأولادهـــا، ويطلب منهم أن يشتروا لها ولأولادها كسوة من الملابس كل عام، حتى أنها لما رأت أن صنيعها لا يغير شيئاً، بحثت عن سكن آخر وتركت المنزل.

وبعد هنيهة من الزمن، فوجئت بأبي العزائم يدق عليها البـــاب ويـــستأذن في زيارتها، ويعتذر إليها إن كان قد بدا منه أو من أحد من أولاده شيئاً أساءها فاضطرت إلى مغادرة المنزل – وإزاء هذه الأخلاق العالية، لم تتمالـــك اليهوديـــة إلا أن تعلـــن إسلامها إعجاباً بهذا الخلق النبيل.

ويلقن الإمام أبناءه في هذا الأمر درساً عملياً عندما قال له أحدهم مردداً قول القائل: (اتق شر من أحسنت إليه) فقال ﷺ:

هذه العبارة غير كاملة، اكملها بما يأتي:

((اتق شر من أحسنت إليه بدوام الإحسان إليه)).

وصدق ﷺ إذ يقول:

ليس الرقي إلى العليا بأعمـــال	ولا الوصول بأقوال وأحـــوال

---

[٤٢] رواه أبو سعيد النقاش والأصبهاني وابن النجار عن علي كرم الله وجهه.

ولا بعلم به تغوى ولا أمل ... ولا جهاد بأبدان وأموال
لكنه منة من فضل واهبه ... به تعد جميلاً بين أبدال
خلق عظيم وإيقان ومعرفة ... بالله ذي الفضل والاحسان والوالي
إذا عرفت مقام الله خفت وفى ... خوف المقام تنال القرب بوصال
هذا الوصال وهذا القرب أجمعه ... سعادة أبدا فضلاً بغير زوال

وبالجملة فإن صفات الدعاة إلى الله والعلماء أهل الخشية والحكمة قد أفاض فيها الإمام أبو العزائم ﷺ في كثير من كتبه وأهمها:

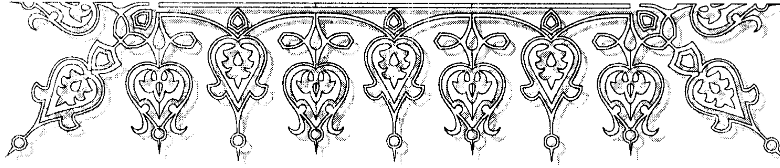
(**معارج المقربين**) و(**مذكرة المرشدين والمسترشدين**) و(**الطهور المدار على قلوب الأبرار**) و(**دستور السالكين طريق رب العالمين**) و(**آداب السلوك إلى ملك الملوك**) و(**شراب الأرواح من فضل الكريم الفتاح**) وغيرها من الكتب.

ونكتفي بهذا القدر رغبة في الإيجاز ...

ومن أراد المزيد فعليه بهذه الكتب.

والله الموفق والهادي إلى أقوم السبيل...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الفصل السابع

الجهاد الأكبر

- تمهيد
- أولاً: العلم
- ثانياً: العمل بالعلم
  - تصحيح الوجهة
- ثالثاً: تزكية النفس

الفصل السابع: الجهاد الأكبر

تمهيد

على أن أروع ما قدمه الإمام أبو العزائم من تجديد في العصر الحديث، هو تربية جيل من الصوفية العظام، الذين عرفوا الله حق معرفته، وقاموا في لجة هذا البحر العميق (الدنيا) منارات يهتدي بها الحائرون ويقتدي بها السالكون، فكأنهم المعنيون بقول رسول الله ﷺ :{ العُلَمَاءُ سُرُجُ الدُّنْيَا وَمَصَابِيحُ الآخِرَة }[٤٣]

فقد كان ﷺ وهو فرد، مدرسة كاملة يترقى فيها المريد من أوائل مقامات السلوك، حتى يصل إلى منتهى الدرجات قربا من ملك الملوك ﷻ، وهو في ذلك كله أسبقهم عملاً بما يقول، وأنهضهم عزيمة لما يطلب، وأقواهم حالاً فيما يأمر.

وفي ذلك يقول ﷺ:

بعض حالي يدك شم الجبال   وبقولي يلوح نور الجمال

وقد أفاض ﷺ في الحديث على مراتب تهذيب السالكين ومراحل مجاهدتهم، وبين المقامات والأحوال التي يمرون بها في سيرهم وسلوكهم، وذلك في معظم كتبه وأهمها في ذلك الأمر: (***معارج المقربين***) و(***مذكرة المرشدين والمسترشدين***) و(***الطهور المدار على قلوب الأبرار***) و(***دستور السالكين طريق رب العالمين***) و(***آداب السلوك إلى ملك الملوك***) و(***شراب الأرواح من فضل الكريم الفتاح***) وغيرها من الكتب التي لا يتسع المجال لذكرها الآن.

والحديث عن كيفية تربيته ﷺ للسالكين وإرشاده للواصلين، يحتاج إلى مجلدات كثيرة لما يتصف به من تحليل نفسي وسمو روحي ولاتساع جوانبه، حيث أن السالكين

[٤٣] رواه ابن عدي وأبو يعلي عن علي كرم الله وجهه.

تختلف مشاربهم وأذواقهم، ولكل مشرب ذوقه ومواجيده ومقاماته وأحواله ومنازلاته ومؤانساته وملاطفاته، ولكننا سنجمل ما لابد منه، حتى لا يخلو هذا المختصر من إشارة إلى مراقي الرجال ومجاهداتهم في المدرسة العزمية، وهي بحسب المراحل الإجمالية التي يمر بها السالكون كما يلي:

أولاً: العلم

فيوجه ﷺ السالك في بدايته إلى تحصيل ما لابد له منه من العلوم الشرعية التي تصحح عمله ويقول في ذلك:

((عمل بلا علم ضلال وعلم بلا عمل وبال)) ويطلب من المريد أن يجد في تحصيل تلك البدايات – وقد لخصها في مقدمة كتابه ((***أصول الوصول***)) ويقول في ذلك منبهاً ومشجعاً:

حصل العلم بعزم صادق لا تكن في العلم كسلاناً ملول
حصل العلم بالقدر الذي يقتضيه الوقت لا قال يقول

ومن لم يستطع أن يحصل هذا العلم بنفسه، كان يوجهه إلى تحصيله عن طريق السماع من العلماء أهل الخشية، ويوضح له أمثل الطرق لتحصيل العلم من هؤلاء العلماء فيقول له في الحكمة ((زك نفسك قبل السماع تشرق عليك أنوار العلوم)).

ويقول أيضاً:

خذ ما صفا لك من نور الإشارة كن حال السماع قوي العزم والدين

ويطلب من المريد أن يجالس العلماء أهل الخشية ويقول له: كل كلام يخرج من الفم وعليه كسوة من نور القلب الذي خرج منه)) بل يوضح أن تأثير هؤلاء العلماء بحالهم وأنوار قلوبهم، أبلغ من تأثير أقوالهم في نفوس السامعين فيقول: ((تسبق أنوارهم أقوالهم فتجذب القلوب وتطهرها لسماع العلم الموهوب)).

فإذا انتهى المريد من تحصيل ما لابد له منه من علوم الشريعة، نهاه عن البحث

في المطولات والمراجع، إلا إذا كان مؤهلاً للدعوة إلى الله، فإن تحصيل العلم بالنسبة للداعي إلى الله عبادة خاصة يتقرب بها إلى الله ﷻ، ويحصل له بها من القرب والأجر والثواب ما لا يحصل لغيره من العباد والزهاد.

ثانياً: العمل بالعلم

وهذا هو الركن الأعظم عند الصوفية قديماً وحديثاً، حتى أنه ﷺ يقول ((لا يكون المريد عندنا مريداً حتى يعمل بما علم)) ، وينوه إلى أن العمل هو الباب الذي يفتح منه للمريد الهبات الإلهية والعلوم اللدنية والألطاف الخفية، فيكرر دائماً على أسماع المريدين، قول سيدنا رسول الله ﷺ { من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم }[٤٤] وحتى يدفع المريد إلى العمل يقول له:

العلم يهتف بالعمل فاعمل تنل كل الأمل

ثم يبين له شئ من هذا الأمل وهي العلوم التي لا تنال إلا بالمجاهدات والمكابدات فيقول:

علم يقين بعده عين اليقين لمن وصل
من بعد ذا حق جلي كبرى الولاية فاتصل

فيبين له أنه بعد أن انتهى من علوم الدراسة، فأمامه علوم الوراثة – وتعريف هذه العلوم باختصار شديد كما يلي:

- أما علم اليقين: فهو الخبر الذي يتلقاه المرء عن صادق,
- وأما عين اليقين: فهو الخبر الذي يشاهده بعينيه ويراه من مسافة قريبة.
- وأما حق اليقين: فهو ما كان عن مجانسة ومخالطة وقرب هو قرب القرابة.

ونضرب لذلك مثلاً ببيت الله الحرام ... ، فالناس في شأنه، وشأن العلم به، على ثلاثة أقسام:

---

[٤٤] رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس.

- أما الذي سمع عنه ممن سبق له الذهاب إليه وهو عنده صادق، فتيقن من صدق الخبر لصدق المخبر، فهو في علم اليقين.
- وأما من سافر إلى البيت ورآه من مشارف مكة ولم يصل إليه بعد فذلك يعلمه ويراه عن عين اليقين.
- وأما الذي وصل إليه وتحققه وطاف به فذلك ما يسمى بحق اليقين.

حتى يتشوق إلى نيل تلك العلوم، فيجاهد نفسه على عمل الطاعات والقربات ويفطمها عن الشهوات والمخالفات.

ويوضح في نفس الوقت للدعاة والمرشدين السر الثمين في تثبيت ما حصلوه من علوم، في عقولهم وأفئدتهم فيقول: (العلم يهتف بالعمل اعمل وإلا فارتحل).

وحتى ينال السالك رضاء الله في علمه وعمله، يكشف النقاب عن الباعث الخبيث الذي بسببه يتجمل الأحباب بمواهب الكريم التواب، وهو أنهم يطلبون العلم الذي به يزدادون خشية لله ﷻ، لا العلم الذي يورث الجدال ويفتح أبواب النزاع والخلافات بين المسلم وغيره أو بين المسلم وإخوانه المسلمين، فيقول ﷺ:

العلم يجعلني أخشى من الرب ... أراقب الله بالأعضاء والقلب
إن لم أكن أخشى من ربي فمن جهلي ... وإن علمت علوم الكشف والغيب
وإن تحصلت من علم ومن فقه ... مثل الجبال الرواسى لم يزل حجبي
العلم معراج أهل الحب والحسنى ... مهواة أهل الجفا والبعد والريب

● تصحيح الوجهة:

وللقصد والنية عند أبي العزائم شأن عظيم كغيره من الصوفية الصادقين.

فهم ﷺ يوجهون أحبابهم أن يكون عملهم خالصاً لله ﷻ، طاهراً من شوائب الرياء والعجب والعلة والغرض، وأصل الأصول في ذلك كله عندهم أن يكون العمل ابتغاء رضوان الله الأكبر أو طلباً لوجهه الكريم عملاً بقول الله ﷻ ﴿ يَدْعُونَ

رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ [٢٨الكهف].

وفي ذلك يذكر أحبابه بأن الجنة كون كما أن الدنيا كون، ومن وراء ذلك مكون الأكوان ﷻ فيقول:

((قال الله ﷻ { عجباً لمن رآني دون مكوناتي }، قال العارف: سبحانك تنزهت!، قال: { من اتخذني وسيلة إلى جناتي فقد رآني دون مكوناتي })).

ويبين ﷺ حاله في هذا المقام ليتأس به السالكون ويقتدي به الواصلون فيقول:

غيري يميل إلى الجنان ويرغب وأنا الذي منها أفر وأهرب
الكل طمعاً في الجنان تعبدوا صلوا وصاموا عن رضاك تحجبوا
نار الجحيم مع الرضا هي جنتي أما النعيم بغيره لا أرغب

ثم يكشف الستار عن حال الواصلين، ومترلة المتمكنين ليشوق إلى هذه المنازل أهل السلوك والتلوين فيقول عنهم:

وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها لفارقت حسنها بالزهد همتهم
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم أحد تتره تعلمه سريرقم

ويظهر ﷺ حقيقة الخوف الذي يؤرق بل ويشغل أصحاب هذا المقام فيقول:

أنا لا أخاف وحقه من ناره كلا ولا أبغي الجنان لطيبها
فالقرب منه جنتي ومحاسني والبعد عنه ناره ولهيبها

وعلى هذا المنهج يسوق الإمام أبو العزائم ﷺ أبناءه في أعمالهم التي يتوجهون بها إلى الله ﷻ، فيمرهم على تفريد الله ﷻ بالعبادة وإفراده سبحانه بالقصد، ثم يكشف لهم عن معونات الحق ﷻ في العمل لهم حتى يتحققوا بالعجز والمسكنة والاضطرار ويعلمون حقيقة أنه لولا معونة الله وتوفيق الله ما صح لهم عمل واحد في هذه الحياة فيقول:

(لا تفرح بالعمل إلا إذا تحققت بالإخلاص فيه، ولا تفرح بالإخلاص إلا إذا

تحققت بإصابة الحق فيه، ولا تفرح بإصابة الحق إلا إذا تحققت بتوفيق الله فيه ومعونته، ولا تفرح بالتوفيق إلا إذا فرحت بالله الذي أقامك مقام العامل لذاته، حتى صرت من عمال الله) [٤٥].

وهكذا فإن السالك عند أبي العزائم لا يبدأ السير إلى الله ﷻ إلا إذا صحح الوجهة فجعل عمله وقوله ونيته وماله وكله لله ﷻ ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام].

وهاكم مثالاً واحداً من آلاف الأمثلة في توجيه الأستاذ ﷺ لطلابه ومريديه في تصحيح الوجهة لله ﷻ:

فقد كان ﷺ يزور الشندويلي باشا بجزيرة شندويل بالقرب من سوهاج، ومعه أحبابه ومريدوه، ورأى واحدٌ منهم على غرة بنت الشندويلي باشا، فهام بها عشقاً حتى ملكت عليه كل جوانحه، فتغير حاله واضطرب باله، وبدت عليه علامات الذبول والنحافة، فلما رآه ﷺ على هذه الهيئة – وكان يختفي منه ليقينه باطلاعه على حالته – سأله عن سبب تغير حاله فأجابه ولم يدس(يُخْفِ) عنه شيئاً، وطلب منه أن يطلب من الباشا أن يزوجه بابنته، ولما كان الشندويلي باشا لا يؤخر لإمامه طلباً، فقد استجاب بسرعة، بل إنه هيأ مكاناً للزواج وأقام العرس فوراً بعد عقد القران، ودخل الرجل بزوجته، وفي الصباح إذا به يأتي إلى أبي العزائم مذعوراً! فسأله ما بك؟

قال: لقد ماتت زوجتي، فقال له: امكث معها في حجرتها حتى نأتيك! فأظهر الخوف كطبيعة النفس البشرية تخاف أن تمكث مع الميت بمفردها في مكان، فذهب معه الإمام ﷺ، وقال له: بعد أن رأى حالتها: أليست هذه محبوبتك؟ التي من أجلها ذبلت ونحلت وتغير حالك؟ أليست هذه التي كانت شغلك الشاغل وهمُّك الملازم وفكرك الدائب؟ ... ثم قال له: يا بني ((فتش عن محبوبك)).

وكأن الإنسان ليس له إلا محبوبٌ واحدٌ لذاته وجمالاته وكمالاته وهو الله ﷻ.

[٤٥] شراب الأرواح.

وكل محبوب آخر يحبه الإنسان فإنما هو لظهور بعض صفات المحبوب الأول ﷻ على هذا المحبوب، أو نسبته له سبحانه، قال ﷺ { أَحِبّوا الله لما يَغْذوكم بِهِ مِنْ نِعَمِهِ وَأَحِبّوني لِحبّ الله وَأَحِبّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبّي } [٤٦]

وكي لا تقف همة المريد عند حد ما في طلب العلم، كان دائماً ﷺ يوجههم إلى طلب المزيد ويقول لهم: إذا كان الله ﷻ قد أمر حبيبه ومصطفاه وهو الذي أفاض عليه علوم الأولين والآخرين أن يقول: ﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [١١٤طه] فما بالنا نحن؟ وإذا كان سيدنا موسى نبي الله وكليمه عندما سئل من أعلم الناس يا موسى؟ فقال أنا!، أمره الله ﷻ أن يتوجه إلى سيدنا الخضر عليه السلام لطلب المزيد من العلوم التي قال له فيها الخضر: ((يا موسى أنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا وأنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وما علمي وعلمك في علم الله إلا كما يأخذ العصفور من هذا اليم)) وأشار إلى عصفور كان يشرب من البحر.

ولذا يقول ﷺ: ((السالك في طريقنا لا يشبع من طلب العلم أبداً، بل هو دائماً عالم ومتعلم، فهو يتعلم ممن فوقه في المكانة والعلم، ويعلم من دونه، ومن قال أني علمت فقد جهل)) .

وقد روى أن رجلاً من الإخوان أرسل ابنه لطلب العلم في الأزهر وكانت اقامته في دار أبي العزائم، فكان يصافح الشيخ قبل خروجه كل صباح، فيسأله ﷺعن اسمه؟ ثم يسأله عن عمله؟ فيقول: طالب علم ..... ومرت السنون ... وبعد أن انتهى من دراسته وتخرج، صافح الشيخ كعادته وسأله ﷺ كحالته فأجاب: اشتغل عالم، فقال ﷺ: الآن قد جهلت.

وهكذا فالسالك على معارج الكمالات الإلهية لا يصل إلى مقام إلا بعد أن يكاشف بعلم هذا المقام، ولما كان لا نهاية لكمالات الله ﷻ... كان لا نهاية لعلوم الله ﷻ، بل أن الإنسان كلما ازداد علماً! أحس بأن ما يجهله أكثر مما علمه ملايين المرات!!، هذا إذا كان سالكاً على يد عارف رباني وحكيم روحاني يكاشفه بحقيقة نفسه كالإمام أبي العزائم ﷺ.

[٤٦] المستدرك على الصحيحين عن ابن عباس، كما رواه الترمذي والحاكم والطبراني باختلاف طفيف فى اللفظ.

ثالثاً: تزكية النفس

فإذا لمعت على المريد بوادر الصفاء، وظهرت عليه الرغبة الملحة في نوال الكمالات، والعزيمة الصلدة في الوصول إلى المشاهدات، وتعلقت روحه بالمنازل العالية، والمقامات السامية والأخلاق الراقية، انتقل به ﷺ إلى مرحلة جهاد النفس فيقول له:

هذب النفس إن رمت الوصول — غير هذا عندنا عين الفضول
هذب النفس بتوحيد العلي — عن بيان الآي من فرد قؤول
سلمن للمرشد الفرد الذي — يجذب الأرواح عنه لا تحول

ومراتب النفس التي يترل فيها المريد عند الإمام أبي العزائم هي كما يقول ﷺ: ((وتزكية النفس هي تطهيرها من كثافة الجمادية ووقوف النباتية ورعونات الحيوانية وسعير الإبليسية وتشبيه الملكية، فإن الإنسان الكامل وسط كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [١٤٣البقرة] ٤٧))

فالنفوس عند الإمام أبي العزائم ﷺ تنقسم إلى سبعة أنواع[٤٨]:

١- النفس الجمادية
٢- النفس النباتية
٣- النفس الحيوانية
٤- النفس الإبليسية
٥- النفس السبعية
٦- النفس الملكوتية
٧- النفس القدسية

---

[٤٧] الطهور المدار على قلوب الأبرار لإمام أبى العزائم ﷺ ص ١١١.
[٤٨] وقد فصّلنا الحديث عن هذه النفوس فى كتابنا (النفس- وصفها وتزكيتها) طبعة أبريل ٢٠٠٩، دار الإيمان والحياة ت ٢٥٢٥٢١٤٠

ولكل نفس من هذه النفوس نوازعها وفطرها وشهواتها.

فإذا علم السالك هذه الحقائق، استطاع مجاهداتها، ويشرح الإمام ﷺ بإجمال تلك الحقائق لمن دخل في مقام المجاهدة فيقول:

جاهد نفوساً فيك بالشرع الأمين ... واحذر قوى الشيطان في القلب كمين
غل وكيد من حسود ماكر ... ظلم العباد بنية في كل حين
هذا اللعين به الهلاك فخله ... أسرع إلى القرآن في الركن المتين
والنفس شهوة مطعم أو مشرب ... أو ملبس فاحذر بها الداء الدفين
إلا الضرورة فالإباحة إن دعت ... فيها الضرورة فأطلبنها من معين
والنفس إن تدعو مساسا فاحذرن ... إلا الحلال فإنه الماء المعين
جع اضعفنها واحذرن من غيها ... غض الجفون وحاذرن فتك الكمين
والنفس داعية الرياسة فاحذرن ... فرعونها تنجو من الداء الدفين
وادخل حصون الشرع قلباً قالباً ... تحيا سعيداً في شهود المتقين
تلك النفوس قوية في فعلها ... قد تحجب الأفراد كم أردت سجين
والشرع عصمة سالك يهدي إلى ... دار الصفا رضوان ربِّ العالمين
في الشيب جاهد كالشباب وحافظن ... فالنفس شيطان يبيد السالكين
والجأ إلى مولاك معتصماً به ... مستشفعاً بالأنبيا والمرسلين
مولاي إني عاجز عن كبحها ... هب لي اعتصاماً منك بالشرع الأمين
هب لي اتباع محمد واجذب إلى ... روض الشهود العبد بالعزم المكين
واقبل متاب العبد وامنحني الرضا ... والفضل والغفران من فضل المتين

ويحذر المريد من الركون إلى النفس فيقول:

((النفس ككرة ملساء وضعت على قمة جبل عال منحدر أملس كيف يكون حال نزولها؟)) ليبين لنا أن السالك إذا غفل عن النفس نفساً! ربما يغتر بحاله أو يطمئن إلى مقامه، فيكون في ذلك هلاكه !! ... فالمريد الصادق، بل والعارف

الواصل، بل والفرد المتمكن، لا يغفلون جميعهم عن جهاد أنفسهم لحظة طالما فيهم نفس يتردد في هذه الحياة!!! وإلى ذلك يشير بقوله: ((كمَّلُ الأولياء لا يرتاحون من جهاد النفس إلا مع خروج النفس الأخير من روحهم في حياتهم الدنيا)).

وموجز تعريف النفس عنده هي:

جملة الأوصاف التي تشير إليها الحقيقة التي تسمت بها.

فالنفس الجمادية:

هي التي تعمل على جمود الإنسان وتراخيه وكسله وقعوده عن العمل.

والنفس النباتية:

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾ [١٧نوح] هي القوى المغذية التي تعمل على تغذية أجزاء جسم الإنسان والمحافظة على نموه.

والنفس الحيوانية:

يجملها ألمام أبو العزائم ﷺ في قوله:

وابتهاج الحيوان أكل وشرب ونكاح وذاك قصد القصي

والنفس الإبليسية:

والتي تهتم بالنوازع الشريرة في الإنسان وتغذيها من مكر وخداع وحيل ووقيعة وغيرها، يشير إليها في قوله:

وابتهاج الشيطان حسد وكبر بفساد وفرقة وبغي

أما النفس السبعية:

فهي القوة الغضبية في الإنسان من حمية وشجاعة وتهور وغيرها، والنفس الملكية: هي النوازع الطيبة في الإنسان من حياء وبذل وإيثار وصدق ووفاء وهلم جرا، ويلمح إليها في قوله ﷺ:

وابتهاج النفوس بعد زكاهـا — رغبة الفوز بالمقام العلـي
هي نفس إن طُهِّرَتْ وتزكَّتْ — تتهنى في حظـوة بـالولي

أما النفس القدسية:

فهي من أسرار الحق العلية، وهي نفحته البهية التي جملت الهياكل الإيمانية بالحقائق النورانية وجعلتها تشتاق إلى المقامات العلية وتحن إلى الجمالات والكمالات الوهبية، وهي خاصة بالأفراد أولي العطية الذين يقول في شأنهم رب البرية فى محكم الآيات القرآنية: ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ [١٥غافر].

والطريق الذي به يستطيع السالك مجاهدة تلك النفوس بعد حصون الشريعة المطهرة والعمل بأحكامها لأنها أكمل حصون الأمن التي يتحصن بها الإنسان في مقامات الجهاد، يلخصها الإمام ﷺ في هذه المنظومة والتي سماها:

(منظومة السير والسلوك وضوابطهما):

السير سير السالك الأواب — فوق الصراط بصحة الآداب
في الروض حصن الشرع يسلك ناظراً — للحق لا لظواهر الأسباب
حتى يشاهد مشهد التوحيد في — عين اليقين بصحبة الأحباب
بدء الطريق رعاية للغيب في — حلٍّ وترحال حضور غياب
يسقي مدامة غيب قرآن الهدى — يعطي الولاية بعد رشف شراب
يفنى فيشهد آية في خلقه — فيرى جمال الوجه في المحراب
من بعد ذاك يراقب الغيب العلي — بالنفس والأعضاء والألباب
وتجرد من فطرة من فتنة — من غفوة سهو وظل حجاب
إن الطريق مراحلٌ هي شهوةٌ — حظٌ وآمالٌ بنص كتاب
فوق الرواحل همةٌ علمٌ به — ينجو من الشيطان من مرتاب

سيرٌ واقبالٌ بصدق عزيمة إحياء ليل فوق سطح تراب
تفريد ربك بالعبادة مخلصاً ترجوه غفراناً وخير مآب
والصمت معراجٌ وجوعك طهرةٌ والصمت رفرف حضرة التواب
والذكر منشور الولاية حجة والخوف حصن الأمن خير جواب
أما الرجا فهو المزاج لواصل فامزجهما ترقى إلى الأصحاب
هذا الطريق به الوصول لربنا والقلب طهِّره من الأسباب
اشهد يد المعطي تفز بالاجتبا تُعْطَى مقام الحب في الترحاب
عمر بذكر الله قلبك تشهدن نور الولي ترى ضيا الوهاب
ادخل حصون الشرع معتصماً بها أعضاءك احفظها مع الآداب
لا تصطفي إلا الحبيب محمداً تابعه تُعْطَى ثمّ خير متاب
بالاتباع يحبك الله العلي وتفوز بالحسنى بنص كتاب

وهكذا يوجز الإمام ﷺ في هذه المنظومة الرياضات الروحية التي يدخلها السالك ولا يزال يجتازها واحدة بعد واحدة وأبرزها:

- مراقبة الله في الغيب والشهادة.
- ثم التجرد من الشهوات والحظوظ الكاسدة.
- ثم تحصيل العلم النافع.
- ثم العزيمة الصادقة.
- والصمت.
- والجوع.
- والسهر.
- والذكر.

وهم أركان الولاية كما قال القائل:

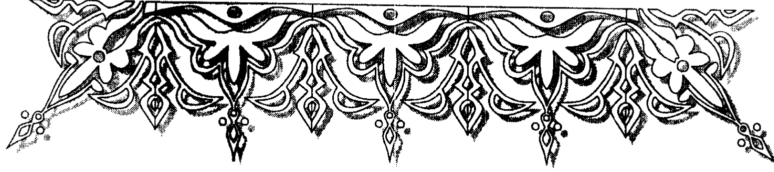
بيت الولايـة قـسمت أركانـه ... ســاداتنا فيــه مــن الأبــدال
ما بــين صــمت وســهر دائـم ... والذكر والجوع العزيز الغــالي

ويوضح للسالك الجناحين اللذين يطير بهما في سماء التفريد، وهمـا الخـوف والرجاء، حتى يصل إلى معرفة نفسه، فيعرف ربه بجوده وعطفه وكرمه، فيقول كمـا قال الإمام أبو العزائم:

عرفت نفــسي أني كنــت لا شــئ ... فصرت لا شئ في نفسي وفي كلي
بــه تــتره صــرت الآن موجــوداً ... به وجودي وإمدادي به حــولي
ومــن أنــا عــدم الله جملــني ... فصرت صورته العليا بلا نيــل

وهكذا يحدد الإمام أبو العزائم ﷺ جهاد النفس والغاية فيه في كلمة واحـدة جمعت فأوعت فيقول:

((المجاهدة للمشاهدة))[49]



[49] وقد فصّلنا ذلك فى كتابنا (المجاهدة للصفاء والمشاهدة) طبعة يناير ٢٠٠٥، دار الإيمان والحياة ت ٢٥٢٥٢١٤٠

الفصل الثامن

الرياضة الروحية

- تمهيد
- أولاً: القرآن الكريم
- ثانياً: الفكر - نتائج الفكر
- ثالثاً: الذكر - مراتب الذكر - أنواع الذكر
- الخلوة

الفصل الثامن: الرياضة الروحية

تمهيد

فإذا أراد السالك الوصول إلى الأحوال العالية والتجمل بها، من فراسة صادقة وإلهام بأنواعه، وفتح، وكشف، ومشاهدات، وتجليات، ومؤانسات، وملاطفات، وغيرها مما لا يباح لأهلها التصريح به بعبارة!! .. أو الرمز إليه بإشارة !! ، بل يقولون كما يقول الإمام الغزالي رضي الله عنه:

فكان ما كان مما لست أذكره   فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وكما يقول الإمام أبي العزائم:

احفظن سري فسري لا يباح   من يبح بالسر بعد العلم طاح
علمنا فوق العقول مكانة   كيف لا وهو الضيا الغيب الصراح
خصنا بالفضل فيه ربنا   ذاك سرٌ غامضٌ كيف يباح
والفتى المجذوب بالحب له آية   إن ذاق خمر الحب صاح
وهو مجذوب العناية إن يبح   بالحقائق ما على الفاني جناح

إذا أراد ذلك فلابد له بعد جهاد نفسه، من تصفية قلبه من الشواغل والصوارف الكونية، حتى يتأهل لنزول الفيوضات والتجليات الوهبية، وهي الجنة العاجلة التي يعجلها الله لأوليائه التي يقول فيها الإمام أبو العزائم رضي الله عنه: ((إن لله جنة عاجلة من دخلها لا يحتاج إلى جنة آجلة إلا وهي المعرفة بالله تعالى)).

والطريق إلى ذلك هو ضروب الرياضات الروحية التي يتزل فيها المرشد السالك بحسب ما تأهل له من مقامات وما يناسبه من رياضات.

وقد كانت الرياضات الروحية عند الصوفية قبل الإمام أبي العزائم ﷺ، تكاد ترتكز على التقشف والزهد والبعد عن التنعم، وممارسة العبادات والأعمال الشاقة حتى تنطوي النفس على الطاعة، وتنجلي مرآة القلب من صدأ الغفلة ..

لكنه ﷺ جدَّد وغيَّر كل هذه الأحوال في نفسه أولاً وفي أحبابه ومريديه ثانياً:

ففي نفسه: كان ﷺ يلبس أفخر الملابس، ويضع منظاراً على عينيه في وقت كان لا يملك مثل هذا المنظار إلا نفر قليل من وجهاء مصر، وأقتنى سيارة خاصة يستخدمها في تنقلاته في زمن لم يكن يمتلك فيه السيارة إلا كبار الباشوات، وكان يحرص في أكله أن يكون جامعاً لكل القيم الغذائية المفروض توافرها في وجبة الغذاء أو الفطور أو العشاء صحياً وعلمياً.

وفي تلاميذه كان يوجههم فيقول: ((يا بني لا عليك أن تلبس الثوب البهي وتشرب المشرب الروي وتتغذى بالمطعم الشهي، وتجلس وتتنعم بالفراش الوطي، وتنكح أجمل النساء، ما دمت تحصلهم من الحلال، ثم تعرف فضل الله عليك في كل ذلك، وتشكره سبحانه على ما أولاك)).

ومن هنا نجد أن الرياضات الروحية عند الإمام أبي العزائم تختلف كلاً وبعضاً عن كثير من مناهج الصوفية المعاصرة له، وسنلمح إلى بعض منها لنرى كيف كان ﷺ يختصر الطريق لمريديه، ويسهل لهم الوصول إلى المطلوب بأيسر جهاد وأقل عناء.

أولاً: القرآن الكريم

وهو الركن الأعظم في الفتوحات الإلهية، والعلوم الوهبية عند الإمام أبي العزائم. وفي هذا يقول ﷺ:

((القرآن المجيد مورد آل العزائم الروي، وروضهم الجني، وحوضهم المورود، وكوثرهم المشهود، ميزان أحوالهم ومرجع مقاماتهم، يسألونه قبل العمل، فإن أذن سارعوا، وإن منع تركوا واستغفروا، فهو الإمام الناطق وإن صمت، لأنهم يسمعونه عن رسول الله ﷺ، فتسمعه آذان قلوبهم حضوراً .. ووجوداً ... وإن كان التالي له

إنساناً آخر ...

وقفت بهم همتهم العلية على القرآن، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، فلو أمرهم بقتل أنفسهم لقتلوها، أو بمفارقة أموالهم وأولادهم لفارقوها، فرحين بالسمع والطاعة، تجلت لهم حقائق القرآن جلية، وانبلجت لهم أنواره العلية ظاهرة، فلم تبق بهم همة إلا في القرآن ولا رغبة إلا فيه.

أحبوا القرآن حباً ينبئ عن كمال حبهم للمتكلم سبحانه، كاشفهم الله تعالى بمراده في كلامه وبحكمته في أحكامه، فكان ﷺ أقرب إليهم من أنفسهم، وتجلى لهم سبحانه في كلامه العزيز حتى كان الرجل منهم إذا سئل لم تعمل هذا؟ يقول أمرني القرآن، ولم تترك هذا يقول نهاني القرآن، وإذا طلب منه أمر يقول: مه حتى أستشير القرآن، فيقرأ القرآن المرة والمرتين، حتى تتضح له حقيقة حاله وسر قصده، فيسارع إلى التنفيذ إو إلى الترك، فالقرآن طهور الحب وحلل القرب ولا يوفق للعمل بالقرآن إلا من جذبته العناية، واقتطعته المشيئة واختطفته محبة الله السابقة له))[٥٠]

ونهجه ﷺ لمريديه، أن يقرأ السالك ما لا يقل عن جزء من القرآن كل يوم، ويقول لهم:((ليس الشأن أن تحفظ القرآن ولكن الشأن أن يحفظك القرآن)).

فالمهم في التلاوة عنده ﷺ أن يلاحظ التالي المعاني الآتية:

البهجة بتلاوة كلام ربه، والعزم الأكيد على التباعد عما نهى القرآن، والمسارعة إلى عمل ما أمر به، وأن يشهد عظمة وجلال وكبرياء وعزة المتكلم سبحانه ظاهرة جلية لعيون سره، فيكون تالياً لكتاب الله متلقياً عنه سبحانه متشرفاً بمعيته جل جلاله.

وهو بعد ذلك كله، يرتِّله مخلصاً لوجه الله تعالى ... لا لغرض آخر إلا ابتغاء وجه الله العظيم، وقد تحدث عن هذه الآداب بالتفصيل في كتاب: "**الفرقة الناجية**" وكتاب "**شراب الأرواح**" فليرجع إليهما من أراد المزيد.

---

[٥٠] الطهور المدار ص (٩١ - ٩٢).

ثانياً: الفكر

وللفكر عند الإمام أبي العزائم ﷺ مذاقٌ خاص ... فهو عمدة السالكين، وشراب الواصلين ورحيق المتمكنين، ولا يتحقق للمراد هذا القرب والوداد إلا بسلوك الطريق الذي يوضحه ﷺ للمرادين والأفراد، فعندما يصفو القلب بالمجاهدات من الشهوات والحظوظ والغفلات، تظهر له أنوار رب العباد ﷻ منبثة في الكائنات، فيشرب من رحيق ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٣٥النور] .. ويتزل في مقام . ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [١١٥البقرة] فيشهد أسرار الكائنات، ويعلم حكم الموجودات، وهذا هو المقام الأول في ذكر العارفين، وفي ذلك يقول ﷺ:

((الذكر هو حضور القلب ويقظته، وحركة الفكر في تزكية النفس أو الاعتبار بالحوادث أو التأمل في مصنوعات الله تعالى في السموات والأرض، من أسرار القدرة وغوامض الحكمة وما فيهم من القدرة وما في مراتب الوجود من النسب والارتباطات مما سخر له وقام لأجله، فسبحان البديع المبدع، الذي أبدع كل شئ خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، هذا هو الروض الزاهر اليانع الذي يطيب فيه ذكر الذاكر وفكر الفاكر...

أما الذكر باللسان عندهم فهو النطق بالاسم المتجلي في الآثار المشهودة التي كوشفوا بها بنور المعرفة، فينطق اللسان بهذا الاسم عن وجد وذوق لمعاني تجلياته، ولهم في كل مشهد اسم يذكر عند حضور القلب، وقد ينطقون الاسم المحيط الجامع اسم الجلالة (الله) عند الاستغراق في شهود معاني جميع الأسماء في أنفسهم وفي الملك والملكوت، فتطيب النفس وتزكو وتتجمل بجمال الأحوال، وتترقى إلى أعلى المقامات من القرب، والحب، والشوق، والوله، والتأله، والخشية، والرهبة، وغير ذلك من مقامات اليقين، وهذا كله هو ذكر المجاهدين))[٥١]

وهذا الذكر الذي أشار إليه الإمام أبو العزائم هو ما يسمى بالفكر، وهو عبادة كمل الأولياء أهل اليقين والتحقيق، وقد بزَّ جميع العبادات بنص حديث سيدنا رسول

[٥١] معارج المقربين ص (١٨٧ - ١٨٨).

الله ﷺ الذي يقول فيه: { لا عِبَادَةَ كَـالتَّفَكُّر }٥٢ ويقول فيه الإمام أبو العزائم أيضاً ((لحظة فكر بيقين خير من عبادة سنين))

وإن كان هذا الفكر لا يتجاوز -- مهما بلغ من صفاء الإنسان ولطافته – الحدَّ الذي حدَّه له سيدنا رسول الله ﷺ في قوله: { تَفَكَّرُوا فِي آلآءِ اللَّهِ وَلاَ تَفَكَّرُوا فِـي الله } ٥٣ فالفكر في آلاء الله موصل إلى السعادة الأبدية، لأن الفكرة تذهب الغفلـة وتحدث للقلب الخشية، وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكـر، وقد عبر ﷺ عن ذلك نظماً فقال:

زج بالفكر في شـئون المعـاني بـيقين محـصن بالأمـان
تتجلى من الـشئون شمـوس مشرقات بنورهـا الربـاني
لا تجاوز تلك الشئون بفكـر فالمعاني جلَّت عن الإمكـان
ورياض التفكير تلك المرائـي وهو كنز مطلـسم بالمبـاني
ودع القلب للمقلـب يجلـي فيه ما شاء من شهود بيـان

إلى أن يقول ﷺ:

عَدِّ عن فكرك المقيد وارحـل عن موازين عقلك الإنـساني
وبنور اليقين فاسـكن إلى الله بصدق تفز بالروح والريحان
ما توهمتـه بميـزان كـسب فهو مهواة حاطـب حـيران
نزِّه الذات والمعاني عن الفكـر وجُـلْ في سـائر الأكـوان
جَلَّت الذات والمعاني تعالـت هي غيبٌ والكون أي البيان

فإذا صفت حضرة الفكر بالرياضة بالذكر، والذكر هنا بحسب ما يلوح للفرد الذاكر، فعندما ينظر الإنسان إلى السماء يشهد سر الرافع فيذكره، وحينمـا يقـع

---

٥٢ رواه أبو الشيخ عن أبي ذر.
٥٣ رواه ابن ماجة والطبراني عن أبي ذر.

بصره على الأرض يرى سر الباسط فيستحضره، ولما ينظر إلى الماء يجد فيه سر الحي فيتذكره وعندما يلتفت إلى الجبال يتحقق سر القوي المتين فيستعظم قدرته، وأينما ولى وجهه إلى إنسان، لاحظ بعين فكرته ورأى بنور بصيرته نور البصير في بصره وسر السميع في أذنه وجمال المتكلم في لسانه، وغيب المدبر في عقله، وقدرة القادر في قوته، فيكون كما قال الإمام أبو العزائم:

وإن نظرت عيني إلى أي كائن تغيب المباني والمعاني سواطع
لأن المعاني الشمس والكل أنجم إذا أشرقت فالنجم بالشمس طالع

وفي هذا المقام ينمو الشوق ويلذ الغرام وتتأجج لواعج المحبة للمليك العلام ﷻ، فتتنور البصيرة، وتتجول في أفق السريرة، فترى من غيوب الرحمن في حيطة الإنسان ما يعجز اللسان عن البيان، فيمتثل قول الإمام علي ﷺ وكرم الله وجهه:

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر
دواؤك فيك وما تبصر وداؤك منك ولا تشعر

فيتحقق بحق اليقين بقول سيد الأولين والآخرين ﷺ { خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ }[٥٤] أي خلق الله كل مظهر من مظاهر آدم ﷺ، أي كل إنسان على صورته سبحانه، يعني سميعاً وبصيراً متكلماً مع التنزيه الكامل بين العبدية وحضرة الربوبية، فالرب رب وأن تنزل والعبد عبد وإن علا، وهنا يخاطب حقيقته بهذا الخطاب النبيل الذي قال فيه الإمام أبو العزائم:

يا صورة الرحمن والنور العلي يا سدرة الأوصاف والغيب الجلي
فيك العوالم كلها طويت فهل أدركت سراً فيك من معاني الولي
خفيت بذاتك من معاني القدس ما لا يشهدن إلا لذي قلب خلي
أأنست بالأكوان بعد شهوده وسجود أملاك العلى بتنزل
أولا سمعت ألستُ عند شهوده تومى بأن القدس أول منزل

---

[٥٤] رواه الشيخان وأحمد عن أبي هريرة ﷺ.

فاهجر سكونك للكيان وبادرن بالعزم كي تسكن بوطن أول
فيك المعاني مشرقات بالذي يرقى به أهل الصفا بتأهل

فإذا أحس الإنسان في قرارة نفسه تلك المعاني، تذكر أدواره الأولى عندما كان عدماً، وعندما صار ماءاً مهيناً، وعندما صار نطفة في قرار مكين، ويشهد عناية الله به في تلك الأدوار ورحمة الله به في تلكم الأطوار، ثم يتذكر مفارقته لهذا الجسد الفاني، وإقباله على الله، وما له في الدار الآخرة حيث القيامة، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، والنعيم، والجحيم، فيقبل على الله بكله، وينشغل بذكره سبحانه في كل وقت وآن، ... وإلى ذلك يشير الإمام أبو العزائم فيقول:

أيا أيها الإنسان من طين فخار تكونت كي ترأى مظاهر أسراري
ومن نطفة أنشأت آياً جلية بمحض الفضل حصن قرار
تدبر فأنت الطين والماء فأشهدن جمالي وإحساني وسري وأنواري
أكنت سميعاً أو بصيراً وعالماً ولكنني أنعمت بالمدرار
نسيت جمال الله فيك تيقظاً فمن ينسه يلقى سعير النار
أيا طينة الصلصال من بجماله تحليت بالأنوار بعد فخار
أتنسى مفيض الفضل والجود والعطا وتهجر أورادي وتترك أذكاري
وللدون والدنيا تميل وترتجي نوال الرضا والعفو إحسان غفار
تذكر جميلي من (ألست) وبعدها وتابع سبيلي مخلصاً يا ساري
ولا تنسى إحساني إليك ورحمتي وكن مخلصاً في خفية وجهار
ولا تشتغل بسواي ترفع للعلا وتحظى بفضلي صحبة الأخيار
فلا ينس إحسان الجميل وفضله سوى مبعد أو جاهل وممارى

ويشرح ﷺ للسالك كيف يتحقق بقول الله ﷻ ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [١٠١يونس]، ويلمح إلى شئ مما يدركه السالك عند نظره إلى الآفاق سواء في الأجرام السماوية من كواكب ونجوم وسيارات، أو في العوالم الأرضية من بحار وأنهار وحيوانات وحشرات وجمادات ومعادن ونباتات، وإلى شئ مما

يراه في حقائقه الظاهرة كالعينين والأذنين واليدين والرجلين واللسان ، أو حقائقه الباطنة كالعقل والروح والقلب والفؤاد والنفس والسر ....

حتى يشتد وجده إلى خالق هذه الأنواع، ويتحقق بقول الله ﷻ :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٥٣فصلت]، وذلك في كتاب **النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين** وكتاب **معارج المقربين**، فمن أراد المزيد في هذا الباب فعليه بهما.

نتائج الفكر

فإذا دخل السالك في رياض الفكر.. وانبلجت له أنوار الذكر ...

ظهرت حقيقة نفسه، فعلم وتيقن ذله وضعفه وعجزه وانكساره وغربته، وتلك أكمل جمالات العبيد، التي ينظر إليهم بها وفيها الحميد المجيد.

فعندما سأله ﷻ سيدنا أبو يزيد البسطامي ﷺ:بم يتقرب إليك المتقربون؟قال ﷻ: بما ليس فيَّ، قال وما الذي ليس فيك؟ قال: الذل والتواضع والمسكنة.

وعندما سأله سيدنا موسى ﷺ قائلاً: { يا رب أين أجدك؟ قال: يا موسى تجدني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي }[٥٥]، وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

بأضداد الصفات أنال قربي وأحظى من إلهي بالوصال

وقال سيدي أحمد الرفاعي ﷺ: ((طرقت سبعين باباً للوصول إلى الله ﷻ فلم أدخل إلا من باب الذل)) ، ويوضح ذلك الإمام أبو العزائم فيقول:

ذلي له عزٌّ وجهلي علمه وهو الولي بنوره حلاني

ويقول سيدي ابن عطاء الله السكندري ﷺ على لسان الحضرة العلية:

فحدق أعين الإيمان وانظر ترى الأكوان تؤذن بالنفاد

[٥٥] حلية الأولياء والزهد لابن حنبل وغيرها كثير باختلافات ووردت عن داوود عليه السلام قريب منها.

فمـــن عـــدم إلي عـــدم مـــصير — وأنت إلى الفنـــا لا شـــك غـــاد
وها خلعـــي عليـــك فـــلا تزلهـــا — وصن وجه الرجـــاء عـــن العبـــاد
ببـــابي أوقـــف الآمـــال طـــرا — ولا تـــأتي لحـــضرتنا بـــزاد
ووصفك فألزمنـــه وكـــن ذلـــيلاً — ترى مـــني المـــنى طـــوع القيـــاد
وكن عبداً لنـــا والعبـــد يرضـــى — بما تقـــضى المـــوالي مـــن مـــراد
أأســـتر وصـــفك الأدنى بوصـــفي — فتجـــزى ذاك جهـــلاً بالعنـــاد
وهـــل شـــاركتني بالملـــك حـــتى — غدوت منـــازعي والرشـــد بـــاد
فإن رمـــت الوصـــول إلى جنـــابي — فهذي الـــنفس فاحـــذرها وعـــاد
وخض بحر الفنـــاء عـــسى ترانـــا — وأعـــددنا إلى يـــوم الميعـــاد
وكـــن مـــستمطراً منـــا لتلقـــى — جميل الصنع مـــن مـــولى جـــواد
ولا تستهدى يومـــاً مـــن ســـوانا — فما أحـــد ســـوانا اليـــوم هـــاد

فهذا هو الجمال الذي يجمل الله أهله بحلل الكمال الإلهي فإذا وقف أمام مولاه جاهلاً، جمله بعلمه، وإذا تأدب بين يدي سيده وأظهر ضعفه، تفضل عليه بقوته، وإذا ناداه مضطراً لباه، وإذا خضع بين يديه وقد ماتت نفسه عن شـهواتها وحظوظهـا وأغراضها، أحياه الحياة الإيمانية التي يقول فيهـا ﷻ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [١٢٢الأنعام].

وفي ذلك يقول الإمام أبو العزائم ﷺ:

مـــن يمـــت يحيـــا باقيـــاً بحيـــاة — وبقـــاء مـــنعم بالعيـــان
يحيـــا بـــالله ســـامعاً وبـــصيراً — ويبقـــى بـــالله في مقـــام التـــداني
ذاك سرٌ عن دركـــه كـــل عقـــلٍ — مبعـــدٌ بالحـــدود والإمكـــان

فالفكر هو الذي يجمل المراد بحلة العبودية ومرتبة العبدية وهما أرقى المراتـب التي يتفضل الله ﷻ بها على أهل الخصوصية حتى أنه ﷻ خصَّ بهذا المقـام الكـريم حبيبه ومصطفاه في أكثر من موضع في كتابه ﷻ...

فتارة يثني عليه فيقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [١الكهف] ، ومرة يذكر فضله ﷺ عليه فيقول: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [١الإسراء]، وآونة يبين اختصاصه واصطفائه عنده لنزول كلامه فيقول:﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [١الفرقان].

فمقام العبدية هو أرقى المقامات الاصطفائية، والنازلون به هم أكمل الناس شبهاً بسيدنا رسول الله ﷺ، حيث كان يخلو بنفسه في غار حراء متفكراً شهراً كل عام، حتى قالت قريش في شأنه: (لقد عشق محمد ربه).

وهذه العبادة كانت قد اختفت من بين كثير من السالكين حتى أحياها وأظهرها الإمام أبو العزائم ﷺ وجعلها الركن الأعظم في الوصول إلى الله ﷻ في نهجه المبارك عندما يعرف بنفسه فيقول:

((محمد ماضى أبو العزائم: الخوف قوامه، والذل حليته، والرهبة باطنه، والرغبة ظاهره، والحيرة رداءه، والصبر أنيسه، والرضا رفيقه، والشكر زاده، والثقة كنزه، والفكر طريقه، والتسليم مذهبه، والتواضع رفعته، والفقه منهجه، والصدق ضالته، والإخلاص مراده، والسيد ﷺ مقصوده، والله سبحانه معبوده، والشكر ذكره، والدعاء عمله، وما يقرب إلى النار عدوه، وما يقرب إلى الجنة أليفه، وبر الوالدين سروره، وصلة الرحم حبوره، وإدخال السرور على عباد الله وصوله، والرحمة بخلق الله تعالى حظوته، والقرآن الكريم خلوته، والحضور بقلبه مع الحق ﷻ جلوته، يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبه وبلغه مراده، وهكذا فليكن كل ماض أو من يحبُّ ماضي) [٥٦].

وهذه العبارة الرائعة، قد تفضل بشرحها فضيلة العارف بالله تعالى الشيخ محمد علي سلامة في كتابه (الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين) وبنى عليها هذا الكتاب، فليرجع إليه من يريد التفصيل.

---

[٥٦] شراب الأرواح من (٩).

● ثالثاً: الذكر

ذكر الأسماء والصفات:

ظهر الإمام أبو العزائم ﷺ في وقت غلب فيه على الصوفية ذكر الأسماء الحسنى الإلهية في الخلوات بأعداد معينة يحددها المشايخ، وينقلون السالك من اسم إلى اسم على حسب قواعد معينة وأسماء محددة، تختلف من طريقة إلى أخرى.

وربما ينتج من هذه الأذكار أحوال تجعل السالكين يخرجون عن المألوف، إما بشدة تأثرهم بالواردات التي ترد عليهم، أو خروجهم عن حد الاعتدال في العبادة، وهو الحالة الوسط ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [١٤٣البقرة] فتؤثر هذه الأحوال على الأعضاء، فيخرج الإنسان أشعث الرأس! حافي القدمين أحياناً!، وأحياناً أخرى يهيم على وجهه في القفاري والجبال!!، وأحياناً يترك الخلق !!ويميل إلى العزلة والبعد عن المجتمع!!، وربما يتفوه بعبارات لا تليق أو لا يفهمها العامة من الناس، وغير ذلك من الأمور التي تبعد كثيراً عن حقيقة التصوف الذي كان عليه سيدنا رسول الله ﷺ. وأصحابه الكرام ...

فأعلن الإمام أبو العزائم صيحته المدوية والتي حددها في هذا المبدأ الكريم : (إنما يسعد آخر هذه الأمة بما سعد به أولها) وغيَّر مفاهيم الصوفية نحو الذكر بالأسماء الإلهية فقسمها إلى قسمين:

- أسماء للتعلُّق.
- وأسماء للتخلُّق.

أما التعلق: فلا يكون إلا بالاسم المفرد الدال على الذات والجامع لجميع الأسماء والصفات والجمالات والكمالات الإلهية (الله)، وهو الذي أمر الله به حبيبه في قوله سبحانه ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [٩١الأنعام]، وأمر المؤمنين به في قوله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾

[٤١الأحزاب] فهذا الاسم هو الذي يكرره السالك في سيره وسلوكه إلى الله ﷻ ...

مستحضراً معانيه مراقباً لعظمة الله ﷻ عند النطق به، متأكداً من خروج الألفاظ كلها من مخارجها الصحيحة عند التلفظ به، لأن سلامة النطق أصل قبول العمل عند الله ﷻ.

وليس للذكر عند الإمام أبي العزائم عدداً مخصوصاً، بل يطلقه لأنه لا يليق عنده أن نعدَّ على الله ﷻ وهو ﷻ لا يعد علينا نعمه السابغة علينا أناء الليل وأطراف النهار.

وأما الأسماء الآلهية التسعة والتسعون، فيقسمها ﷺ إلى أسماء جمال وعددها سبعون؛ وهي مثل الرزاق الوهاب والغفار وما يشبهها، وأسماء جلال وعددها تسعة عشر، وهي القهار والمنتقم والجبار وأمثالها، وأسماء كمال وعددها عشرة؛ وهي الفرد – الصمد – الواحد الأحد وهلم جرا.

وكل هذه الأسماء عنده ﷺ للتخلق بحسب مقتضياها أي أن السالك يتخلق بهذه الأسماء في سلوكه وعمله ومعاملاته للخلائق أجمعين، ونضرب لذلك مثلاً فنقول:

ليس الشأن أن تذكر اسم الله ﷻ العفو مائة ألف مرة أو يزيد ثم يسئ إليك أخ مسلم فترفض أن تعفو عنه، ولكن التحقق بهذا الاسم أن يكون العبد متأسياً بقوله ﷺ { **وأن أعفو عمن ظلمني** }[٥٧].

وكذا ليس ذكر اسم الله الكريم يجعل الإنسان يتحقق به ولو ذكره ملايين المرات!! وهو لا يفتح بيته للضيفان والمحتاجين، أما الذي يبرز كرمه ويفتح داره متحققاً قول رسول الله ﷺ :{ **يدخل الضيف ورزقه معه، ويخرج بذنوب أهل الدار فيلقيها في البحر** }[٥٨] فهذا هو الذي يكاشفه الله ﷻ بأسرار اسمه الكريم، ويجعل له النصيب الأكبر من فضل الله العظيم المتعلق باسمه سبحانه الكريم!!

---

[٥٧] رواه ابن مردوية من حديث أنس وقيس بن سعد بن عبادة.
[٥٨] رواه الديلمي عن أنس والدارقطني عن عائشة.

وهكذا يتخلق السالك بكل اسم من هذه الأسماء عند مقتضياته، فيتخلق مثلاً بالقهار والمنتقم والجبار عند ملاقاته لأعداء الله، ويتخلق بالرحيم واللطيف بأخوانه المؤمنين، ويتخلق بالباسط والودود لذوي رحمه، ويتخلق بهذه الأسماء كلها بحسب مقتضياتها حتى يحبه الله ﷻ، فإن الله ﷻ يتفضل بمحبته على من تخلق بأسمائه الحسنى سر قوله ﷺ { إن الله يحب من خلقه من كان على خلقه }[٥٩] وقوله ﷺ فى معنى الحديث: { إن لله تسعة وتسعين خلقاً، من تخلق بواحد منها دخل الجنة ، فقال سيدنا أبو بكر ﷺ: أفي واحد منها يا رسول الله؟ قال: بل فيك كلها يا أبا بكر }

ويعتبر ﷺ التخلق بالأسماء الحسنى الآلهية هو أكبر نسب ينتسب به الإنسان، وبسببه يتفضل الله عليه بكل أنواع الكرم والجود والود والعطف الآلهي، فيقول ﷺ موضحاً هذا النسب الآلهي:

((نسب به يقبل عليك ونسب به تقبل عليه، فإذا تجمل بهما الإنسان، كان مع الله وكان الله معه، وصار محبوباً لله مراداً لذاته، وأي شرف أعظم وأكمل من اتصال نسب العبد بالله تعالى .

النسب الذي يقبل به عليك، إقبال امداد واحسان ووداد وامتنان وشفقة ورحمة ورأفة حتى يمنحك منه ما تشاء أو يكون لك عنده ما تشاء، هو تحققك بحقيقتك وانكشاف معانيك لك حتى لا تنس من أنت نفساً ولا طرفة عين ! فتكون بهذا الانكشاف دائم الاضطرار والتوكل عليه، والتفويض لجنابه العلي والفقر لذاته الأحدية، فإذا تحققت النسب الذي هو حقيقتك، أقبل عليك بمعاني الربوبية، وقابلك بواسع الإحسان والعطية، فكنت ممتعاً بالجنة العاجلة التي يعجلها لأوليائه، لأنك باتصالك بنسبه العالي استحققت الولاية الخاصة وخصصت بالكرامة والعناية.

والنسب الذي تقبل به عليه سبحانه هو التخلق بأخلاقه الإلهية في المضايق التي تدفعك بقوة إلى التخلق بأخلاقك الحيوانية أو الأخلاق الإبليسية، عند ذلك تجاهد

[٥٩] رواه الطبراني عن أسامة بن شريك النبذاني.

نفسك في ذات الله وتتخلق بخلقه الكريم عند مقتضى ذلك مقبلاً عليه سبحانه لأنه سبحانه يحب صفاته ويحب أخلاقه خصوصاً إذا ظهرت في شخص يمكنه أن ينفذ مراده السيئ وموجب خلقه القبيح بدون أن يحصل له من ذلك مضرة، فيكون تخلقه بخلق ربه في هذا الموطن رفرف أعلى للدخول على حضرته العلية بدون حاجب ولا مانع، ولم يترقَّ مقرَّبٌ على سلم أقرب من هذا النسب، فإن نفساً واحداً يتنفسه الرجل متخلقاً بخلق من أخلاقه ﷻ بمقتضاه يكشف عنه جميع الحجب حتى يتشرف بالمواجهة والمشاهدة)) .[٦٠]

ويشير إلى هذا الإمام في بعض مواجيده النظمية فيقول:

نسبان نسب حقيقتي ومقامي	ثم انتسابي للمقام السامي
فالأول التوفيق للعمل الذي	هو شكر نعمة موجب إكرام
حلٌ بها أنا عبده متحققٌ	بالذل والتكليف بالإسلام
لأقوم بالطاعات مفتقراً إلى	نيل القبول بصحة الإحرام
نسب العبادة للقريب تقربي	لحظيرة الرضوان والإنعام
وبها أكون أنا العبيد لخالقي	عند الصلاة لذاته وصيام
أما انتسابي للمقام تخلقي	بجماله السامي بنص كلام
نسبٌ به كشف الغيوب لواصلٍ	وتحققٍ بالكشف لا الأوهام

وكان ﷺ يحث مريديه على التخلق بهذه الأخلاق العلية في كل فرصة تسنح له، بل ويتابعهم في ذلك من وراء حجاب، وهو الذي يقول في حكمته البالغة الجامعة: ((ليس بشيخ من لم يمدك من وراء حجاب)).

فهذا رجل من خاصة أصحابه يريد أن يصافحه، وكان قد حدث بينه وبين أمه خلاف، ولا يعلم أحد بذلك، فيرفض ﷺ مصافحته ويقول له زاجراً ومؤدباً: ((هذه

---

[٦٠] شراب الأرواح ص (٦٠، ٦١).

يدٌ عاقة ولا أسلم على يد عاقة، يا بني اذهب فاستعطف أمك واكسب ودها فهو خير لك من ملء السماء والأرض والبحر عبادة لله ﷻ))

وهذه واحدة من النساء الفضليات حرمت من نعمة الولد، فتذهب إليه ﷺ تسأله أن يدعو الله ﷻ لها لتنجب، فيستشف بروحه النورانية أن أم زوجها غير راضية عنها، فسألها عن ذلك فتجيبه بالإيجاب، فيقول لها: اذهبي وارضي حماتك يهب الله لك الولد، فتفعل ويكرمها الله ﷻ بالولد ببركة هديه وإرشاده.

وهذا رجل من أخصِّ أخوانه حرم أيضاً من نعمة بقاء الولد، فكان كلما ولدت زوجته طفلاً مات، وكان يوجد بينه وبين أخ صادق آخر خلاف، فيقول له ﷺ: إذا أردت أن يعش لك ولد فسمه باسم أخيك فلان، لينبهه بأن ترضية النفوس هي التي تستجلب الخير من حضرة القدوس.

وهذا سائقه الخاص وكان مسيحياً فأكرمه الله بالإسلام على يديه وسماه صهيب الرومي تيمناً بسيدنا صهيب ﷺ، يكشف له ببصيرته النورانية وشفافيته الروحانية عن سر إسلامه فيقول له: يا بني زر أمك التي أرضعتك لبن الإسلام، فيتعجب لأن أمه مسيحية! ومتمسكة بدينها، ثم يستقصى الأمر فإذا به يعلم أن أمه مرضت وهو طفل صغير، وكانت تسكن بمدينة الإسماعيلية فأخذته جارة لها مسلمة وأرضعته فكان لبنها سر إسلامه، فذهب إليها وودها وبرها لأنها أمه في الرضاعة.

وهكذا لا يترك ﷺ مريداً سالكاً تحقق صدقه عنده إلا ويراقب سلوكه وأخلاقه ببصيرته النافذة، ويوجهه إلى تصحيح حاله وتحسين خلقه وإخلاص قصده، تارة في الدروس العامة إن كان لا يتحمل المواجهة لصغره في مقام التربية، وأخرى فيما بينه وبينه إن كان قد تأهل لهذا المقام العالي، ويلوح للجميع بأسرار الوصول إلى رضى حضرة البديع فيقول:

هي الأخلاق أسرار المعالي ... تفاض على أولي الهمم العوالي
ترى الإنسان إنساناً عياناً ... وتشهده بها نور المثال

يلوح عليه نور الوصـــف يجلـــى كما يجلى على الْمَلَــكِ المــوالى
بـــأخلاق المهـــيمن قـــد تحلَّـــى فحـــلَّ مقـــام أعلـــى بالجمـــال
فـــذلٌ للعلـــي بـــه فخـــارى وفقـــرٌ للغـــني بـــه نـــوال
بأضداد الـــصفات أنـــال قـــربي وأحظى مـــن إلهـــي بالوصـــال
بأخلاق المـــراد وقـــد أضـــاءت بأفق القلـــب شمـــس الاتـــصال
على الخلق العظـــيم بـــه رقـــى لأفـــق شـــروق أنـــوار المجـــالى

مراتب الذكر

ويقسم ﷺ الذكر إلى قسمين:

١- ذكر اللسان.

٢- ذكر القلب.

ويشير إليهما في قوله:

الذكر ذكران ذكر القلب ولـــسان هما مقاما شـــهودي دار رضـــوان
فذكر فؤادي رؤية الوجـــه ظـــاهراً وباسم الذي أهواه ذكـــر لـــسان

ويقـــول أيـــضاً: ((لا يـــصل أحـــد إلى الله تعـــالى إلا بـــدوام الـــذكر، والذكر يكون باللسان ويكون بالقلب، فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب، وذكر القلب عليه المعول؛ فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه حال سلوكه))[٦١]

ذكر اللسان:

فيبدأ المريد عنده بذكر الورد القولي لليوم والليلة ويشتمل على:

[٦١] مذكرة المرشدين والمسترشدين صفحة (٢٣).

١- الاستغفار مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل.

٢- قول (**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير**) مائة مرة نهاراً، ومائة مرة بالليل.

٣- الصلاة على النبي ﷺ بهذه الصيغة:

((**اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكرب وتزيل بها الضرر وتهون بها الأمور الصعاب، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين**)) مائة مرة بالنهار ومائة ليلاً.

فإذا انجلى القلب وحضر مع ربه كاشفه بذكر القلب وبين له مراتبه، والتي يجملها ﷺ بقوله: ((إذا ذكر اللسان سكنت النفس وإذا ذكرت النفس سكن القلب وإذا ذكر القلب سكنت الروح وإذا ذكرت الروح سكن السر وإذا ذكر السر سكنت نفخة القدس وإذا ذكرت نفخة القدس ذكر الله تعالى)) ...[٦٢]

ذكر القلب:

وذكر القلب عنده له منازل عدة بحسب ما يلوح للسالك من الأنوار وما تتحمله حقائقه من المواجهات والأسرار، وإجمال هذه المنازل هو:

١- ذكر القلب:

وهو استحضار عظمة الله استحضاراً يجعله ﷻ يسيطر على غاشية القلب؛ فلا يتنفس الإنسان نفساً ولا يتحرك حركة إلا وهو يراقب الله ﷻ وهو مقام المراقبة.

٢- ذكر السر:

وهو انكشاف الستار عن حقائق الأسرار الخافية في المظاهر والآثار. فأينما تقع عين رأسه على أثر من آثار قدرة الله تشهد عين بصيرته ما فيه من أسرار وحكم وخواص أودعها فيه الله.

[٦٢] جوامع الكلم ص ١٤.

غض عين الحس واشهد بالضمير تشهدن يا صبُّ أنوار القـــدير

٣- ذكر الروح:

وهو شهود تجليات الأسماء الإلهية منفعلة في جميع المظاهر الكونيـــة حيـــث أن الكون كله يدور ويتحرك بسر انفعال هذه الأسماء.

٤- ذكر اللطائف البرزخية:

وهذه اللطائف هي الحقائق النورانية غير المرئية والكامنة في الهياكل الإنسانية، فإذا فنى الإنسان عن عوالم الأكوان واتصلت روحه بحضرة الرحمن، ذكرت اللطائف وذكرها في المواجهات بحسب ما يلوح لها من الكشف والعيان.

وتلك المراتب وهذي المنازل لا يستطيع السالك أن يترلها بمفرده ولكن لابد له من مرشد يوجهه ويلاحظه ويحفظه من الحظوظ الخفية، والقواطع والحجب النفسانية، حتى تستوي حقائقه النورانية على جودى الأمان في لجة الألوهية.

الخلوة

والخلوة عند الإمام أبي العزائم ﷺ تغاير مفهومها عند السادة الصوفية، فالخلوة عند الصوفية: بناء محاط بالجدران يسع إنساناً واحداً واقفاً أو جالساً أو نائماً، يدخل فيها السالك بإذن شيخه، ليتحقق له الصفاء، ويحدث له الفتح، وهذه الخلـــوة عنـــد الإمام ﷺ لا يجب أن يدخلها المريد إلا بعد أن يتحقق الشيخ أن قلبه قد خـــلا مـــن الصور الكونية، وأن سره قد صفا من الهواجس النفسية، وإلا كان كما يقول ﷺ:

كم عابد في ظلمـــة لا يـــشهدن إلا وســـاوس نفـــسه بخيـــال

هذا بالإضافة إلى أن هذه الخلوة الموصوفة سابقاً تجعل المريد قاصراً نفعه علـــى نفسه ولا يتعداه إلى غيره، بل ربما قصر في حق من كلفه الله بأمرهم، ولكن الخلـــوة الحقيقية كما بينها الإمام أبو العزائم هي خلوة القلب وطهارته بالكليـــة مـــن جميـــع الشواغل الكونية، والخلجات والخواطر النفسية وتوجهه وانشغاله بالله عز شأنه، ومن

كان هذا حاله لا يهمه أن يكون في عمله بين زملائه أو في بيته مع أولاده أو حتى في السوق يقضي حوائجه لأنه لا يشغله شاغل عن الله ﷻ، وحاله تعبر عنه السيدة رابعة العدوية فتقول:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للخليل مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ويقول في ذلك أيضاً الإمام أبو العزائم ﷺ:

أنا حاضر وحبيب قلبي لم يغب نفساً فما هذا الغرام البادى
يا ذكر لم أك غافلاً عن بغيتي فلِمَ الهيام وفي الفؤاد مرادى
فأجابني لم تنس نفساً إنما ذكر الحبيب مدامة الأفراد

أنواع الذكر

وحتى لا يمل السالك، نوّع ﷺ الأذكار والأوراد ليدخل من ورد إلى ورد ومن طاعة إلى قربة، فيكون لسانه أبداً رطباً بذكر الله وقلبه دائماً يستحضر عظمته كأنه يراه سبحانه وتعالى.

ومن تلك الأنواع على سبيل المثال، غير ما ذكرناه سابقاً من الفكر وتلاوة القرآن والورد القولي ما يلي:

١- الأحزاب:

والحزب يعني دعاء مخصوص يتوجه به العبد إلى الله ﷻ إذا حزبه أي أهمه أو شغله أمر فيكشف عنه الله ما نزل به بسر هذا الدعاء.

وقد ترك ﷺ ما يزيد عن الخمسمائة حزب، وإن كان أغلبها ما زال مخطوطاً ولم يطبع حتى الآن إلا أنها تمثل قمة النثر الصوفي، من حيث الصياغة والعبارات إلى جانب ترقيتها للقلوب وإخمادها للنفوس، بما تحويه من تضرع وابتهالات.

وسنذكر منها هنا حزباً واحداً كبيان عملي لتوضيح ما سبق أن ذكرناه، وهو الحزب الذي اختاره ﷺ ليردده أحبابه مع الفتوحات الربانية في الصلاة على خير البرية عند جلوس الإخوان واجتماعهم مع بعضهم البعض ويسمى حزب الحصن الحصين:

حزب الحصن الحصين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ يا جبار يا قهار يا منتقم يا شديد البطش يا حي يا قيوم يا علي يا عظيم،﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ الله أكبر (٥ مرات) كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ (٥ مرات) يا سلام يا حافظ يا قريب يا مجيب يا رءوف يا حفيظ احفظنا من أهل الشر كلهم ومن شرهم وأربط على قلوبهم وألسنتهم وأبصارهم وأسماعهم، واجعلهم خاضعين لنا يا عزيز (٣ مرات) لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وهذا الحزب إذا كرره الإنسان صباحاً ومساء يحفظه من الآفات ويقيه من الحسد والسحر ويلبسه تاج الهيبة وحلة العزة.

٢- الفتوحات الربانية في الصلاة على خير البرية:

وللصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم شأن عظيم في تهذيب نفوس السالكين وترقيق حالهم عند الإمام أبي العزائم ﷺ.

وقد أفاض الله ﷻ عليه ما يزيد على الخمسمائة فتح في الصلاة على سيدنا

رسول الله ﷺ بعبارات تكشف عن صريح مقامه ﷺ، وتبين مقداره العظيم عند الله ﷻ وتوضح خفي كمالاته التي تجعل القلوب تتعلق بهذا الحبيب المحبوب تعلقاً صورياً أو معنوياً حتى يكاشفها الله ﷻ ببعض مقاماته العلية.

وقد طبع من هذه الفتوحات المباركة خمسون فتحاً واختار الإمام ﷺ أربعة منها يتلوها المريدون في جماعة في مجالسهم التي يعقدونها لذلك وهي موجودة بكتاب نيل الخيرات، ويكفي أن نشير إلى صيغة واحدة من تلك الصيغ لنعلم قدر ما ناله الإمام أبو العزائم من حنان وعطف ووداد سيدنا رسول الله ﷺ وهو الذي يخاطبه فيقول:

عشقت ولكن بعد رأى عيونى فصح غرامى ثم طاب جنونى

تلك الصيغة هي نهاية الفتح الثاني ويقول فيها:

((اللهم صلِّ وسلم وبارك على الرحمة العظمى لجميع العالم، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، ومتعنا باتباعه ﷺ واحمنا بحمايته ﷺ واجعلنا من أهل شفاعته ﷺ، وأحبنا بمحبته ﷺ، وأوصلنا إليه على براق سنته ونجائب محبته وابعثنا محفوفين بأنواره ملحوظين بعين رأفته وحنانته، فائزين بجواره في مقام يغبطنا عليه الملائكة والمقربون إنك واسع المغفرة والفضل مجيب الدعاء، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، وصلى الله على سيدنا محمد أجود الأجودين وعلى آله وصحبه الكرام والتابعين لهم على الدوام آمين)).

وقد تحيَّرت مرة في مبلغ هذه الرحمة فرأيت مناماً كتاباً ضخماً مكتوب عليه بخط كبير ((الرحمة العظمى لجميع العالم)) ثم تصفحته فإذا فيه شرح وافٍ لكيفية إيصال الرحمة المحمدية لكل العوالم العلوية والسفلية مبوبة لكل صنف على حده، فكان شيئاً يبهر العقول ويحير الألباب، فعلمت أن الإمام أبا العزائم ما عبر في هذه

الصيغ الكريمة من الصلوات إلا عمَّا شاهده من مقامات الحقيقة المحمدية، فهو يميط اللثام عن أسرارها ويكشف الحجب عن أنوارها ويظهر أسرار كمالاتها في هذه الصيغ المباركة التي نرجو الله ﷻ أن يقيض لها من يقوم باخراجها وطبعها لينتفع بها المسلمون أجمعون.

وليس أدل على رفعة مقامه ﷺ عند سيدنا رسول الله ﷺ من تقسيمه للصلوات التي تلقاها العارفون من سيدنا رسول الله ﷺ إلى ثلاثة أصناف:

١- صلوات عددية:

وهي الصلوات التي يهتم فيها صاحبها بأعداد ما حوله من الكائنات ويذكرها في صلواته، ظاناً أنه يعطى من الأجر على قدر أو عدد ما يذكر، وإن كان في الحقيقة لا يأخذ إلا أجراً واحداً على كل صيغة لأنها صيغة واحدة مثل ... :

(اللهم صلِّ على سيدنا محمد عدد ذرات الرمال، وعدد قطرات البحار، وعدد أوراق الأشجار، وعدد بذور الثمار .. الخ).

٢- صلوات مددية:

وهي التي يمد بها سيدنا رسول الله ﷺ أحبابه من الصالحين عن طريق الإلهام، كالصلوات المنسوبة لسيدي عبد السلام بن بشيش وسيدي أحمد البدوي وسيدي إبراهيم الدسوقي وغيرهم من الأقطاب والأنجاب.

وقد جمع كل هذه الصيغ الشيخ يوسف النبهاني في كتابه (**سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين**).

٣- صلوات شهودية أو (عينية):

وهذه تكون في مقام المواجهات الشديدة لسيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه يتملون به ﷺ ويشاهدون جمالاته وكمالاته ويفاض عليهم في تلك الحضرة من عيون هباته ومن ميزاب تفضلاته، فيعبرون عما يشاهدون، ليشوقوا السالكين والمحبِّين،

وهذا الحال يعبر عنه الإمام فيقول:

من خمر نور جمالك ومن رحيق وصالك
شربت صرفاً فهمت وهام أهل كمالك
ومبشرى قال هيا قم فالحما لك سالك
فسرت وهو إمامي حتى وصلت هنالك
وأصبح القلب نوراً والقلب قد كان حالك
ناديت يا ليت قومي قد يعلمون بذلك

ويقول أيضاً:

ونادابي الإمام هيا أتاك الوصل بالبشر
فقم للدير يا ماضي فإني قد صدر أمري
تملَّى بي وشاهدني ومل عندي عن الغير
وأنبأ من يرد قربي بحسني حيث لا يدري

ومن ذلك نعلم أن الصلوات الممنوحة للإمام أبي العزائم ﷺ:

إنما هي عبارات .... تكشف عن أسرار ... ومشاهدات ...!! وتبين جمالات وكمالات الحقيقة المحمدية والأنوار الأحمدية التي خصَ بها سيدنا رسول الله ﷺ خاصة المحبين والمهيمين والعاشقين لذاته المحمدية ﷺ.

الفصل التاسع

أدب الدعوة إلى الله

- تجرد الدعوة إلى الله
- تهذيب الدعاة إلى الله
- أحوال الدعاة الروحانية
- آداب وأوصاف الدعاة إلى الله
- أنواع الدعاة إلى الله

تجدد الدعوة إلى الله

يرى أن الدعوة إلى الله تتجدد في كل زمان ومكان لأنه ما من زمان إلا وتجدُّ فيه أحداث لم تكن على عهد السلف وتظهر فيه شئون تقتضيها سعة العمران والتغيرات الزمانية والمكانية والعلمية.

ولما كانت تلك الأحداث والشئون لابد وأن ينظر إليها بعين الشريعة ليثبت حكمها من حيث الحل والحرام والندب والكراهة والوجوب والمنع، وكان لابد لكل زمان من أفراد يصطفيهم الله بنفسه فيفقههم في دينه ويلهمهم الصواب في القول والعمل، ويقيمهم مقام رسله صلوات الله وسلامه عليهم، فتنطوي النبوة في صدورهم، إلا أنه لا يوحى إليهم ...

ولذلك نظائر في الأمور المحسوسة فإننا لو عرضنا أمراض هذا العصر على ابن سينا وابن بختيشوع وغيرهما من كبار الأطباء، لجهل هذا المرض ولما علم له دواء، فكما أن الله سبحانه يحدث في كل زمان أطباء للأشباح لطفاً بالخلق ورحمة بهم، فهو سبحانه أرحم الراحمين بعباده، فيجدد لهم رجالاً يستنبطون الحكم على كل حدث حدث، أو شأن تجدد، وهم ورثة رسول الله ﷺ، سر قول الصادق المصدوق ﷺ : { العلماء ورثة الأنبياء }..٦٣

ومعلوم أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا دينار، وإنما ورثوا نوراً وهدى، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)) ٦٤ وإننا نرى دون تحيز أو عصبية، وإنما إحقاقاً للحق، أن الإمام السيد محمد ماض أبو العزائم هو المجدد لهذا العصر، لأنه جدد أحوال السلف الصالح في أخلاقهم وعقيدتهم وعباداتهم ومعاملاتهم، وأحيا ما اندرس من أحوال الأئمة السابقين سواء في جهاد الأعداء أو في محاربة الظالمين أو في تهذيب السالكين، أو في التبشير بالإسلام بين غير المسلمين أو محاججة ومعارضة المستشرقين.

---

٦٣ رواه ابن النجار عن أنس.
٦٤ الطهور المدار ص (١١، ١٢).

وقد كان ﷺ مدرسة كاملة تتشعب من جوانبها جميع العلوم الإسلامية النظرية والعملية إلى جانب ما أفاضه الله عليه من العلوم الوهبية والأحوال السنية، فرضي الله تعالى عنه وجزاه الله عنا وعن المسلمين أجمعين خير الجزاء.

هذا ولا تزال دعوته ﷺ موصولة في صدور الدعاة الصادقين من خاصة أتباعه الذين أشار إليهم فقال: ((من أراد الوصول فعليه بعبد موصول، وعليه بحفظ الأصول، وأول أصل من الأصول ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ ﴾ [٧الأنبياء])).

تهذيب الدعاة إلى الله

وفي سبيل ذلك كان جهاد الإمام أبي العزائم ﷺ في إعداد الدعاة إلى الله بالصفة والكيفية التي وضحها فيما ذكرناه، فبعد أن يترلهم في منازل الجهاد والرياضات الروحية، يكشف لهم بين الآونة والأخرى الحجب والقواطع التي تعوقهم عن بلوغ المراد وهي كما بينها ﷺ عقبات للسالكين لخصها ﷺ فيما يلي:

١- الحرص على الدنيا والجاه والرياسة ونظره إلى خصوصيته.

٢- غرور المريد بعمله وعلمه وبثناء الخلق عليه.

٣- ميله إلى حب الكرامات وشهرتها بين الناس.

٤- الانشغال باقبال الخلق عليه فيرغب فيما في أيديهم.

٥- الاشتغال بالجدل مع الخلق ومعاداتهم.

٦- أن يصرف المريد وقته ملتفتاً عن المرشد مشغولاً بما يبعده عن منازل القرب ومشاهد الحب.

٧- تمكن العدو من المريد وايهامه بأنه يدافع عن الحق وعن السنة، فيرى أن عمله هذا هو الحق، فيعتقد في نفسه أنه خدم المرشد ونفعه، ولولاه لم يكن له

طريق وينسى نفسه)) [٦٥]

أما حجب الواصلين وقواطع المنتهين، فقد فصلها ﷺ في كتابيه شراب الأرواح ومذكرة المرشدين والمسترشدين فمن أراد المزيد فعليه بهما.

ونشير هنا إلى شئ من طريقته ﷺ في تربية الدعاة إلى الله ﷻ فقد كان ﷺ إذا صحبه السالك وأخلص في صحبته وصدق في إرادته، يمن الله ﷻ عليه ببركته، فيفتح الله له باباً من الإلهام يجعله يعجز العلماء بل ويدهش الحكماء عندما ينطق بالحكمة العالية التي أفيضت على قلبه من الله ﷻ سر قوله سبحانه ﴿ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ ﴾ [٦٥الكهف].

وأخطر ما يحيق بالسالك في هذا الوقت، أن يرى نفسه صاحب هذا العطاء، أو يتيه على غيره بالفضل الذي حظى به من ربه، أو ينس حقيقته الطينية ويطلب من الخلق عطاءاً أو ينتظر منهم التعظيم له، فكان ﷺ يلاحظ أولاده ليخرجهم من هذه العقبات ويجعلهم لا يلتفتون إلى دنيا أو آخرة أو كرامة أو مترلة فيقول لهم:

(من كان الله مراده فمقعد صدق وراءه):

ويحذرهم فيقول:

(إذا كان لك غير الله مراد، فكيف تبلغ منه منازل القرب والوداد؟).

فإذا نسى السالك أو تناسى لانشغاله بنفسه هذه القواطع والحجج أخرجه بطريقة أو بأخرى .... وخذوا أمثلة نيرة على ذلك ...:

مرة يؤدب العلماء الذي رأوا لأنفسهم شأناً نتيجة علمهم وإقبال الخلق عليهم مع أنه حذرهم من ذلك فقال:

فإذا دعاهم أن يدلوا غيرهم قاموا بحول منه لا بفخار
يدعون والرهبوت ملء قلوبهم بالهدى هدي المصطفى المختار

[٦٥] معارج المقربين ص ١٤٤.

وإذا رأيت الخلــق مقبلــة فــلا تركن ركون مقرب مــن نــار

فالخلق فتنة مــن أردت صــدوده وشهود أهل البعــد في الأدوار

ولذلك حادثة وقعت في مدينة منفلوط، وهي بلدة تشتهر بالعلم والعلماء ...

فأتى ﷺ برجل صياد من بلدة برج البرلس، وهو الشيخ عرفــات الجمــال، وأمره أن يلقي الدرس بالمسجد الجامع، ووجه الإخوان جميعهم، بما فــيهم الــدعاة والعلماء لاستماعه !!!، فأتى بالعجب العجاب حتى أبهر الحاضــرين، وأضــمحلت أنفس العلماء والدعاة في أعينهم، عندما رأوا هذا الأمي الــذي كــان لا يقــرأ ولا يكتب، وقد أفاض الله عليه من العلوم ما لم يقرأوه في كتاب، أو يسمعوه من عــالم، فذهبوا وأثنوا عليه عند الشيخ !!!

وأحس ﷺ بشفافيته النورانية بأن هذا الثناء حرك نفسه نحــو العجــب (أي اعجاب المرء بنفسه) وهو من أخطر الأمراض والعقبات على السالكين، بل إنه أكبر قاطع عن اللحاق بمنازل المقربين، فخرجه ﷺ من هذا العائق في الحال بقوله:

(عرفات لقد كان يشرب الجوزة ويعلق فيها حلق ذهب !!) وهذا أمر لم يكن يدريه إلا عرفات فقد كان قبل أن يتوب الله عليهً على يــد الإمــام ﷺ، يــشرب المسكرات مع صديق له ويتناوبون الجلوس في منازلهم، وذات مرة، تنافس مع زميله على أيهما يبقى مدة أطول مع الشرب المتواصل لا يؤثر فيه الــشراب ولا يــسكر، وكانا بمنزل صديقه فشرب وعبَّ حتى ثمل صديقه وبقى هو على حالته، ولكي يثبت لصديقه صحوه، قام فخلع الحلق من أذن زوجة صديقه وهي نائمة وعلقه في الجوزة، وذكره ﷺ بهذا الأمر الذي يدل على قوة بصيرته، حتى يتذكر بدء حقيقتــه فــيعلم فضل الله عليه فلا يغتر ولا يعجب بنفسه ...

وهذا الأمر أيضاً كشف لنا شدة ملاحظة العارفين لمريدهم، وأن هذه الملاحظة ليست من بدء سلوكهم معهم، بل أنها من بداية ظهورهم ووجودهم، وفي ذلك يقول سيدي سهل التستري ﷺ:

((إني أعرف أبنائي من يوم ألست بربكم، وأربيهم وهم في أصلاب أبائهم منذ ذلك اليوم))

وقد كان يقول الإمام أبو العزائم ﷺ مطابقاً لهذه الحقيقة:

(أبنائي في أصلاب أبائهم لما يأتوا بعد).

وأحياناً كان يتدخل تدخلاً مباشراً على بعد، ليخرج السالك من غفوته، تارة في اليقظة وأحياناً في النوم.

ونضرب مثالين على ذلك من آلاف الأمثلة التي يرويها أحبابه ومريدوه، فأما في اليقظة فتدل عليه هذه الحادثة:

فقد طلب أهل ههيا بمحافظة الشرقية منه ﷺ في بيته بالقاهرة وهم يزورونه أن يرسل معهم واعظاً يذكرهم، فأمر ابنه المبارك السيد أحمد ﷺ أن يبحث في ثنايا الإخوان الحاضرين عن واعظ يكلفه بهذا الأمر، وبعد جهد قال: يا سيدي لا يوجد أحد على الاطلاق لا من الدعاة ولا من الإخوان الواعظين، فقال: من عندك من الإخوان؟ فقال: لا يوجد إلا الشيخ عبد العليم. (وهو تاجر بصل أمي من منطقة بولاق) فقال: أحضره. فأتى به وخلع عليه جبة كانت له وعمامة يحتفظ بها في دولابه الخاص، وذوده بالنفقات وأمره أن يتوجه مع إخوانه إلى ههيا ليذكرهم.

فأفاض الله ﷻ عليه من العلوم الوهبية والأسرار العلية، حتى أنه وكان يتحدث في الجامع الكبير بههيا، وكان بالمسجد أسرتان تتربص كل منهما بالأخرى لعداوة قديمة بينهما، لكنهما تأثرا بما سمعا، فما كان منهم إلا أن قاموا يعانق بعضهم بعضاً، ويصافح بعضهم بعضاً وهم نادمون على ما فرطوا في أنفسهم...

واستمر هذا الحال المبهر مع الشيخ عبد العليم تاجر البصل الأمي ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث، وكان جالساً في غرفته التي خصصها له الإخوان، تحركت نفسه فأعجب بنفسه، فوضع العمامة بناحية على رأسه من شدة إعجابه بحاله وشأنه، وإذا

به يرى ويتحقق أن ما عنده وما في صدره قد ذهب ولكنه كان حصيف الرأي، فعندما علم أن أمره سينكشف، طلب الإخوان وأخبرهم بأن الشيخ طلبه ولابد أن يسافر في الحال !!!

وسافر ليجد الشيخ مستعداً للقائه، وأخبره بما وقع في نفسه وأعطاه درساً في هذا الأمر حتى لا يتبع رعونات نفسه، ولا يركن إلى عجبه طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا أكثر.

وأما مناماً:

فكما حدث في مدينة المنيا عندما دعت جمعية الشبان المسلمين الإمام أباالعزائم ﷺ لإلقاء محاضرة بها، ولشدة إعجابهم بحضرته، طلبوا منه أن يحدد لهم ميعاد لقاء آخر، فأشار عليهم أنه لن يتمكن في ذلك الوقت، ولكنه ينيب عنه الشيخ محمد أبوشريف (وهو ترزي عربي بمدينة المنيا).

وذهب الشيخ أبو شريف، وألقى محاضرة في بر الوالدين أذهلت السامعين، حتى أنهم لشدة إعجابهم به طلبوا منه تحديد موعد آخر لمحاضرة أخرى، فضرب لهم موعداً دون أن يستأذن من الشيخ، وشعر في نفسه بأنه صار عالماً جهبذاً لا يحتاج إذناً، وإذا به يرى الشيخ ﷺ في المنام يؤنبه ويزجره ويقول له: كيف تحدد ميعاداً بدون إذن من الشيخ والله ﷻ يقول ﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [٦٢النور]، ثم لطمه على خده فقام من نومه وقد أصاب وجهه ورقبته شلل، حتى أنه لا يستطيع أن يحرك رقبته أو يلفت وجهه، فأحس بجرمه وعرض نفسه على الأطباء لاستحيائه من الذهاب إلى الشيخ، ولكنهم عجزوا جميعاً عن تحقيق الشفاء.

وبعد خمسة عشر يوماً، أخذه الإخوان إلى الشيخ وكان بمنزله في المطاهرة في

ذلك اليوم، فوبخه وعنفه ليستيقظ ويتوب من هفوته، ثم صفح عنه ولطمه على الجهة الأخرى لطمة عادت بها رقبته إلى حالتها الطبيعية.

وهكذا كان لا يغفل ﷺ عن ملاحظة الدعاة والمرشدين حتى في اخص شئونهم، تهذيباً لنفوسهم وتخليصاً لهم من عثراتهم حتى كان يخبرهم بخلجات نفوسهم وأحاديثهم مع غيرهم ... وخذوا مثالاً:

كان ﷺ في دسوق نائماً، وإذا به يستيقظ فجأة ويقول لخادمه أئتوني بعبد الحي، فقالوا إنه يزور سيدي إبراهيم الدسوقي، قال: أعلم، فلما أحضروه وامتثل واقفاً بين يديه، قال له: لم تشكوني إلى سيدي إبراهيم الدسوقي؟ قال: يا سيدي لي شهران لم أزر أولادي في الإسكندرية واشتقت إليهم، قال: وهل منعتك من ذلك؟ أو قد طلبت أنت ذلك ورفضت أنا؟ قم الساعة !واذهب لترى أولادك، وذوَّده بالزاد والنفقة اللازمين لذلك.

أحوال الدعاة الروحانية

فإذا وصل الداعي إلى مقامات الحقيقة، وفتحت لعين بصيرته أنوار الطريقة، وجهه إلى المحافظة بشدة على أداب الشريعة، لأن أكبر ما يقطع السالك عن الله ﷻ في هذا المقام هو الحال أو الاعتقاد أو القول الذي يخالف أحكام الشريعة.

فيقول لهم ﷺ:

(إذا تعارض كشفك مع القرآن والسنة، فاضرب به عرض الحائط، وقل لنفسك إن الله ﷻ ضمن لي العصمة في اتباع القرآن والسنة ولم يضمنها لي في الكشف).

ويحذر من تحدثه نفسه في هذا المقام بالكرامات والرغبة في ظهورها على يديه لشهوة في نفسه، ولكنها شهوة خفية لا يطلع عليها، بل ولا يتنبه إليها إلا كمل الواصلين يقول لهم:

(ليست الكرامة أن تطير في الهواء، لأن الطير يفعل ذلك وليست الكرامة أن تمشي على الماء، لأن السمك يفعل ذلك وليست الكرامة أن تطوى لك الأرض لأن إبليس وهو عدو الله ﷻ يفعل معه ذلك، وإنما الكرامة: أن يكرمك الله ﷻ بالاستقامة، فالاستقامة خير من ألف كرامة).

أما من تحدثه نفسه بأنه وصل واتصل، ومادام قد وصل واتصل فلا عليه من ترك العبادات الشرعية لأنها في نظره، وسائل للوصول إلى الحقيقة وهو يعتقد أنه قد وصل إليها يقول له:

(من ترك الصلاة وقال إني قد وصلت فقل له: قد وصلت ولكن إلى سقر، لأنه لو كان أحد يرفع عنه التكليف، لكان الأولى بذلك سيدنا رسول الله ﷺ أو الخلفاء الراشدين أو العشرة المبشرين بالجنة، وهؤلاء كان أكمل الناس قياماً بالأحكام الشرعية والعبادات الإسلامية)

ويوجه إلى ذلك نظماً فيقول:

لسنته فاخضع وكن متأدباً وحاذر فحصن الشرع باب السلامة
على الجمر قف إن أوقفتك تواضعاً يكن لك برداً بل سلاماً برحمة

وهكذا يوضح أن العصمة والحفظ في المنازل والمقامات لا يكون إلا بالمحافظة على أحكام وأوامر الشريعة المطهرة.

الشرع عصمة سالك يهدي إلى رضوان رب العالمين

ويبين لهم أن الأحوال تنقسم إلى ثلاثة:

١- أحوال ربانية وهي المحفوظة بالآداب والتعاليم الإلهية.

٢- أحوال طبيعية أو (نفسانية):

وهي التي توسوس بها النفس الأمارة أو تصورها للإنسان أوهامه وخيالاته الفاسدة من أشياء يراها في نفسه وليس لها وجود في عالم الحقيقة.

٣- أحوال شيطانية:

وهي أحوال الأدعياء التي يخدعون بها الناس ليصلوا بها إلى أغراضهم وأهدافهم الخبيثة.

ويبين ﷺ المقامات والمنازل التي يمر بها الواصل ويشرح لكل منزلة آدابها، ويبين عقباتها حتى يكون السالك على علم بما يعرض عليه، وذلك في كتاب شراب الأرواح وكتاب الصوفية والتصوف وكتاب مصطلحات الرجال، وإن كان الأخيرين لم يطبعا بعد.

آداب وأوصاف الدعاة إلى الله

وضع ﷺ أوصافاً وآداباً للدعاة إلى الله ﷻ ينبغي أن يكونوا عليها حتى يستطيعوا أن يؤثروا في الناس، فمن جملة هذه الآداب التي يتجملون بها مع الناس:

١- (أن يكون الداعي إلى الله تعالى:

- حكيماً رحيماً حريصاً على النفوس.
- معتقداً عند الناس.
- مشهوراً باتباع السنة والكتاب والعمل بهما.
- متباعداً عما ينفر القلوب من كل الأعمال والأخلاق والأحوال.
- وأن يكون متمكناً من أصول التوحيد.
- طبيباً حاذقاً بأمراض النفوس ودوائها.
- خبيراً بمداراة الناس، فاهماً منزلة كل إنسان، له معرفة بسيما الناس

التي تدل على خفى طباعهم وغرائزهم ومكنون أخلاقهم)[٦٦]

٢- أن يألف الناس، ويتحمل أذاهم ... حتى يألفوه، ويرغبهم في الأخلاق الكريمة.

٣- أن يجاهد نفسه ليعمل أولاً بعلمه ثم يدعو الناس إلى ذلك.

٤- ألا يفرق بين الناس بسبب الفقر أو الغنى أو الجاه أو النسب في الاقبال عليهم والبشاشة لهم.

٥- لا يستحي إذا كان لا يعلم أن يقول لا أعلم، كما لا يستحي أن يطلب العلم ممن فوقه دون التعصب لشيخه.

٦- أن يتحصن بالحصون الشرعية عند دواعيها، وفي ذلك أمور كثيرة فصلها الإمام ﷺ في وصيته الجامعة حيث يقول لإخوانه وأحبابه:

(الواجب علينا أن نتباعد عما يريبنا أو يوقعنا في الريبة عند الناس، بأن نتحصن بالحصون الشرعية، فلا نتكلم أمام الناس بخصوصياتنا ولا بخصوصيات المرشد.

ولا نفضل طريقتنا أو أستاذنا على الطرق الأخرى ولا على الرجال، لأن ذلك يوقع المسلمين في فتنة وشغل في غير الحق.

وأن نحافظ على إخواننا المسلمين من الوقوع في غيبتنا وظن السوء بنا، بترك الأعمال التي لو عملناها لا تضرنا ولكنها تلفت المسلمين إلى ذمنا مثل:

- أن نترك الصلاة في المساجد بالتلذذ بها في الخلوة.
- ومثل أن نترك الكلام مع الناس اشتغالاً بالأنس بالله.
- ومثل أن نترك العمل في الدنيا توكلاً على الله.

---

[٦٦] مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ١٠٢.

- ومثل الخلوة بالأجنبيات تحصناً بمراقبة الله تعالى واعتقاد أنه لن يضره ولن يضرها ذلك، لعلمه بنفسه ومعرفته بالكبائر المحرمة شرعاً.

فإن ذلك موجب لوقوع الناس في الشر وفساد اعتقادهم في الطريق وأهله.

ومثل ترك الملابس وتكلف لبس المرقعات، مما يجعل الناس يقعون فيه، فإن ذلك مخالف لطريقتنا ومبدأنا لأننا نحب اقبال الخلق على الله ودعوهم جميعاً إلى الحق.

ومن كان هذا طريقه وحاله، فالواجب عليه أن يؤلف الخلق اجمعين لا فرق بين المسلم وغيره من المجوسي واليهودي والنصراني، وأنَّ تأليفهم يكون بالمحافظة على وصايا القرآن الشريف، وكمال الاقتداء بسيدنا ومولانا محمد ﷺ في السر والعلن، وبأن يخفي مواجيده وأحواله وأسراره عن العامة حتى يكون مع الخاصة)[٦٧]

٧- بذل ما في اليد للناس تأليفاً لهم وعدم التطلع إلى ما في أيديهم.

٨- ترك الجدل مرة واحدة إلا ما كان لبيان حكم من الأحكام الشرعية مختلف فيه ويكون بالتي هي أحسن.

أما أخلاقهم التي يتحلون بها في ذواقم وأنفسهم، فلقد أجملها ﷺ في قوله واصفاً الدعاة الصادقين إلى الله:

(الصبر مطيتهم، وجمال الأخلاق رائدهم، والحلم سفيرهم، والحياء وزيرهم، والخشية من الله قوامهم، ووجهه الكريم قبلتهم، وفضله ورضوانه مبتغاهم، سرورهم اقبال الخلق على الله فهي تجارقم التي يبذلون لأجلها النفس والنفيس، وهي كما وصف الله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ .... ﴾ إلى قوله:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [٦٣ - ٧٦ الفرقان].

وقد اشتاق إليهم رسول الله ﷺ ووصفهم بإخوانه ﷺ، فهم أبداله ﷺ وخلفائه

---

[٦٧] مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ٣٤.

ﷺ وخلفاء ربنا ﷻ، قاموا مقام الرسل عليهم الصلاة والسلام بالرحمة والعاطفة والرأفة والحرص على المؤمنين والزهد فيما سوى الحق، يحببون عباد الله في الله ورسوله ﷺ، ويرغبونهم فيما عنده ﷻ بين خوف لا يبلغ درجة اليأس وطمع لا يؤدي إلى أمن من مكر الله.

أخلصوا لله سرائرهم، فجمل الله ظواهرهم وبواطنهم وأخلصوا له المعاملة فأكرمهم سبحانه بالمواجهة والمنازلة.

نظروا الدنيا بعين شهدت الحق فاحتقروها، وسكنوا فيها بأبدان قلوبها في الملأ الأعلى فاستوحشوها، وأقاموا فيها بآمال غايتها الأنس بالله فهجروها، فهم في الدنيا وليسوا فيها.

ظهر الحق لهم جلياً فاتخذوا الله ولياً، وعلموا مرتبتهم فتولوا خالقهم، علموا الناس بأعمالهم قبل أقوالهم وبأحوالهم قبل أعمالهم، فالرجل منهم واحد في الخلق وهو أمة عند الله تعالى.

هذه هي صفات الدعاة إلى الله تعالى وأحوالهم، فمن ظفر بواحد منهم فقد وصل إلى الله تعالى وعرفه سبحانه)[٦٨]

أنواع الدعاة إلى الله

وقد قسم ﷺ الدعاة إلى الله ﷻ إلى أربعة أصناف هم:

١- العلماء بالله:

وهم الذي عرفوا حقيقة أنفسهم فكاشفهم الله ﷻ بذاته سبحانه وأسمائه وصفاته.

---

[٦٨] نيل الخيرات الطبعة (١١) ص (١٢ - ١٣).

٢- العلماء بأيام الله:

وهم الذين فقهوا قول الله عز وجل: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ﴾ فعلموا الأيام التي لها شأن وقدر عند الله، فذكروا بها انفسهم حتى لانت جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وإلى طاعة الله، ثم قاموا يذكرون بها غيرهم حتى يخرجوهم من ظلمات الشكوك والأوهام إلى نور الطاعة والقرب من الملك العلام، وقد فصل تلك الأيام تلميذه النجيب الشيخ محمد علي سلامة في كتابه **(أيام الله)** فليراجعه من يريد الاحاطة بتفصيل ذلك.

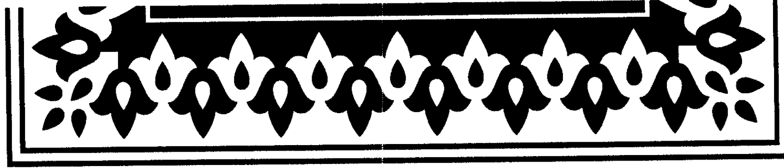
٣- العلماء بأحكام الله:

وهم حملة الشريعة الأمناء الذين يحفظون أحكام الله في العبادات والمعاملات ويفصلونها للناس بحسب الوقائع والمناسبات.

٤- العلماء بحكمة أحكام الله:

وهم الذين عملوا بالأحكام ليصلوا بها إلى معرفة الحاكم ﷻ، فكاشفهم ﷻ بالحكمة التي من أجلها أوجد وفرض هذه الأحكام على عباده.

وقد أشار ﷺ إلى الحكم المختلفة للصلاة والزكاة والمعاملات في كتابه (**أسرار القرآن**) وأشار إلى حكمة أحكام الصيام في كتابه (**صيام أهل المدينة المنورة**) وأشار إلى حكمة أحكام الحج في كتابه (**هداية السالك إلى علم المناسك**).



الفصل العاشر

جهود الإمام أبي العزائم رضي الله عنه في إصلاح المجتمع الصوفي

- الحاجة إلى الطريق
- حالة أهل الطريق في عصره
- جهوده لإصلاح أهل الطريق

- المرحلة الأولى:
بيان أحوال السلف الصالح

- المرحلة الثانية:
بيان أوصاف أهل الطريق وأهدافهم

- المرحلة الثالثة:

وعوته إلى توحيد أهل الطريق

- المرحلة الرابعة:

المرشد الدال على الله

- شبهات في أئمة الطريق

- الشبهة الأولى: الولي المجزوب
- الشبهة الثانية: أبناء الصالحين
- الشبهة الثالثة: النسب الشريف
- الشبهة الرابعة: أدعياء الحال

- المرحلة الخامسة:

آداب أهل الطريق

- آداب أهل الطريق
- تتمة

الحاجة إلى الطريق

يرى ﷺ أن الناس جميعاً لا يحتاجون إلى سلوك طريق القوم، وإنما يحتاج إلى ذلك أصحاب الهمم العالية من المؤمنين، وأصحاب العزيمة الصادقة من المخلصين، والذين تنبعث من نفوسهم الرغبة الصادقة في الوصول إلى ما كان عليه السلف الصالح من أحوال ومقامات عند الله ﷻ، وفي ذلك يقول ﷺ:

وليس الكل مطلوباً لهذا ... ولكن خص لبعض أفراد قليلة
فدارِ أهل عصرك واجتنبهم ... وواصلهم على قدر الضرورة
فمنكرهم يسيئ ومن يسلم ... فقربه ولا تأمن شروره
ومن طُلْبَتُهُمُ عين العناية ... يروك بعين أنوار السريرة

وهو يقسم مراتب الدين إلى أربعة هي:

١- الإسلام.

٢- الإيمان.

٣- الإحسان.

٤- الإيقان.

ويرى أن أهل الطريق هم أهل مقام الإحسان وأهل مقام الإيقان.

أما مقامات الإسلام والإيمان فيكفي أهلها العمل بظواهر الشريعة والاستقامة على الطريقة، لعدم علو همتهم إلى هذه الأحوال العالية التي لخصها في قوله:

الحب مبدأنا والوجه قبلتنا ... والمصطفى قدوتي فاعلم مراقينا

ولما كان الإنسان لا يستطيع أن يلج هذه المقامات، وأن يدخل هذه المنازل بمفرده، لعدم علمه بمزلاتها وعقباتها لزمه أن يبحث على المرشد الحي القائم الذي خبر هذا الطريق وسلك دروبه ومفازاته واقتحم صعابه وعقباته، ورده الحق إلى الخلق

ليدعوهم إلى حضرة ذاته كما قال ابن البنا السرقسطي في منظومته:

إنما القوم مسافرون لحضرة الله وظاعنون

فاحتاجوا فيه إلى دليل عالم بالسير وبالمقيل

قد سلك الطريق ثم عاد ليخبر القوم بما استفاد

فيقول ﷺ مبيناً حاجة السالكين إلى الطريق: (يلزم لمن أراد أن يسلك طريق الله تعالى – لتحصل له النجاة والفوز والسعادة والوصول – أن يبدأ أولاً بالبحث عن الرجل الحي العالم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ، والعالم بتزكية النفوس وتخليصها من أمراضها ورعوناتها، والعالم بالأخلاق المحمدية المتجمل بها، الممنوح الحال الذي به يجرد النفوس من أوحال التوحيد، العالم بعلوم اليقين ومشارب الأبرار ومشاهد المقربين، العالم بحقيقة التوحيد الخالص من الشرك الخفي والأخفى، فإذا وجد هذا الرجل، فهو إمام أهل عصره جميعاً، والواجب عليهم جميعاً أن يتركوا الحظ والهوى والعلو في الأرض والتعصب للأباء والأجداد إقبالاً على الله تعالى، وتحقيراً لكل لذة يعقبها العذاب، وكل سيادة تنتج الشقاء، وكل شهرة تؤدي إلى حرمان الرحمة والغفران، وكل وظيفة تبعد عن دار الكرامة والإحسان الأبدي)[٦٩]

وهذا الرجل هو ما يسمى في اصطلاح القوم الشيخ أو المربي أو المرشد أو الدليل أو الرفيق في السفر إلى الله ﷻ، وقد كان السلف الصالح ﷺ يسافرون آلاف الأميال بحثاً عن هذا الرجل، فهذا الإمام أبو الحسن الشاذلي ﷺ يأتي من تونس إلى مصر بحثاً عنه، ثم إلى بلاد الشام وبلاد العراق، وهناك أخبره الشيخ أبو الفتح الواسطي أن شيخه في بلاد المغرب وقال له: (جئت تبحث هنا عن القطب، والقطب عندكم).

وهكذا نجد كمل الرجال لا يصلون إلى بغيتهم إلا بعد البحث عن الرجل الحي الذي أقامه الله لدلالة الخلق على الله والذي يقول فيه الإمام علي رضى الله تعالى عنه وأرضاه وكرم الله وجهه:

---

[٦٩] مذكرة المرشدين ص (٥٧).

(اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة إما ظاهراً مشهوراً وإما باطناً مستوراً لئلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته).

حالة أهل الطريق في عصره

لكنه في العصر الذي ظهر فيه الإمام أبو العزائم ﷺ، اندرست كثير من معالم الطريق، وأصبح الناس يشتغلون بأمور لا تمت إلى طريق القوم بصلة، وجعلوها هي أساس الطريق، فمثلاً: جعلوا لكل طريقة زياً خاصاً بها إذا لبسها المريد صار من أهل هذا الطريق وإن كان لم يتحقق باطناً بأحوال أهلها، ومن ذلك ما يقول ﷺ:

(ومن الدعاة الجهلاء من يجلسون في وسط العامة فيذكرون اسم ولي من أولياء الله ويبثون عنه الأقاصيص المفيدة بأنه ينفع ويضر، وأن من اتبعه يكثر ماله وولده، وأن من زار قبره تقضى حوائجه ويموت أعدائه، ويذكرون لهم من الكرامات ما هو حق وباطل، حتى يرغب الناس فيكون الضرر بذلك من جهتين: من جهة أهم يتبعون طريقه لعاجل فان، فيكونون ممن يعبدون الله على حرف، ومن جهة أخرى أهم يتبعونه لينتفعوا به من الجهة التي لا يمكنه أن ينفع نفسه ولا غيره منها، لأن النافع هو الله ويحرمون النفع من الجهة التي ينتفع منها لأن الله أقامه سبباً للنفع فيها، وهي جهة تلقي العلوم وفهم فقه القرآن الكريم وتزكية النفس وفهم أسرار التوحيد، وكشف حكم الأحكام أو التجمل بعلوم اليقين مما به السعادة الأبدية التي لا تذكر الدنيا بجانبها بشئ إلا كما يذكر العدم مع الوجود، وقد يحصل ضرر ثالث لا يقل عن هذين الضررين، وهو أن يكون الرجل الذي يدعون إليه متوفياً وليست له كتب علمية ينتفع بها من يقتدي به، فيحصل الضرر لمن اتبعه بحرمانه من طلب الرجل العالم الذي جعله الله نوراً والانتفاع بعلمه والاقتداء بعمله)[٧٠]

فانكر ﷺ هذه الأحوال التي ظهرت من هؤلاء المدعين ووضحها وبينها،

[٧٠] مذكرة المرشدين ص (٩٨).

إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل، فقد كان مرة في مدينة دمياط، وجاءه نفر من الأدعياء ومعهم بعض الثعابين والحيات وقالوا له: نحن نمسك الثعابين والحيات فماذا تفعل أنت؟

فقال لهم ﷺ: إمساككم للحيات والثعابين هديتم به كم رجل إلى الله عز وجل؟ فسكتوا. فقال ﷺ:

((أما أنا فأخرج حيات الحقد من القلوب وانزع ثعابين الحسد من الأفئدة، وأمسك بعقارب الحظ والشهوة من النفوس وأخرج الناس من هذه الظلمات إلى نور الطاعة في حصون الشريعة))

وأنكر ﷺ على من ينتسبون للعلم أو الطريق ويجعلون العلم أو الطريق باباً من أبواب جلب الدنيا، وأنكر أيضاً على من يشغلون أنفسهم بالمفاضلة بين فلان وفلان أو التعصب لشخص على آخر لحظ أو هوى مستكن في نفسه، فقام ﷺ بجهود كثيرة لإصلاح الطريق وأهله بعد أن نعى عليهم وقال لهم:

(أصبح اسم الطريق مرذولاً وأهل الطريق محقرين وأقوالهم مردودة، وأحوالهم منكرة، وأعمالهم مقبحة عند أهل الغرة وأهل الدنيا، لم ذلك؟ وكيف كان ذلك؟ لم يكن ذلك إلا لأن رجالاً اتخذوا الطريق مغنماً ومكسباً، فزينوا ظاهرهم للناس لخراب سرائرهم وباعوا الدين بالدنيا، وعملوا أعمال الآخرة بالدنيا، فذهبت أنوار الطريق، ومحيت أسراره وانطمست معالمه وجهلت أحوال أهله، وحجبت الامدادات السماوية، والفيوضات الربانية التي كانت تفاض على القلوب العامرة باليقين، والأبدان العاملة بسنة سيد المرسلين، والعقول الجائلة في الفكر في آيات السموات والأراضين، والأنفس السابحة في ملكوت السموات والأرض، والأرواح المواجهة لقدس الجبروت.

أما الآن فأصبحت أجسامهم بلا أرواح.

كل ذلك للاشتغال بالدنيا عن الآخرة وترك البحث عن الرجل المرشد العامل الدال على الله بقوله وعمله وحاله، كثر الحفاظ والمرشدون، وقل الراغبون

والطالبون، يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يجلسون مجالس الأنبياء والقلوب قلوب الشياطين)[٧١]

وأنكر ايضاً ﷺ على الذين يستخدمون المخدرات في مجالسهم ليفسدوا على الناس القوى التي بها إدراك الحكمة العالية وكشف خدعهم التي يزخرفونها لأهل التسليم ليستدرجوهم إلى أن يتمكنوا من قلوبهم فيتصرفون في أموالهم، ويلعبون بعقائدهم.

واشتد انكاره على من يأمر تلاميذه بترك العلم والتعليم وترك الوظائف والرواتب، بل وترك الأعمال الشرعية موهماً أن ذلك يحجب عن الأنوار، وأرجع كل ذلك إلى جهل الناس بحالة الطريق وأهله وما كان عليه السلف الصالح من أحوال ومجاهدات ومقامات، فقام يوضح ذلك كله على ما سنبينه في ما يلي:

جهوده لإصلاح أهل الطريق

وضع ﷺ خطته لإصلاح أحوال أهل الطريق على عدة مراحل:

المرحلة الأولى:
بيان أحوال السلف الصالح

فقد أخذ ﷺ يذكرهم في كل واد وفي كل ناد ....

بما كان عليه أهل الطريق من السلف الصالح من أحوال علية وأخلاق ربانية وعلوم وهبية، جعلت لهم المترلة العظيمة والمكانة الكريمة، ليس عند العامة فقط بل عند العلماء الأجلاء، وحتى عند الحكام، ويضرب لهم الأمثلة الكثيرة على ذلك.

نذكر منها على سبيل المثال:

---

[٧١] مذكرة المرشدين ص (٧٦).

(كان الرجل من أهل الطريق يمشي فيجتمع الناس عليه، فيردّهم الناس عنه بالسياط فلا يرتدون، ويمر بعده أمير المؤمنين والناس يضربون الناس بالسياط ليجتمعوا عليه فلا يجتمعون كان أمير المؤمنين يزور أهل الطريق في بيوتهم فيسمع منهم القوارص من الوعظ حتى يبكي، وفي زيارة أمير المؤمنين هارون لفضيل، وما واجه به ابن جريج أبا جعفر المنصور، وما كتبه بعض الصحابة لأمير المؤمنين عمر، كل هذا دليل على أن أهل الطريق كانوا أئمة للأمراء، وسادة للخلفاء لأنهم خافوا الله فأخاف منهم كل شئ، وأقبلوا على الله فأقبل بقلوب الخلق عليهم، وجملوا سرائرهم لله، فجمل الله علانيتهم لعباده.

أنت تسمع من أسرارهم وكراماتهم ما دونه أهل التاريخ عنهم، خصوصاً من ترجموا لأهل الطريق، واعتنوا بآثارهم، كانوا إذا جلسوا في مجلس، لاحت أنوار الحكمة، وظهرت أسرار المعرفة وامتلأت القلوب إيماناً، وذكر الله لرؤيتهم، وكره الناس الدنيا بما فيها، ورغبوا في الآخرة وما فيها، وكم أسلم يهودي ونصراني ومجوسي عند سماع عباراتهم، وعلم أحوالهم وبيان أخبارهم.

هكذا كان الطريق وكان أهل الطريق، حتى بلغ من التعظيم في القلوب أن الناس كانوا إذا أقسموا يقولون: وحياة أهل الطريق)[٧٢]

وهذا ما ذكره أيضاً الإمام الشعراني ﷺ في كتابه الأنوار القدسية حيث يقول:

((وقد أدركنا بحمد الله جملة من أشياخ الطريق أول هذا القرن، وكانوا على قدم عظيم في العبادة والنسك والورع والخشية وكف الجوارح الظاهرة والباطنة عن الآثام حتى لا تجد أحدهم قط يعمل شيئاً يكتبه كاتب الشمال، وكان للطريق حرمة وهيبة، وكان الأمراء والملوك يتبركون بأهلها ويقبلون بطون أقدامهم، لما يشهدونه من صفاتهم الحسنة.

وقد رأيت بعيني السلطان الغوري، وهو يقبل يد سيدي محمد بن عنان، ورأيت السلطان طومان باي الذي تولى بعده يقبل بطن رجله، وطلعت مرة مع سيدي الشيخ

[٧٢] مذكرة المرشدين ص (٦٦، ٦٧).

أبي الحسن الغمري للسلطان الغوري في شفاعة، فقام للشيخ وعضده من تحت إبطه وقال: يا سيدي عززتني في هذا النهار، فأنا ومملكتي كلها لا تفي حق طريقك))[٧٣]

ولو استقرأنا صفحات التاريخ لوجدنا تصديقاً لهذا الكلام العجب العجاب:

فهذا هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي يطوف بالبيت الحرام، فلا يتمكن من الطواف. إلا بمشقة بالغة، ويحاول الجند أن ينحوا الناس عن طريقه فلا يستطيعون، وبعد انتهائه من الطواف، جلس بالقرب من البيت يستريح قليلاً من التعب، وإذا برجل يريد أن يطوف، فيخلي له الناس المطاف بأكمله، بل ويتركون الحجر ليستلمه بمفرده وهم في ذلك كله يتمسحون به ويتبركون بآثاره، فيسأل أهل الشام هشام بن عبد الملك عن هذا الرجل، فيقولون من هذا؟ فيقول: لا أعرفه - مع أنه يعرفه معرفة جيدة - خوفاً عليهم أن يقعوا في حبه، فلا يسع الفرزدق الشاعر المشهور إلا أن يقول على البديهة:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... عند الحطيم إذا ما جاء يستلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
إن عد أهلي التقي كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل: هم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
يغْضِي حياءً ويُغْضَى من مهابته ... ولا يكلم إلا حين يبتسم
ما قال: (لا) قط إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت (لاؤه) نعم

وقد كان هذا الرجل الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين ﷺ أجمعين.

---

[٧٣] الأنوار القدسية للشعراني.

وهذه عمة الخليفة المأمون ترى سيدنا موسى الكاظم ﷺ يمشى في موكبه، وحوله ما يزيد عن السبعين ألفاً، فإذا فتح فاه بكلمة، أسرع ما يزيد على العشرة آلاف قلم يسجلونها في حينها، فانبهرت من هذا الموقف وقالت: هذا هو الملك لا ملك ابن أخي !

عبيد ولكن الملوك عبيدهم وعبدهم أضحى له الكون خادماً

ولعل قائل يقول أن هذا قد كان في الزمن الفاضل وقد انقضى وقته وذهب أمده، فنقول له: إن هذا يجدده الله ﷻ في كل زمان ومكان مصداقاً لقوله ﷺ:

{ وَلاَ تَزَالُ طائفةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ تَعَالَى } [٧٤]

وإليك مثالاً واحداً حدث في عصرنا الحديث:

فقد دخل الخديوي عباس الثاني ساحة الأزهر وحوله الجند، ولكن طلبة العلم والعلماء والناس بالأزهر، لم تأخذهم صولة الحكم، ولا رهبة السلطان، فظلوا في أماكنهم لم يتحرك منهم أحد، وفي غضون ذلك، دخل الشيخ محمد البهي ﷺ، فانفضت الحلق، وتجمع الطلبة والعلماء والناس حول الشيخ، يسعون لتقبيل يده والتماس بركته، فاغتاظ الخديوي من هذا الأمر، وطلب من رئيس الديوان أن يدعوه لزيارته في قصره، وصمم في نفسه أن يتخلص منه حقداً وحسداً على مكانته، فأوعز للخادم أن يدس له السم في قدح القهوة ففعل ما أمره به، وأتى به ووضعه أمام الشيخ، فنظر إليه الشيخ ثم قال للخديوي انظر: !! وفتح فاه فذعر الخديوي من هول ما رأى، فقد رأى فم الشيخ وقد تحول إلى بحر عظيم هائج الأمواج، فالتفت إليه الشيخ وقال له بلطف: ماذا يصنع فنجانك في هذا البحر العظيم؟ وشربه فلم يؤثر فيه ! ، فتاب على يديه وبنى له مسجده في طنطا، وأوقف عليه الأوقاف وكان يذهب إليه دائماً لزيارته والتماس بركته.

---

[٧٤] عن ثوبان ، سنن أبي داوود، وللحديث بمعناه روايات عديدة باختلافات.

أما عن احترام العلماء لهم وتبجيلهم لمكانتهم، فحدث عن ذلك ولا حرج، ويكفي أن نذكر ما كان يكنه الشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما لشيبان الراعي وما دار بينهما من مساجلات تسجل بماء الذهب.

ويكفيك أن تعلم أن ما كان يعجز عنه أحمد بن حنبل، كان يرسل به لأبي حمزة الصوفي فيجيبه عنه إلهاماً من الله ﷻ.

وهذا العز بن عبد السلام سلطان العلماء، يتحير عندما يسمع كلام الشيخ أبي الحسن الشاذلي، ويخرج من الخيمة مندهشاً ينادي على الناس ويقول: هلموا فاسمعوا هذا الحديث فإنه قريب عهد من الله ﷻ.

والأمثلة في هذا الباب طويلة وكثيرة، وفي هذا النذر اليسير ما يكفي صاحب القلب البصير، والمؤمن يكفيه قليل الحكمة.

المرحلة الثانية: بيان أوصاف أهل الطريق وأهدافهم

ثم يبين ﷺ الأوصاف التي إذا اتصف بها إنسان صار من أهل الطريق، وأفاض الله عليه من إمداداتهم فيقول:

((أهل الطريق: قوم صفت قلوبهم، فلم يحقد أحدهم على الآخر لأن كل واحد منهم عون للآخر على مقصوده، وقال الله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [٢المائدة] وكل واحد منهم مرآة لأخيه، يشهد فيها ما من الله به عليه من المنن فيشكره، أو ما ألم بنفسه من العيوب فيتطهر منها، أو من الأمراض فيتداوى منها، فالأخ منهم يحن إلى أخيه أكثر من حنينه إلى الماء البارد في اليوم الصائف لأن لقاء أخيه: إما مزيد من المواهب وإما تخلص من الأمراض والقطيعة والبعد، لم تقع أبصارهم إلا على محاسن إخوانهم وفضائل أصحابهم، لاشتغال كل واحد منهم بعيوب

نفسه عن عيوب أخيه، إذا أغضبتهم اجتهدوا في أن يرضوا الله فيك، وسعوا في أن يداووك من فساد أخلاقك، ويرغبوك في ربك فهم يدرأون السيئة بالحسنة، وإن أرضيتهم اجتهدوا في أن يرضوا الله فيك، فلا أذيتك لهم تخرجهم عن مراقبة رهم، ولا إرضائك لهم يلفتهم عن مواجهة مولاهم سبحانه، اجتمعت قلوبهم وإن تفرقت أبدالهم، وتآلفت أرواحهم لأنها بالست تعارفت، قد بلغ بهم الحب في الله حتى منحهم الله من المواهب ما غبطتهم عليه الملائكة والأنبياء، هذه علامتهم، وتلك صفاتهم، فأين هم؟ ومن هم؟)) [٧٥]

ثم يوضح ﷺ لهم الأعمال التي يجب أن يتنافسوا فيها فيقول:

((اعلموا أن المزاحمة والمنافسة، إنما تكون في الفرار من الدنيا إلى الآخرة، وفي التخلي عن الرذائل النفسانية للتجمل بالفضائل الروحانية في عمل الخير النافع لجميع الإخوان وفي السبق في عمل القربات والمسارعة إلى المنافسة في رفعة الدرجات عند الله لا عند الخلق، وفي احتقار نفسه ليعظمه الله، وفي الرضا بالفقر ليغنيه الله وفي التواضع لعباد الله ليرفعه الله، وفي بغض الشهرة والسمعة والرياسة خوفاً من القطيعة عن الله، وفي اعتقاد أن الدار الدنيا فانية زائلة، وفي ذلك تكون المنافسة والمزاحمة، ينافس في ذلك أهل الله الصالحون وأحباب الله المقربون ! ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٢٦المطففين] وليست المنافسة والمزاحمة في جمع ما يفني من المال، وما لا ينفع من الشهرة والسيادة وما لا يدوم من ملاذ المأكل والمشرب والمنكح والملبس والمسكن)) [٧٦]

وهكذا يبين الإمام ﷺ للصوفية أحوالهم، لتعلوا هممهم، ويوضح لهم أعمالهم ليتمسكوا بهدى سلفهم، ويوجههم إلى الميادين التي يجب أن ينزلوا فيها أنفسهم ليتمتعوا بأحوال الصالحين ويحظوا بصفات المتقين، ويكونوا من حزب الله المفلحين الذين قال الله فيهم: ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [٦٢البقرة].

---

[٧٥] مذكرة المرشدين ص (٥٨ - ٥٩).
[٧٦] مذكرة المرشدين ص (٦٥ - ٦٦).

المرحلة الثالثة:
دعوته رضي الله عنه إلى توحيد أهل الطريق:

ففي نظر الإمام أبي العزائم رضي الله عنه لا توجد طرق وإنما هو طريق واحد يوصل العباد إلى رب العباد.

وهذا ما وضحه قول الله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [١٥٣الأنعام] وإنما التعدد باختلاف مشارب الرجال وتباين مجاهداهم، واختلاف منازلاهم، وإن كانت الغاية عند الجميع واحدة ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [٤٢النجم]

وقد نوه بهذه الحقيقة الفذة في معظم كتبه، نذكر منها على سبيل المثال قوله:

((إن الطريق المستقيم يا إخواني واحد لا يتعدد وإن تعددت أنواع السير عليه سرعة وبطء وتأنياً وإقبالاً، والسالكون عليه وإن تفاوتت هممهم وتنوعت عزائمهم إلا أهم لا خلاف بينهم، لأهم كلهم على اعتقاد واحد ورأي واحد، ومذهب واحد سارعوا إلى وجهة واحدة، وتعاونوا على مقصد واحد وتنافسوا في مراد واحد، إنما الخلاف بينهم أن هذا على الطريق الحق، إلا أنه توسط وعمل بالقلب والجسم بحالة وسط، وأخوه معه على الطريق الحق، إلا أنه عمل الواجب البدني، ووقف عنده وذاد في عمل القلوب على الواجب القلبي، والآخر على الطريق الحق، إلا أنه يجاهد نفسه ليتخلى وأخوه معه إلا أنه ينافس ليتحلى، والكل في حيطة واحدة، وهي المدينة التي أشار إليها ﷺ بقوله:

{ المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون } ٧٧))،[٧٨]

ولم يكتف رضي الله عنه بالدعوة القولية فقط في هذا المجال بل خطى خطوات عملية في هذا المقام أهمها:

---

[٧٧] متفق عليه من حديث سفيان بن أبي زهير.
[٧٨] مذكرة المرشدين ص ٥٨.

أنه دعا مشايخ الطرق الصوفية جميعاً في عصره إلى بيته على حفل غذاء هيأه لهم، وبعد تلبيتهم الدعوة وحضورهم جميعاً، باسطهم وآنسهم حتى تناولوا الغذاء، ثم وجه الحديث إليهم فيما جمعهم من أجله وقال لهم:

(يا إخواني: ليس الطريق لنكون فرقاً مختلفين وعصباً متنافرين، وشيعاً متباغضين، قلوب على الحظ والهوى عقدت، وبالدنيا وما فيها أطمأنت، وللشهرة والسمعة طلبت، حتى أصبح المسلمون – وهم كثيرون – قليلاً، قال الله تعالى:

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [١٠٣آل عمران][٧٩]

وبعد أن أفاض ﷺ في شرح هذه الآية الكريمة، طلب منهم أن يختاروا واحد منهم ينصبونه إماماً للطريق ويسلم الجميع له، ويساعدوه على أداء رسالته.

وقال لهم بالحرف الواحد:

(الرجل الذي تختارونه، أنا أول من أحمل حذائه، وحتى لا تظنوا أني جمعتكم في بيتي لتختاروني، فسأترككم لمدة ساعتين تختارون من بينكم من شئتم) ثم تركهم وصعد إلى حجرته الخاصة.

وبعد المدة المحددة نزل فوجدهم وقد كادوا يقتتلون بل أن بعضهم تعالى على بعض بالسب والشتم وخلافه، فقال لهم: علام اتفقتم؟ فقالوا اتفقنا على أن نظل على ما نحن فيه؛ وهنا هاج شجوه وغص حلقه وقال قصيدته التي بدايتها:

ما اختلاف الطريق والقصد واحد والصراط السوي للمتواجد

ثم أخذ ينعي عليهم فيقول:

(يا أيها العلماء والمرشدون والخلفاء عن الطريق، وأبناء الأشراف وورثة أهل العلم بالله والفضل، أنتم الأنجم في أفق العامة، فإذا هوت تلك الأنجم، كيف تكون حالة الناس؟ وإذا كسفت تلك الكواكب، فبم يهتدي الناس؟ هلا اقتديتم بسلفكم

---

[٧٩] مذكرة المرشدين ص ٥٩.

الصالح، فزكيتم أنفسكم وجاهدتموها حتى أطاعتكم فملكتموها قبل أن تملككم، فكنتم بدور هدى كما كان سلفكم، وأنجم دلالات كما كان آبائكم ومشايخكم ومن سبقكم وأئمة للمتقين من أهل عصركم وذريتكم.

يا خلفاء الطريق: أنتم تسيرون مع من معكم إلى أين؟ وتعملون لمن؟

فإن قلتم نحن سائرون إلى الله ونعمل لله، أقول لكم: يا إخواني:

الطريق الذي سلك عليه السائرون إلى الله، معلوم لا يجهل، معروف لا ينكر، فهل عليه سلكتم؟ وعلى جادته نهجتم؟ ومن الميل عنه تحصنتم؟ إن كان ذلك فلم الإختلاف بينكم؟ ولم الشغل في المنافسة فيما لا ينفع؟ عجباً لكم !! لو أنكم على الطريق المستقيم والنهج القويم سرتم، وبحصون آمنة تحصنتم، لنزع الله ما في صدوركم من غل، ولأشهدكم من جمال آياته وعجائب قدرته، وغرائب حكمته، ما به تبتهج أنفسكم فتسكن إلى الله، وتطمئن قلوبكم فتحب الله، وتلين أعضاءكم فتعمل لطاعة الله)) [٨٠]

ومازال ﷺ يردد تلك الكلمات وأمثالها، ولكن كما قال القائل:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ولكنه مع ذلك كله لم ييأس من روح الله، بل ظل يدعو خلفاء الطريق بالحكمة والموعظة الحسنة، ويطمع في استجابتهم لداعي الحق، ومن أجل ذلك كان يرفض تسجيل دعوته في مشيخة الطرق الصوفية ويقول: ماذا نصنع إذا ذدنا الطرق الصوفية طريقة؟ وإن كان اضطر إلى تسجيلها قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بعامين فقط نظراً لظروف وملابسات حدثت سنوضحها فيما بعد..

وهكذا كان ﷺ صرخة جريئة بين صفوف الصوفية تدعو للعودة إلى الأحوال الشرعية ونبذ الخلافات والاحن من القلوب المؤمنة التقية، فرضى الله عنه في الذاهبين وأعقبه بخير في خاصة أخوانه الحاضرين آمين.

---

[٨٠] مذكرة المرشدين ص (١٠٨).

المرحلة الرابعة:

المرشد الدال على الله

ولما كان الأساس الذي ترتكز عليه الطرق الصوفية قاطبة هو المرشد أو الشيخ، وهو بمثابة القلب لأهل طريقه، فإذا صلح صلح جسد الإخوان جميعاً، وإذا فسد فسد جسد الإخوان كلهم، فركز الإمام أبو العزائم على ماهية الشيخ الذي يجب أن يلتف حوله أهل الطريق، نظراً لكثرة الأدعياء والبطالين في عصره، فاستنبط صفاته من كتاب الله ﷻ، وأشار إلى أن الشيخ المتجمل بهذه الصفات هو الذي يجب على أهل الطريق متابعته والمسارعة إلى التلقي منه، وهي كما يأتي:

أوصاف إمام الطريق:

جمعت هذه الأوصاف الآية الكريمة:

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [١٥١البقرة]

وهي الأوصاف التي تجمل بها سيدنا رسول الله ﷺ والتي دعا له بها سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [١٢٩البقرة]، وزاده الله ﷻ صفة خامسة وهي: ﴿ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ [١٥١البقرة] فقد دلت هذه الآية على العلوم التي بعث بها رسول الله ﷺ وأمره الله بتبليغها وهي:

١- علم الآيات:

ويقصد به العلامات الدالة على قدرة الله ﷻ في الأكوان وفي الإنسان، وهي المشار إليها بقول الله ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [٥٣فصلت] وفي ذلك يقول سيدنا أبوذر رضي الله عنه: { تَرَكَنَا رسول اللّه وَمَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلا عِنْدَنَا مِنْهُ عِلْمٌ } (صحيح ابن حبان عن أبي ذر)

٢- علم تزكية النفوس:

وهو العلم الذي به تصفو النفس من شوائب الرياء وعلائق الحقد وأدران الحسد وبواعث الحظ والهوى، حتى تنال مقام الإخلاص، ولا تحقق العبادة الغاية منها إلا بعد تزكية النفس وتصفيتها لقول الله ﷻ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝ ﴾ [الأعلى]. وهذا هو الطور الهام الذي جاهد فيه رسول الله ﷺ الأصحاب حتى فطرت نفوسهم على الصفاء والوفاء، وذلك لمدة اثنى عشر سنة، حتى تأهلت النفوس لعبادة حضرة القدوس، فبدأ نزول العبادات بالصلاة في العام الثاني عشر من بعثة رسول الله ﷺ، ثم توالت بعد ذلك بقية العبادات.

٣- علم الكتاب:

وهو علم الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والأخلاق والأسر والمجتمعات والسلم والحرب، وهو ما يسمى الآن بعلم ((الفقه)).

٤- علم الحكمة:

وهو العلم الذي يلهمه الله ﷻ للإنسان فيكون حكيماً في تصرفاته، بليغاً في أحواله وهيئاته، مسدداً في أقواله وتحركاته حتى يكاد الناس - غير الحاسدين والحاقدين - لا يرون فيه عيباً في أحواله وأفعاله.

وهذا نتيجة التوفيق، ولأنه عزيز لم يذكر في القرآن كله إلا مرة واحدة وعلى لسان نبي من أنبياء الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [٨٨هود]، وقد أخبر الله ﷻ أن صاحب الحكمة قد أعطاه الله البر والفضل الكبير في قوله ﷻ: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ ﴾ [٢٦٩البقرة].

٥- العلم اللدني أو الوهبي:

وهو ما ينتج عن الإخلاص في تنفيذ الأعمال، والصدق في المتابعة لسيدنا رسول الله ﷺ، حيث يفاض على صاحب هذا القلب، علوم وهبية وأسرار روحانية،

لم ولن تسجل في كتاب، وهي من باب قول الله ﷻ ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [٢٨٢البقرة] أو من كنز فضل الله ﷻ المرموز إليه بقوله سبحانه ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ [٦٥الكهف] أو فتح وفيض من قول رسول الله ﷺ :

{ من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم }[٨١]

وهذا العلم هو الذي يقول فيه سيدي أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه لعلماء الظاهر:

((أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، ونأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت، فنأخذه في أى وقت شئنا))

وهو ما أشار إليه الإمام أبو العزائم في قوله:

هو العلم لا يجلي بغير الحقائق وعلم بكشف فيه قرب لخالق
وما العلم إلا ما يعلمه العلي وآي (يعلمكم)[٨٢] دليل لصادق
وفي أول الرحمن نور لمهتد بها علم القرآن جذب الموفق
وما العلم والأعمال من غير خشية سوى آلة صماء سؤل المنافق

وهذا العلم حقائق صادقة تجيش في صدور العارفين فينقلونها بأفواههم إلى خاصة المحبين كما يقول الإمام علي رضي الله عنه:

((يحفظونه في صدورهم حتى يودعوه في قلوب أشباههم وأمثالهم))

ولما كان العلماء ورثة الأنبياء وأكمل الناس وراثة، هم أئمة الطريق، لأنهم الذين يقومون بتربية مريديهم وتهذيب سلوكهم وتجميل أخلاقهم، كان لابد لمن يقوم هذا المقام أن يكون متجملاً بعلوم الرسالة التي وضحناها، حتى يكون صورة أكملية يضئ للسالكين ويهذب المريدين، وينير للواصلين ويجمل المتمكنين .

هذا هو الإمام الذي يقول الله ﷻ فيه: ﴿ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا

[٨١] رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس.
[٨٢] أشار إلى قول الله تعالى ((واتقوا الله ويعلمكم الله)).

مُّرۡشِدٗا ﴾ [١٧الكهف]، ومن نقص علماً من هذه العلوم، عليه أن يسعى ليتكمل من مرشد رباني في هذا العلم، ولا يتكبر في ذلك لقول الله ﷻ: ﴿ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴾ [١٧٦يوسف].

ولما كانت الآية قد وضحت أن هذا الرسول من أنفس أهل زمانه، فكذلك لابد أن يكون هذا المرشد العالم العامل حياً يحي به الله النفوس لأهل زمانه، ومن هنا قال الإمام أبو العزائم ﷺ:

((الله حي قيوم ولا يصل إليه واصل إلا بحي قائم))

وليس معنى ذلك إنكار أحوال العارفين السابقين، فإن من ينكر ذلك فقد بان عن طريق القوم، ولكن لما كان فضل الله واسع، وعطاؤه متجدد، اقتضت إرادته أن يصطفى في كل زمان، من يؤهله للكشف والتبيين عن أمراض النفوس في عصره، ويلهمه بتحضير الدواء الناجع لهذه الأمراض من القرآن والسنة، ومن هنا قيل:

((لكل زمان دولة ورجال))

ولذلك عندما سئل الإمام أبو العزائم ﷺ عن سيدي أبي الحسن الشاذلي وهو الإمام الأعلى لأهل طريقته وإليه ينتهي نسب الطريقة الروحاني قال:

((لو بعثت في عصر أبي الحسن الشاذلي كنت تلميذاً له، ولو بعث أبو الحسن الشاذلي في عصري كان تلميذاً لي)).

وهذا لأن النفوس لا تتأثر إلا بالمجالسة والمجانسة، والإنسان الذي يطلب الكمالات الدينية، لابد أن يجالس ويجانس من رأى فيهم هذه الكمالات في عصره وزمانه، وقد كان هذا دأب الصالحين في كل زمان ومكان، وهذا سيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ، بعد أن انتقل شيخه الكبير سيدي علي الخواص إلى الرفيق الأعلى، ولاحظ لصدقه أنه لم يتكمل في طريق القوم بعد، انتقل إلى صحبة سيدي محمد الشناوي ﷺ، فتكمل على يديه))، والأمثلة في هذا الباب كثيرة وكثيرة.

شبهات في أئمة الطريق

- الشبهة الأولى:

الولي المجذوب

فبعض أهل الطريق يسلم لأهل الجذب الذين أفناهم الحب عن سوى المحبوب، وبلغت بهم: الرياضة والتزكية مبلغاً جعلهم روحانيين، حتى صاروا بحيث يعملون أعمالاً لا تقبلها العقول، كترك الأكل زمناً وكبغض الدنيا وما فيها، وكتحمل الحر والبرد، وكالفرار إلى الصحاري وغير ذلك، فسلموا لهم معتقدين أنهم مرشدون، وتركوا أهل العلم بالله والمعرفة.

وهؤلاء المنجذبون بكليتهم إلى الجناب العلي، ليسوا أئمة للمتقين ولا هداة للمسلمين، ولكنهم منحوا الحب والوجد والمعرفة لأنفسهم خاصة، وهم أبدال الأنبياء وليسوا أبدالاً للرسل، وقد قال في شأنهم سيدي محي الدين بن العربي ﷺ:

لا تقتدي بمن زالت شريعته ولو جاك بالأنبا عن الله

ولذا نبه الإمام أبو العزائم إلى هذه الحقيقة في أكثر من موضع خوفاً على المريد من الانحراف أو الخروج عن جادة الطريق باتباعهم واقتدائهم بأهل الجذب وهم ليسوا بأئمة للمتقين، فيقول ﷺ :

((وإن كثيراً من السالكين يميلون إلى الذين اختطفتهم العناية فيقلدونهم فيضلون، وليس المجذوب إماماً للمتقين وإنما هو رجل اختطفته العناية من الأزل، ومن اقتدى بالمجذوب في سيره لم ينتفع بحال من الأحوال))[٨٣]

ثم يوجه ﷺ إلى كيفية معاملة هؤلاء المجاذيب فيقول:

((وإني ليسرني أن المسلم يعامل هؤلاء معاملة الأطفال الرضع، فيرحمهم ويشفق

---

[٨٣] الشفاء من مرض التفرقة ص (٢٥).

عليهم إكراماً لله ورسوله، ولا يقتدى بهم، فإن اقتداءه بهم يصير به هالكاً، لأن لهم مواجيد ومشاهد ملكوتية ومكاشفات عن حضرة العزة والجبروت، بها سكروا وإليها جذبوا وفيها فنوا وعن سواها غابوا.

فمن اقتدى بهم وقلدهم – مع ما هو فيه من طمس البصيرة وفساد السريرة والحجاب عن مشاهد القدس – فقد هلك وأهلك غيره))[٨٤]

هذا وقد قوم ﷺ هذا السلوك المعوج، وهو متابعة أهل الجذب بدون مراعاة أحكام الشريعة، بادئ ذي بدء في دعوته ﷺ، فعندما سافر إلى السودان ترك أخاه محمود في بلدة المطاهرة بمحافظة المنيا نائباً عنه وكان ذا أحوال عالية، حتى أنه بلغ به الحال أن كان الإمام ﷺ يملي قصائده في بلاد السودان، وينقلها هو في نفس اللحظة إلى من حوله، ونظراً لشدة مجاهداته بلغ به الحال إلى أن مكن في مقام التصريف، فكان يعطي الإنسان قدح الماء ويسأله عما يريد أن يتناوله من المشروبات، فيخبره فيقول له اشرب فيجد لذة الشراب الذي يطلبه وطعمه في هذا الماء !!

إلا أن هذه المجاهدات الكثيرة أثرت على قواه العقلية، فجعلته أمام الناس يفعل أشياء تتنافى مع روح الشريعة، كترك الصلاة أمام الناس، والمجاهرة بالفطر في رمضان.

ولما كان بعض ضعاف النفوس قد افتتنوا به لما رأوه فيه من كرامات، ودعاهم هذا إلى متابعته والاقتداء به حتى فيما يخالف الشريعة، كترك الصلاة، حاول الإمام أبو العزائم أن ينبه هؤلاء تارة بالرفق واللين، ومرة بالغلظة والشدة، حتى استخدم معهم كل الوسائل الحكيمة الواجب استخدامها في هذا المقام، ولما وجد أنهم مصرين على غيهم، وهم في ظاهر الأمر وأمام الناس ينتسبون إلى دعوته، تبرأ منهم على صفحات الصحف الرسمية، وأعلن في كل البلاد أنه برئ من هؤلاء ومن أعمالهم، حتى اضطره ذلك الأمر إلى تسجيل دعوته كطريقة صوفية في مشيخة الطرق الصوفية، وذلك قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بعامين فقط، مع أنه ﷺ كان يتضرر عندما يذكر له هذا الأمر فيما سبق، ويصر على تسميتها بجماعة آل العزائم أو

---

[٨٤] مذكرة المرشدين ص (٦٤).

الدعوة العزمية.

وهكذا يتبين لنا دور الإمام أبي العزائم في إماطة اللثام عن حقيقة المجذوبين، وتحذير السالكين من متابعتهم، لأنهم ليسوا أئمة مرشدين.

بل أنه ﷺ يوضح أن المجذوب الحقيقي الصادق في حاله مع الله لابد أن يرده الله إلى بشريته في أوقات الصلاة حتى يؤديها، ولا يخرج عن الشريعة طرفة عين مع كمال جذبه، أما من يتخطى حواجز الشريعة، فهو في نظره إنساناً عنده خلل في قواه العقلية، فهو بالأحرى معتوه ولا يمت إلى الجذب الحقيقي بصلة.

فالجذب هو تعلق القلوب بشدة بالحبيب المحبوب، ولما كان المقصد هو رضاء المحبوب، فكان أول شئ يفعله المجذوب أن ينفذ ما طلبه منه علام الغيوب، في كلامه المكتوب، ومن لم يفعل ذلك فهو مغلوب أو معيوب، لا يجب على العقلاء إتباعه أو تقليده ولو أخبرهم بصريح الغيوب.

- الشبهة الثانية: أبناء الصالحين

وينعي ﷺ على من يتمسكون في إمامة الطريق بابن الشيخ ولو كان ليس مؤهلاً لهذا المقام، حيث إنهم اختلط عندهم أمر الوراثة الإلهية بالوراثة الشرعية، فجعلوا الإبن الصلب، الذي تورثه الشريعة ما خلفه الأب من مقتنيات الدنيا، هو الذي يرث الأحوال الوهبية والعلوم اللدنية، ونسوا أن هذه وراثة الكتاب التي يصطفي الله ﷻ لها من يشاء من الأحباب، وقد وضح ذلك سبحانه في قوله ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [٣٢فاطر] ويقول ﷺ:

((هذا وبعض أهل الطريق – إذا مات المرشد أو مات الشيخ المأذون بالطريق – يسلمون لأحد أولاده أو أقاربه، وهذا أمر حسن لو أن من سلموا له يكون على

شئ من العلم والعمل والحال، واجتهد في تحصيل ما به كمال نفسه ونفع غيره، وحافظ على الاقتداء بالمرشد محافظة حقيقية في القول والعمل والحال، أما إذا سلموا لابن المرشد أو لأحد أقاربه وكان صبياً لم يبلغ الحلم، أو كبيراً على غير استقامة، بعيداً عن معرفة الطريق وأهله، فإنهم بذلك يكونون عرضوا من اقتدوا به للهلاك وأهلكوا أنفسهم، لأنهم بذلك يجعلوه يغتر بنفسه ويتكبر على العلم ويحتقر العلماء، ولا يزيده الإقبال عليه إلا غروراً وبعداً عن الله، وكأنهم بذلك أساءوا إلى مرشدهم فإنه جملهم بالعلم والعمل والحال، وهم لم يحسنوا إليه في أولاده وأهله، وكان الواجب عليهم أن يجتهدوا في تربية ابن الأستاذ أو من يكونوا من أهله تربية حقيقية، علماً وتهذيباً وعملاً حتى يكون لسان صدق لوالده، وارثاً لعلومه وأحواله.

وإني لأعجب من رجل لا يرضى أن يجعل الحصرم من العنب زبيباً، ويرضى أن يجعل الطفل الصغير، المؤهل للتربية والتهذيب والتعليم مرشداً عظيماً، ويظن أنه يحسن صنعاً ... إلى أن قال ﷺ: إن الله ﷻ حكم في كتابه العزيزفي ميراث الأرض خاصاً لمخصوصين، وحكم في ميراث السماء أنه فضله يؤتيه لمن يشاء، فحكم سبحانه تعالى في خير الدنيا بما هو واضح، وحكم في ميراث الأنبياء والمرسلين والفضل العظيم، بأنه لمن يشاء: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [٢١الحديد])[٨٥]

وقد تأثر في ذلك ﷺ بأحوال الصوفية العظام: كالشيخ منصور الباز البطائحي ﷺ، عندما أعطى الخلافة من بعده لولد أخته سيدي أحمد الرفاعي ﷺ ولم يعطها لولده، حتى ثارت زوجته وألبت عليه كبار الإخوان ليطلبوا منه أن يولي ولده ونتيجة لإلحاحهم، أمرهم باحضار الاثنين، وطلب من كل منهما، أن يحضر كماً من حشائش الأرض، فذهب ابنه وعاد بسرعة بكم هائل ينوء بثقله ليثبت مهارته وجدارته، وأبطأ سيدي أحمد الرفاعي، حتى أرسل الشيخ في استدعائه، فجاء وليس معه شئ، فسأله الشيخ أمام الجميع لم لم تحضر ما أمرتك به؟ فقال ﷺ: كلما هممت بقطع نبتة سمعتها تذكر الله ﷻ، فأستحي من الله ﷻ أن أقطعها، فأقام بذلك عليهم الحجة، فسلموا له.

وهكذا الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ مع كثرة ولده، يسلم الراية من بعده

---

[٨٥] مذكرة المرشدين ص (٦٤).

لسيدي أبي العباس المرسي، وهو مع صلاح أبنائه ينتقي لخلافته سيدي ياقوت العرش.

ولذلك واقتداء بهدي السلف الصالح، ترك الإمام ﷺ الأمر مشاعاً من بعده، وقد سئل ﷺ: ماذا تقول لله ﷻ إذا قال لك: لم تركت أمر الطريق ولم تعين من يقوم به من بعدك؟ فقال ﷺ:

((أقول له فعلت كما فعل رسول الله ﷺ مع وجود خيار الأصحاب ﷺ))

فأحيا بذلك نهج السلف في أنه يخلف المرشد خيار أبنائه الروحانيين حالاً وعملاً وعلماً ومعرفة، لو لم يتوفر ذلك في أبنائه الصلب، أما إذا توافرت تلك الخصوصيات في الابن الصلب فهو خير الخيرين لأنه جمع النسبين.

- الشبهة الثالثة:

النسب الشريف:

يرى ﷺ تمسك بعض مشايخ الطرق بحقهم في قيادة المريدين بانتسابهم إلى الدوحة النبوية الطاهرة، مع أنهم ليسوا على نهج سابقيهم، ليس بشئ إذا أن مسئولية إمامة الطريق تقتدي أن يكون من يقوم بها أكمل الناس تشبهاً بالسلف الصالح في هديهم وسلوكهم وسمتهم وعلمهم، ويرد عليهم في استنادهم في هذا الأمر على الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ والذي يقول فيه:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قد تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي } [٨٦]

فيبين حقيقة ما يقصده سيدنا رسول الله ﷺ في ذكره لأهل البيت في هذا الحديث فيقول ﷺ فى ذلك قولاً شافياً وافياً:

((والمراد بأهل البيت حملة العلم بالله ﷻ الذين كاشفهم الله تعالى بظاهر

[٨٦] عن جابر بن عبدالله، سنن الترمذي

القرآن وباطنه وحده ومطلعه، ممن جملهم الله بحقيقة النسب المحمدي الروحاني بـــدليل قوله ﷺ: { سلمان منا أهل البيت }[٨٧] وتبنيه ﷺ زيداً ﷺ، وقوله صلى الله عليـــه وسلم : { أدخل الإسلام بلالاً في نسبي }[٨٨]

ويبين ﷺ حقيقة النسب الذي ينتسب إليه المتقون ويتفاضل بـــه الـــصالحون فيقول عند حديثه عن الفرقة الناجية:

((فالفرقة الناجية هم أهل القرآن، وهم المعنيون بقوله ﷺ : { أهل القرآن أهل الله }[٨٩] وهم أهل الله الصالحون الذين اتصل نسبهم بربهم باتصالهم بحبل الله المـــتين الذي هو القرآن المجيد، ومن ذاق حلاوة القرآن وصل إلى الله بأقوى سبب وصلاً لا ينقطع بعده، فإن القرآن صفة من صفات الله، ومن اتصل بصفة من صفات الله تعالى، اتصل بالله تعالى، لأنه بتلاوته لكلام الله ملاحظاً أنوار المتكلم، عاملاً بالقرآن، يتصف بالكلام والله متصف بالكلام، وأكمل ما يتقرب به إلى الله ﷻ التخلق بأخلاقه، فـــإن الله ﷻ يحب صفاته ويحب مقتضياها ظاهرة في عبده، وأحب عبد لله من جمله الله بمـــا يحب من صفاته سبحانه، وجعله مظهراً لاشراق أنوار مقتضياته))[٩٠]

وهكذا يحثُّ الإمام ﷺ أبناء المشايخ وغيرهم علـــى المـــسارعة إلى الاتـــصال بالنسب الروحاني والسر النوراني لأنه هو الذي عليه المعول في طريق القوم، فعنـــدما يتصف المريد بصفات شيخه الروحانية من حب ووجد وصدق وورع وزهد واقبـــال وغيرها، تفاض عليه الجمالات الوهبية والكمالات المحمدية والأنوار العرفانية نظـــراً لثبوت نسبه الروحاني، واتصاله بأصله النوراني، وهذا هو النسب الذي يقـــول فيـــه صلى الله عليه وسلم فى معنى الحديث الشريف: { نحـــن معاشـــر الأنبيـــاء لا نـــورث درهماً ولا ديناراً، وإنما نورث علماً ونوراً }

ولما كان العلماء ورثة الأنبياء، فالوراثة الحقيقية في هذه المعـــاني والكمـــالات الروحانية لا تكون لمجرد الأنساب الطينية، وإنما لاتصال الأرواح النورانية، والتشابه

[٨٧] رواه الطبراني والحاكم عن عمرو بن عوف.
[٨٨] الفرقة الناجية ص (٢١).
[٨٩] رواه النسائي وابن ماجة وأحمد والدارمي والحاكم عن أنس.
[٩٠] الفرقة الناجية ص (٢٢).

في الكمالات المحمدية، والانتظام في جملة أهل المعية وفي ذلك يقول ﷺ:

هذا هو الشرف الأعلى لمن سبقت لـــه العنايـــة مـــن إحـــسان بارينـــا

الشبهة الرابعة:

أدعياء الحال:

ويشن ﷺ حرباً لا هوادة فيها على الأدعياء الذين يوهمون الناس أهم وصلوا إلى مقامات المعرفة، ويأمروهم باتباعهم ويؤثرون عليهم تأثيراً بليغاً حـــتى يتـــصرفون فيهم كما يحلو لهم، وذلك لسلب أموالهم، فيوضح ذلك ضارباً مثلاً حدث لـــه مـــع أحدهم فيقول:

((ومنهم من يأمر تلاميذه بترك العلم والتعلم وترك الوظائف والرواتب بـــل وترك الأعمال الشرعية موهماً أن ذلك يحجب عن الأنوار، ونعم فإنه يحجـــب عـــن الأنوار الإبليسية، وقد رأيت رجلاً في آخر صعيد مصر ازدحم عليـــه الطـــلاب، لا شغل له إلا شرب التبغ وسألت أحد أتباعه: لم لا تصلي على الـــنبي ﷺ؟ فقـــال: إن صليت عليه ذهب نوري!! وانصرف إلى شيخه، فأعطاه عصا طويلة وقـــال امـــضي بتلك العصا واسلب حاله، فجاءني وأنا جالس مع بعض أهل العلم في أسوان، ووقف أمامي بالعصا وتمتم بكلمات، فاسترسلت في مذاكرتي حتى انتهيت منها ثم نظـــرت إليه، ففهمت خبث نفسه فقلت لـــه: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [٨١الإسراء] فسقطت العصا من يده، وجلس علـــى الأرض، ودنـــا مـــني، فأسمعته بعض آي القرآن الكريم وشرحت له معناها، فتـــاب إلى الله وأقبـــل عليـــه سبحانه، وأخبرني أن شيخ شيخه بمصر، وأنهم يتركون الأعمال الشرعية ليزيد حالهم، فتحققت قوله ﷺ ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ ﴾ [٧٥مريم] وقوله ﷺ: { إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته }[٩١] }}[٩٢]

---

[٩١] رواه الشيخان والترمذي وابن ماجة عن أبي موسى.
[٩٢] الشفاء من مرض التفرقة ص ٢٦ - ٣٧.

وهكذا يكشف ﷺ أحوال هؤلاء الذي يشربون المسكرات بحجة هداية العاصين، وهؤلاء الذين يجمعون بين النساء والرجال في مكان واحد، وهؤلاء الذين يطلبون من مريديهم التسليم للشيخ على أي حال كان، فيقول:

((بعض من لا بصيرة لهم في الدين ومن لم يسبق لهم تحصيل العلم يقتدون ببعض أدعياء الطريق فيدخلون في قلوبهم أن التسليم للشيخ – مهما كان وعلى أي حال كان – خير ولا يصل السالك إلى الله إلا بالتسليم للشيخ، ثم يعملون أمام المريدين صريح الحرام، أو يقولون صريح الكفر، ويأمرون بترك الفرض والسنة، وينهون عن الأعمال الشرعية، فيسلم لهم أهل الجهالة تسليم الأعمى، لاعتقادهم أنهم أهل الحقيقة، وأنهم ارتقوا عن الشريعة، ويضربون مثلاً يدل على كمال جهالتهم فيقولون: ((إن كان شيخك حمار امسك ذيله)) مبالغة في التسليم الأعمى وكم من فئة من الناس استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله))[٩٣]

ويبين ﷺ بياناً شافياً، لا لبث بعده لكل مريد يريد وجه الله في اتباعه لأهل الطريق ويقول:

((وكيف يسلم السالك طالب النجاة من هول يوم القيامة بصحبة من يهلكه بمخالفة سنة رسول الله ﷺ؟ وهذا ليس بتسليم وإنما جهل بالحق وحظ جلي لا خفي، وللتسليم مقدار مخصوص، فإن خالف المرشد ما كان عليه رسول الله ﷺ، وقف عن الاقتداء به حتى يستبين له الحق فيه، أو يسأله عن مأخذه من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، قال الله تعالى ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ [١٤القيامة] والعاقل لا يقلد إلا من بعثه الله بالحق بشيراً ونذيراً، مبيناً لنا محاب الله ومراضيه، والمرشد يبين لنا ما خفي من بيان رسول الله ﷺ وما كان عليه الأئمة الهداة من الصحابة والتابعين))[٩٤]

ويضرب ﷺ مثلاً للأئمة السابقين بأبي يزيد البسطامي ﷺ عندما سأل تلاميذه قائلاً: من أنا؟ قالوا: أنت أبو يزيد. قال: أنا محمد رسول الله، يعني لا تنظروا إلي بعين

[٩٣] دستور السالكين ص ٦٠، ٦١.
[٩٤] دستور السالكين ص (٦٣).

العصمة، ولكن انظروا إلي بعين البصيرة، فإن كنت على ما كان عليه رسول الله ﷺ فاصحبوني، وإن خالفت رسول الله فقوموني، ويختم كلامه قائلاً :

(وهذا أساس الطريق، فإن الحق فوق الخلق، فأقبل الحق ولو من الغريب البعيد البغيض الدنئ، ولا تقبل الباطل ولو من الولي العالم الورع الزاهد، وأهل السلوك، يعرفون الرجال بالحق، ولا يعرفون الحق بالرجال)) [٩٥]

المرحلة الخامسة: آداب أهل الطريق:

وللأدب عند الصوفية شأن كبيرفي سيرهم وسلوكهم إلى الله ﷻ ولذا وضح الإمام أبو العزائم أهميته فقال:

((الزم الأدب وإلا فانتظر العطب))

ولكون الأدب لا يختص بمرحلة واحدة فقط من مراحل الطريق، بل يلازم السالك ويلزم للواصل، وبه يتجمل المتمكن، أوصى ؓ السالك في هذه المنازل فقال:

((حافظ على الأدب ولو رقيت إلى أعلى الرتب))

ولما كان الأدب يختلف من منزلة إلى أخرى فسنوضح جملة من الآداب الواجب التحلي بها للسالك في خاصة نفسه ومع أخوانه ومع مرشده.

١- أدب السالك في نفسه:

يُجْمل الإمام ؓ الأدب الواجب على السالك التحلي به في خاصة نفسه فيقول: ((مقام العبد التقصير)) أي أن السالك يجب أن ينتبه دائماً إلى نواحي القصور في أعماله وأحواله وأفعاله، ليتجنبها أو ليصححها، أما الأعمال الصالحة والفاضلة،

[٩٥] دستور السالكين ص (٦٠).

فيجب عليه أن ينساها أو يتناساها حتى يسلم من مرض العجب أو الرياء أو الكبر، ومن هنا حدد نظر السالك الصحيح فقال:

((السالك ينظر إلى سيئات نفسه وحسنات الآخرين، ويضع خلف ظهره حسنات نفسه وسيئات الآخرين، وهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ للسيدة عائشة عندما سألته فى معنى الحديث الشريف :{ **يا رسول الله متى يكون الرجل محسناً؟ فقال ﷺ: إذا رأى نفسه مسيئاً، فقالت رضى الله عنها و متى يكون الرجل مسيئاً؟ فقال ﷺ: إذا رأى نفسه محسناً** }

ولا يستطيع السالك أن يتأدب بهذه الآداب العالية إلا إذا لاحظ بعين فكرته أو بعين بصيرته حقيقته الأولى، وهى أنه مخلوق من تراب أو من طين أو من ماء مهين، ورأى ما زاد على ذلك من صفات وكمالات، إنما هي فيض هبات وأسرار تنزلات من الحق ﷻ عليه، وهذا هو الأصل الأول لمن أراد الوصول إلى الله ﷻ، وفيه يقول ﷺ: **((من رأى نفسه فوق التراب ضل))**.

وهو ما عبر عنه سيدي ابن عطاء الله السكندري في حكمه حيث يقول **((ادفن نفسك في أرض الخمول، تشرق عليك أنوار الوصول))**. وفي هذا المقام يوجه السالك لنفسه الخطاب الذي أشار إليه الإمام أبو العزائم في قوله:

يا أيها الماء المهين من الذي سواك ... ومن الذي في ظلمة الأحشاء قد والاك
يا نطفة بقرارها قد صورت ... من ذا الذي بحنانه أنشاك
يا صورة من حسنه قد جملت ... من ذا الذي بجماله حلاك
ومن الذي بألست أسمعك الندا ... ومن الذي بوصاله ناداك
ومن الذي تعصي ويغفر دائماً ... ومن الذي تنسى ولا ينساك
ومن الذي يدنو إليك بفضله ... وإذا سألت جنابه أعطاك
ومن الذي عند الشدائد تقصدن ... ومن الذي إن تسألن لباك
ومن الذي شق العيون فأبصرت ... ومن الذي بظهوره أعلاك
ومن الذي غذاك من نعمائه ... ومن الكروب جميعها أنجاك

ومن الذي منح الجميل بفضله ومن الذي بتلطف أحياك
ومن المجيب إذا سألت جنابه وإذا طلبت وداده أعطاك
ومن الذي كشف الحجاب تودداً حتى رأت أنواره عيناك
ومن الذي ملأ الفؤاد بحبه وبسره عند الصفا ناداك
ومن الذي أولاك نور جماله وبذكره وشهوده صافاك

ولا يزال العبد يكرر على مسامع نفسه هذه العبارت حتى تكون طوع أمره ورهن إشارته، فيسير بها إلى الله ﷻ سيراً حثيثاً، وهنا يبين ﷺ الأخلاق والكمالات التي يجب أن يتجمل بها السالك فيقول:

((يجب على السالك في طريقنا أن يكون كالأرض في التواضع وكالشمس في المنفعة وكالبحر في الكرم وكالليل في الستر)).

هذا مع ملاحظة أن السالك في تجمله بهذه الجمالات لابد أن يتخلى عن الفطر المهملات والأخلاق السيئات، والتي يشير إليها ﷺ في قوله:

وإياكم وأخلاق إبليس إنها لقد أبعدته وهو طاووس رامق
دعوا الكبر والحسد القبيحين سادتي دعوا طمعاً فيما يزول وسابقوا
وغضوا عن المكروه أعين عفة وجودوا ببشر فالسماحة رونق
وإياكم وعدوكم خبث طبعكم وطمعاً وحب الجاه فهو يفرق

وتجمع هذه الآداب النصيحة التي يوجهها ﷺ لكل سالك في طريقه فيقول:

((أخي تباعد عن أخلاق إبليس وهي الحسد والكبر والطمع وحب الشهرة والسمعة وأذية الخلق والغيبة والنميمة والكذب والزور وإشاعة الفاحشة في إخوانك المؤمنين، واحب لجميع إخوانك ما تحبه لنفسك، ودع الفساد، وتباعد عن أخلاق البهائم من الحرص والبخل والانتقام والحيل والمكر والخداع والتملك والزنا وشرب الخمر والتهاون بحقوق الناس، وتخلق بأخلاق الملائكة لتأدية المأمورات، والتباعد عن

المنهيات، واحفظ الرأس وما وعى: من العينين والأذنين واللسان والأنف، والجسم وما حوى: من اليدين والقلب والبطن والفرج والرجلين، واحكم يا أخي إنك من أكابر الأولياء لله تعالى المحفوظين بعين عنايته لأن الله لا يوفق لهذه إلا صفوته من أوليائه وهو الموفق الهادي سبحانه وأدم الشكر على النعمة تعط المزيد))[٩٦]

أما أدب السالك في عباداته المختلفة وفي معاملاته وفي جلوسه ومشيه وكلامه ونومه وغيرها، فهذا يحتاج إلى شرح طويل وقد نفرده بكتاب خاص إذا يسر الله ذلك بمنه وفضله وكرمه[٩٧].

٢- أدب السالك مع أخوانه:

والسالكون عند الإمام أبي العزائم يحققون في زمنهم وعصرهم مجتمع المدينة الفاضلة، والذي ظهر لأول مرة في المدينة المنورة عندما كان ساكنوها هم الذين قال الله فيهم: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [٢٩الفتح]، وهم يعيدون تلك الأحوال على قدر زمانهم، والمبدأ الذي يضعونه نصب أعينهم هو وصف الله ﷻ لأصحاب سيدنا رسول الله ﷺ في قوله :﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾.. الخ ولا يكون ذلك إلا إذا حدثت الأخوة الإيمانية بمعناها الحقيقي والتي جمع أوصافها ﷺ عندما وصف الإخوان فقال:

((والإخوان هم هياكل متعددة سرت فيهم روح واحدة، كالجسد الواحد تعددت أعضاؤه ولكنه واحد، فإذا تألم عضو منه شعر بالألم كل الجسد، فكذلك الإخوان يتألمون جميعاً لألم أحدهم، غنيهم فقير لأنه يؤثر الفقير على نفسه، وفقيرهم غني لكمال ثقته بربه، صفت قلوبهم فتجملت ظواهرهم، فإذا رأى الأخ الأخ كأنه أشرقت عليه أنوار، فانبسط وانشرح وصافح وفرح فيزداد نوراً على نوره وحالاً على حاله وعلماً على علمه.

يبذل كل أخ لأخيه ما يجد من وجد أو وجود، فيغذي الأخ أخاه بعلمه، والآخر يغذيه بخبزه، فلا يقابل أخ أخاه إلا وفتحت أبواب السماء بالبركات،

[٩٦] شراب الأرواح ص ٥٠.
[٩٧] وقد وضحنا ذلك مفصلاً فى كتابنا (المنهج الصوفى والحياة العصرية).

وهطلت الأرزاق والفتوحات، نزع الله ما في صدورهم من غل، وما في قلوبهم من طمع، لأنه سبحانه هو المحبوب لهم في أنفسهم، وما تقولون في اثنين تقابلا على شوق في الله، ومحبة في الله، وبذل في ذات الله؟

هذا يبذل لأخيه ما به سعادته الأبدية من علم وحال وخُلق حسن، والآخر يبذل له نفيس طعامه وشرابه وماله، وما تقولون فيمن تحقق فيهم قوله ﷺ في الحديث القدسي عن الله تعالى: { المتحابون فيّ والمتباذلون فيّ، والمتزاورون فيّ على منابر من نور، يغبطهم الملائكة والأنبياء لقربهم من الله }[98] وليس هذا الوصف العلي موجوداً إلا في الصديقين وأبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام، فكل أخ يعامل أخوانه بهذا فهو من الصديقين ومن أبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام))[99]

ويجمل ﷺ الآداب التي يتأدب بها الأخ مع أخوانه في هذه الحكمة الفذة الجامعة حيث يوضح أن الأخ إما أكبر منك وإما أصغر منك وإما مساو لك، فأما من هو أكبر منك فتعتقد في نفسك أنه خير منك لأنه سبقك بطاعة الله ﷻ، وأما من هو أصغر منك، فتعتقد في نفسك أنه خير منك، لأنك سبقته بمعصية الله ﷻ، وأما المساو فشئ من اثنين: إن كان أعلم منك فتعتقد أنه خير منك، لأنه يعلم ما لا تعلم، وللمنزلة الكريمة التي أعدها الله للعلماء، وأما إن كان أقل منك علماً، فتعتقد في نفسك أنه خير منك لأنك تحاسب على ما تعلمته، فحسابه أخف من حسابك، وهكذا قس في كل الأمور في الغنى والفقر، والصحة والمرض، والعبادات الشاقة في النوافل وتركها، فإذا تأدب السالك بهذه الآداب، فإنه كلما جلس مع إخوانه كما كان قال ﷺ :

((جلس محصلاً لا موصلاً، ومكتسباً لا منفقاً، وطالباً لا مطلوباً، ومجاهداً لأعدائه فيه لا مغروراً مخدوعاً، ومريضاً يستشفى لا طبيباً يعالج)).

وهنا ينصح ﷺ السالك أن يعتقد الإحسان في غيره والنقص في نفسه، وأن يغض عيون البحث عن عيوب إخوانه، ويصم آذان التنقيب عن نقائص بعضهم، وفي

---
[98] رواه السيوطي في الجامع الصغير، عن عبادة بن الصامت.
[99] دستور آداب السلوك ص ٤٩.

ذلك يقول:

((فإن المريد ليس رسولاً معصوماً، ولا ملكاً نورانياً مجرداً عن لوازم البشرية، وعلى كل أخ أن يشتغل بتطهير نفسه وتزكيتها من عيوبها، وأن ينظر لنفسه بالانتقاد أو البحث عن دسائسها ومساويها، وينظر لكمالات إخوانه ليتكمل بها ومحاسنهم ليتجمل بها))[١٠٠]

، فإذا أكرم الله ﷻ الأخ بخصوصية يقول له: ((فإذا شهد وجوده، وظهرت له خصوصيته، وجب عليه أن يلزم الأعتاب ويتجمل بالآداب، فإن مراد السالك القبول والغيبة عن الخلق بالحضور مع الله تعالى، فمن غيبه علمه وحاله وبيانه عن الحضور مع الحق، فعاند أو جادل أو اصطفى لنفسه إخواناً، أو ظن أنه كمل فقام ليكمل غيره، خلع حلل السلوك، وحرم السير إلى ملك الملوك، وهذا هو المرض الإبليسي، ومن لم يتدارك نفسه في هذا التيه بتعاطي الأدوية المرة من يد المرشد أو النصوح المخلص من إخوانه، رد عن الجناب إلى الأعتاب أو إلى رعي الدواب، نسأل الله السلامة))[١٠١]

– أما بالنسبة لتفاضل الإخوان فيما بينهم، فيضع ﷺ قاعدة عظيمة تجعلهم جميعاً يتناسون هذا الفضل فيقول للسابق منهم :

((ليس الطريق لمن سبق، إن الطريق لمن صدق))

– ويقول للاحق منهم:

((من سبقك في صحبة المرشد ولو بيوم فله فضل السبق عليك))

– ويقول لمن أعطى لسان البيان:

((البيان خصوصية، لا تقتضي الأفضلية، ورب صامت خير من ناطق))

– ويقول لغير العلماء :

[١٠٠] شراب الأرواح ص (٥٠).
[١٠١] دستور آداب السلوك.

((ساعة من عالم متكئ على أريكته خير من عبادة ستين سنة)).

- ويقول لأهل المجاهدات:

((جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين)).

- ثم يقول لأهل الجذب:

((الجذبة تمناها كبار الأولياء، ولكن الله أرتضى لكمل أوليائه ألا يصلوا إليه إلا بطريق المجاهدة)).

- وهكذا يخرج كل سالك من الحال الذي وقف عنده، والمقام الذي استكن فيه، حتى يرى الجميع أن الفضل لله وللجميع، وأن البركة والفتح لهم بسر الاجتماع، وبدوام الاتباع، ويحذر من يرى نفسه لخصوصية ظهرت له في عين نفسه على أخوانه فيقول:

((كفى بالمرء إثماً أن يرى الخير في نفسه والشر في إخوانه)).

- وينبه من ظن أنه وصل إلى حال استغنى به عن الإخوان بقوله :

((كمل الأخوان لو ظن أنه استغنى عن إخوانه فقد ضل))

وهكذا يحفظ لمجتمع الإخوان صحتهم الروحانية بهذه الآداب الرحمانية، ومن خرج منهم عن ذلك جعل له تهذيباً مناسباً إذا قام به ترجع له صحته الروحانية، حتى يكون الجميع حقيقة المثل الذي ضربه ﷺ لمجتمع المؤمنين في قوله ﷺ :

{ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى }[١٠٢]

فيكونون كما قال ﷺ:

---

[١٠٢] رواه البخاري ومسلم.

أنتم أنا وأنـا أنـتم ولا عجـب إن كنـتم حيـث كنـت أنـا
روح هنا هي بعـض أرواح هنـاك وأرواح هناك هي الروح المقيم هنـا

ويلمح ﷺ إلى بعض تلك الآداب فيقول:

وسـتراً لعـورات الأحبـة كلـهم وعفواً عن الـزلات فـالعفو أرفـق
تـوادوا بـروح الله بـالله وابـذلوا لإخـوانكم بـشر اللقـا وتعـانقوا
لصحبتكم بالرفق والحـسن فابـذلوا لأحبابكم عنـد اللـزوم وخـالقوا
وكفوا عن التنفير واسعوا لجمعكـم علـى الله فالـدنيا متـاع مفـارق

أما آدابهم في جلوسهم مع بعضهم وفي زيـاراتهم وتـوادهم وفي سـياحاتهم وأسفارهم وفي تعاونهم وبرهم وغيرها، فهذا سنبسطه في كتاب الآداب إذا يـسر الله ذلك بجوده ولطفه.

ونتيجة هذه التربية السلوكية العالية فقد خرج طلابه ومريدوه على ما كـان سائداً في صوفية عصره من التعصب لمشايخهم وتفضيل طريقهم على غيره، بل كـان بعضهم ينهي مريديه عن زيارة غيره من الصالحين، وعن مطالعة كتـب غـيره، وإذا خالف أمره وفعل ذلك، عنفه وزجره وربما طرده، فيقول ﷺ:

((إن دعاة الجهالة لطمعهم يوقعون العامة في بغض العلماء والأتقياء والـدعاة إلى الخير، فتحصل الفرقة، ويقوم كل فريق لمناواة الآخر، فتتفرق الجماعة ويـسارع كل فريق إلى المتسلطين أو الأمراء فيستعينون بهم على أهل الحـق، حـتى يـضعف القائمون بالحق ويختفون وينتشر الباطل))[١٠٣]

ويحض إخوانه ﷺ على معاشرة جميع العلماء ومخالطة كل الصالحين، وقـراءة كل أصناف العلوم وجميع أنواع الكتب لأن الإسلام ينهي عن العصبية فيقول:

((ينبغي لإخواننا أيدهم الله تعالى – ألا يعادوا علماً من العلوم وألا يهجـروا

---

[١٠٣] معارج المقربين ص (١٦١).

كتاباً من الكتب، وألا يتعصبوا لمذهب من المذاهب، لأن طريقنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها)) [١٠٤]

بل أنه ﷺ، لا يفرق بين الصوفية وغيرهم في هذا الأمر، حتى وصفه كبار المستشرقين عندما رأوه في بلاد السودان ودرسوا مبادئ دعوته، بأنه ﷺ أقرب إلى الدعوة الوهابية منه إلى الصوفية فهو يرى أن المسلم لا يتعصب إلا للإسلام فقط في مواجهة ما عداه أما مع إخوانه المسلمين، فهي الأخوة التي أوجبها الله وحققها سيدنا رسول الله ﷺ.

٣- الأدب مع المرشد:

وقد استنبط ﷺ الآداب الواجبة على السالكين للأئمة والمرشدين من كتاب الله ﷻ، ضارباً بذلك الطقوس والحركات التي انتشرت في صوفية العصر، والتي جعلت الناس ينكرون على أهل الطريق نتيجة خروجهم عن حد الاعتدال في هذه الآداب، فمثلاً بعضهم يقف ولا يستطيع أن يجلس ما دام في حضرة شيخه، وبعضهم يضع ذقنه على صدره ولا يرفعها إلا بإذن من شيخه، وبعضهم يخرج من حضرة شيخه بظهره حتى لا يستدبر الشيخ، وغيرها من الأفعال التي تتنافى وسماحة الإسلام، فأرجع ﷺ الآداب المرعية في صحبة العارفين إلى الآداب التي بينها الله ﷻ في كتابه فيقول ﷺ:

((وقد أدب الله أوليائه بهجرة الكليم عليه الصلاة والسلام للعبد العالم، وبين لنا أدب الكليم عليه الصلاة والسلام معه مع ما لاقاه منه من الجفوة والاحتقار في مخاطبته بقوله ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الكهف] بين لنا ﷻ سوء أدب موسى السامري وبلعام ابن باعوراء الذي أخبر الله عنه بقوله ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [الأعراف]، وكان من خاصة أصحاب الكليم عليه السلام، فبلغ في محبته مبلغاً ظن فيه مساواته له وتفوقه عليه}} [١٠٥]

---

[١٠٤] معارج المقربين ص (١١٥).
[١٠٥] دستور السالكين ص (٤٥).

وقد أجمل ﷺ الأدب الواجب مع المرشد في عبارة واحدة حيث يقول:

((تقيمه مقام الوالد الرؤوف الرحيم، وتقوم له بما يقوم به الولد البار الكريم))[١٠٦]

وقد طبق ذلك ﷺ في تربيته لمريديه، فقد حكى لي الشيخ عرفات الجمال رحمه الله تعالى: أنه كان جالساً متربعاً واضعاً رأسه على صدره، جامعاً يديه على فخذيه في حضرته ﷺ، فما كان من الإمام أبي العزائم إلا أن قال له:

((يا عرفات ارفع رأسك وأرح نفسك في جلستك، فأنا بالنسبة لك إما أب أو أخ أكبر، والأب لا يرتاح مع تعب ابنه، والأخ الأكبر لا يستريح مع تعب أخيه.

يا بني: ... لا تظن أن هذا هو الأدب المطلوب مع الشيخ، وإنما الأدب المطلوب مع الشيخ أن تحفظ له باطنك في حضرته وتحفظ ظاهرك عن الوقوع في المعصية في غيبته))

وبعد أن بين ﷺ أن أدب السالك مع شيخه هو أدب الابن البار الذي وضحه كتاب الله، وبينه سيدنا رسول الله ﷺ في معاملة الابن البار لوالده الرؤوف الرحيم، ينبه بلطف إلى أمور يجب أن يعيها السالك حتى لا يحرم من الامدادات الإلهية التي ترد إليه عن طريق شيخه أبرزها ما يلي:

١- أن يكون تطهر ظاهراً وباطناً مما يخالف الشرع من كل الكبائر خلقاً أو عملاً.

٢- أن يتخلق بأخلاق الرسالة من الصبر والرضا والتوكل.

٣- أن يجعل ذات المرشد هي المقصودة له لا لكرامة يبتغيها أو مكانة يرجوها أو دنيا يصيبها أو علم يناله أو فقه يفهمه، لأن أهل خصوصيته هم خاصة رسول الله ﷺ.

---

[١٠٦] دستور السالكين ص (٤٤).

٤- يلزمه أن يكتم أحوال الرجل التي أباحها له في سر إلهي أو ديني أو دنيوي أو أخروي - مادام تسمعه منه منفرداً - لـئلا يقـدح ذلك في حفظه لأمانته.

٥- أن يكون مألوفاً لجميع المخلوقات من الحيوانات والناس بما يناسب كل طبقة.

٦- أن يكون بعيداً عن الشبهات ظاهراً وباطناً ولا يعتمد على حفظه بحاله، ولا يقلد الرجل في أحواله عند مقتـضيات الجمـع فإنـه فرض.

٧- مهما أكرمه الله تعالى بخصوصية لا يخطر على قلبه إنه أشـبه المرشد أو ساواه أو استغنى عنه، فإن ذلك دليل القطيعة عن الله تعـالى، وإن كان الرجال لا يحظرون على فضل الله تعالى، ولكـن الطريـق لا يسلم فيه إلا أهل الأدب وفيه سوء الأدب عطب.

وهكذا يبين الإمام ﷺ، أن السعادة كل السعادة في طريق الله تعالى في الأدب مع المرشد فيقول:

((الوقوف عند المرشد - أمان ونجاة - وإن أنزلك عن مقامك وحالك - لأنه يريد لك الوسط لتتمتع بشهود ربك في كل شئ بوجود كل شئ، وهـو الـسنة في التربية، وانظر إلى ذات السيد ﷺ برده ابن عمر إلى الوسط، فكن كالميت مع المرشد تحيا أبداً، فنظر المرشد ببصره أعلى في مراتب التمكين من كشفك ببصيرتك فاحـذر أن تقف عند حالك أو كشفك وكن - مهما ترقيت - حلة من حلل جماله، وغـصناً نضراً من أغصان شجرته، اتصاله حياتك وانفصاله هلاكك))[١٠٧]

ثم يبين ﷺ قبساً من الآداب العالية في صحبة الواصـلين للمرشـد فيقـول: ((المرشد سر غامض مرتبته، وجهر جلي مكانته، ظـاهره ذل العبوديـة وخـشوع المشاهدة، وخوف الإطلاق واستكانة المعرفة، كن اشفق عليه مـن شـفقتك علـى

[١٠٧] شراب الأرواح ص (١٥٧ - ١٥٨).

نفسك، وارهب له من خوفك من النار، ومهما ظهر لك من ذله واحتياجه إليك واستعانته بك، فاجعل ذلك مترلة الاختبار، وبداية الامتحان، وابذل النفس والنفيس قبل الإشارة والروح عندها، وانظر إلى حوادث الصديق مع السيد ﷺ وعلى ذلك فالهج، إذا أخبرك بخصوصية أو رفعك بمزية، فلا تجعلها شاغلاً لك عن العكوف على ذاته، واحتقر ملك الأرض في جانب خدمة أعتابه، فإنه لو أنس بك ما أبعدك عنه إلا إذا أقامك مقام ذاته في شأن من شئون واجباته، كما فعل موسى بهارون عليهما الصلاة والسلام، ورسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب في غزوة تبوك))[١٠٨]

وهكذا يرد الإمام أبي العزائم ﷺ الآداب في هذا الباب إلى آداب الأصحاب رضي الله تعالى عنهم، فالسالك يتأدب في نفسه بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خاصة أنفسهم، ويتجمل مع أخوانه بما كان يتجمل به أصحاب رسول الله ﷺ مع بعضهم ويسلك مع المرشد ما كانوا يسلكونه مع سيدنا رسول الله ﷺ مع حفظ المكانة المحمدية، لأن ذاته ﷺ ليست كسائر الذوات، وهيئته ﷺ ليست كبقية الهيئات وإنما المشابهة من باب قوله ﷺ :{الشيخ في قومه كالنبي في أمته}[١٠٩]

وصدق ﷺ إذ يقول:

وي عجيب آخر الأزمان عادت لنا أحوال أفراد حسان

تتمة:

وهكذا ما ترك الإمام ﷺ شيئاً يهم أهل الطريق في سيرهم وسلوكهم وحالهم مع رهم، إلا وقد بين لهم مأخذه من كتاب الله ﷻ، ووضح لهم السنة العملية في فعله، والمطابقة لعمل سيدنا رسول الله ﷺ، فجدد الله به أحوال الصوفية وردها إلى حقيقتها التي كانت عليها في عصر رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام.

وأما المقامات التي يترل فيها أهل الطريق، والمشاهدات التي يواجهون بها

---

١٠٨ شراب الأرواح ص (١٥٨).
١٠٩ رواه ابن حيان والديلمي عن أبي رافع.

والأحوال التي يتجملون بها، فهذا أمر يحتاج إلى بسط كبير ويحتاج أيضاً إلى أن ينزل الإنسان في هذه الأحوال ويصل إلى تلك المقامات ليتعرف عليها ذوقاً، إذ الكلام النظري في هذا الأمر لا يفيد ما لم يصحبه التطبيق العملي...

ولذا كثيراً ما يعترض نفرٌ من أهل العلم على السادة الصوفية وذلك لأنهم قرأوا أذواقهم ومشاهداتهم ولم ينزلوا بأنفسهم فيها، ويعايشوها، فأنكرها عقولهم ولم تتذوقها قلوبهم، لكن علوم الصوفية الحقة وأسرارها لا ينبغي أخذها إلا من باب ((ذق تعرف)) ولذا آثرنا ألا نتحدث عن المقامات والأحوال التي يمر بها السالكون وينتهي إليها الواصلون – وإن كان أشار إليها ﷺ في كتاب شراب الأرواح، وقسم علوم اليقين من كتاب أصول الوصول – اكتفاء بما نبيحه منها للمريدين في الجلسات الخاصة بعد صفاء نفوسهم وتهذيب أحوالهم، فالأمر كما قال الإمام ﷺ :

((نحن قوم نكتم أسرارنا عن الطالب حتى لا يكون له شهوة إلا في الحق))

ويقول:

إن كان ما قلت نوراً فالسر أعلى وأغلى
يعطي لفرد مراد عن كل غير تسلى
باع النفوس ومالاً حق به صرت أولى

فمن أراد الأسرار، فليقترب من الأخيار، ويواصل جهاد النفس أثناء الليل وأطراف النهار، حتى يصفو قلبه من الأغيار، ويجمل بخالص الأنوار، وهنالك يكون بيتاً مؤهلاً لتنزل الأسرار، وكنزاً للهدى والأنوار.

وصلى الله على سر الأسرار ونور الأخيار وآله وصحبه وكل من انتظم في عقد معيته إلى يوم القرار. والحقنا بفضلك بمعيتهم يا عزيز يا غفار.

الفصل الحادي العشر

جهود الإمام أبى العزائم العلمية رضي الله عنه

أولاً - فى مجال النشر:

- ١- التفسير
- ٢- العقيدة
- ٣- الأحكام وحكمتها
- ٤- إحياء الروح الإسلامية

- ٥- الدعوة الصوفية
- ٦- السيرة النبوية
- ٧- الأوراد والاستغاثات والصلوات

ثانياً — فى مجال النظم الصوفي:

- تعريفه وكيفية تلقيه
- أغراضه
- ديوان شروق الإسلام

جهوده العلمية

وقد أثرى الإمام أبو العزائم ﷺ المكتبة العربية بما يزيد على الستين كتاباً في مختلف أنواع المعرفة، بالإضافة إلى مقالاته التي لا حصر لها، والتي نشرت في مجلاته (**السعادة الأبدية والفتح والمدينة المنورة**).

إلى جانب ما نشر في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية التي كانت تصدر في عصره مثل (المؤيد والأهرام، والبلاغ وغيرها).

وترك أيضاً كماً هائلاً من المواجيد الصوفية والقصائد الدينية، ولذا نرى أن نقسم الحديث في هذا الباب إلى شطرين:

أولاً: النثر.

ثانياً: النظم الصوفي.

أولاً: النثر

ويوجد بالمؤلفات التي تركها ﷺ، وهي تحتوي العلوم والآراء التجديدية التي أوردها ﷺ وشرحها في هذه الكتب.

ونستطيع أن نقسم هذه الكتب إلى التصنيفات الآتية:

١- التفسير:

وقد كان ﷺ يلقي دروساً في تفسير القرآن كل ليلة بعد صلاة العشاء، ويسجلها تلاميذه كتابة من حوله، وقد وصل في تفسيره إلى الجزء السابع عشر من القرآن الكريم، غير أن الموجود فعلاً حتى الجزء الثالث عشر، والباقي فقد مع ما فقد من كتبه ﷺ المخطوطة.

وقد سمى هذا التفسير ((أسرار القرآن)) ونهج فيه ﷺ نهجاً فذاً، حيث أنه

كشف عن جواهر المعاني القرآنية المنبثة في الكلمات الإلهية والمرادة من خطاب الله ﷻ لعباده المؤمنين مبتعداً عن العلوم الفرعية – والتي حرص المفسرون أن يحشوا بها تفاسيرهم، حتى يظهروا تضلعهم في هذه العلوم، فمن كان نحوياً اجتهد في ملأ تفسيره بالقواعد النحوية والاعراب، ومن كان بلاغياً كان كل همه اظهار ما في الآيات من دلالة الألفاظ وبلاغتها، ومن كان ذا فلسفة خاصة، دسها وأسهب في شرحها عند تفسيره للآيات القرآنية، وكل هذا يخرج القارئ عن المعنى المراد – حتى لا ينصرف ذهن السالك عن معاني كلام الله، ولا يلجأ إلى أي من هذه الفنون إلا إذا كان المعنى يحتاج إليها لزيادة إيضاح، فيكون الاعراب مثلاً لابد من توضيحه لتعلقه بالمعنى الذي تبرزه العبارات، لأن أهم ما يحرص عليه ﷺ في تفسيره، أن يربط المؤمن بربه عند تلاوته لكلامه حتى ينمو بداخله الحس الروحاني الذي يصور له أنه يناجي ربه ﷻ بكلامه، وهو ﷻ يكشف له أو يلهمه بمراده ﷻ في كلامه، ولذا يقول ﷺ كاشفاً الأصل الذي بنى عليه تفسيره :

((ليس الشأن أن تفهم القرآن ولكن الشأن أن تكاشف بمراد الله ﷻ في القرآن، لأن الفهم يختلف من شخص إلى شخص على حسب قدرات كل الذهنية والعقلية، ولكن مراد الله ﷻ الذي من أجله أنزل كتابه واحد وإن كان لا يصل إلى معرفته إلا من استنار قلبه بنور ربه ﷻ)).

وهذا ما جعله ﷺ يحكم على كل من فسر القرآن برأيه بدون بصيرة بأنه أخطأ القصد، لأن مراده قد يتعارض مع مراد الله ﷻ فيقول:

((لو جمع رجل كل علوم الأولين والآخرين ثم قال في القرآن برأيه بغير بصيرة من ربه فقد أخطأ ولو اصاب))

وهذا هو النهج الذي وضعه الله ﷻ لحبيبه ﷺ وورثته في قوله ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [١٠٨يوسف]، هذا وإن كان ﷺ قد تعرض لتفسير كثير من الآيات القرآنية غير ما سبق وقد نشرت في مجلاته أو في كتبه غير أنه لم يكمل سورة من غير الأجزاء السبع عشرة إلا سورة القدر، فقد فسرها في رسالة مستقلة سماها ((تفسير سورة القدر)).

٢- العقيدة

وهي الكتب التي يشرح فيها العقيدة للمسلمين، ويرد فيها على سموم المستشرقين وهي:

١- عقيدة النجاة.

٢- وسائل إظهار الحق.

٣- تفصيل النشأة الثانية.

٣- الأحكام وحكمتها

وهي الكتب التي فصل فيها الأحكام الشرعية وبين حكمة هذه الأحكام وهي:

١- أصول الوصول إلى معية الرسول.

٢- هداية السالك إلى علم المناسك.

٣- صيام أهل المدينة المنورة.

٤- الفتاوي العزمية.

٤- إحياء الروح الإسلامية

وقد عنى ببث هذه الروح في كتبه التي تضمنت رأيه في كيفية إعادة المجد الإسلامي، وذلك في كتب:

((الإسلام دين الله))- ((الإسلام نسب)) - ((الإسلام وطن)).

- وتحدث عن واجب المسلمين في تحقيق تلك المثل، حيث فسر دورهم في الجهاد من أجل تحقيق تلك الغاية في كتابه ((الجهاد)).

- وكشف عن أساليب المستعمرين في الكيد للمسلمين في كتابه ((محكمة

الصلح الكبرى)).

- ووزع المهام على الأفراد والجماعات في مرحلة الجهاد في كتابه ((النور المبين في علوم اليقين ونيل السعادتين)).

- وعالج تفرق المسلمين في كتاب ((الشفاء من مرض التفرقة)).

٥- الدعوة الصوفية:

وهي الكتب التي تتضمن آداب الطريق ومشارب الرجال ومنازل الواصلين ومشاهدات المقربين، والمطبوع منها هو:

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.

٢- مذكرة المرشدين والمسترشدين.

٣- آداب السلوك إلى ملك الملوك.

٤- دستور السالكين طريق رب العالمين.

٥- معارج المقربين.

٦- الفرقة الناجية.

٧- من جوامع الكلم.

٨- الطهور المدار على قلوب الأبرار.

٩- الجزء الثاني من كتاب أصول الوصول لمعية الرسول.

أما المخطوط منها فهو:

١- الصوفية والتصوف.

٢- المضنون والمكنون.

٣- موارد أهل الصفا.

٤- مصطلحات الرجال.

٥- الألف مرحلة في طريق الله ﷻ.

٦- دستور آداب آل العزائم.

٦- السيرة النبوية:

- وقد طبع منها كتب:

١- بشائر الأخيار في مولد المختار.

٢- النجاة فى سيرة رسول الله.

٣- السراج الوهاج في الإسراء والمعراج

٧- الأوراد والاستغاثات والصلوات:

وهي:

١- ما يزيد على الخمسمائة فتح في الصلوات على رسول الله ﷺ، طبع منها سبعون فتحاً باسم (الفتوحات الربانية والمنح النبوية في الصلاة على خير البرية) ولا يزال الباقي مخطوطاً.

٢- ما يقترب من خمسمائة حزب، طبع منها ما يتعلق بشهر رمضان باسم (أدعية الغفران في شهر القرآن) وطبع بعض منها في الأوراد اليومية في كتاب (نيل الخيرات بملازمة الصلوات) ولا يزال الباقي مخطوطاً.

٣- الاستغاثات والأدعية بحسب المناسبات، وقد طبع منها ما يناسب ليلة

النصف من شعبان في كتاب ((مشارق أنوار البيان في ليلة النصف من شعبان)) وطبع جزء منها في كتاب ((الأدعية والاستغاثات الكبرى)) والباقي وهو الجزء الأكبر لا يزال مخطوطاً إلى الآن.

هذا وقد فقد كم كبير من المخطوطات النادرة، وكانت معبأة بإحكام في صناديق خاصة بها وذلك عند نقل أثاث المترل بعد وفاة الإمام أبي العزائم ﷺ لإعادة بناءه بعد تقسيمه على الورثة، ويقوم بطبع هذه الكتب الآن جهتان:

١- ابنه السيد مختار ماضي أبو العزائم ويتولى طبعها ونشرها عنه مكتبة دار الشعب وغيرها.

٢- دار المدينة المنورة للطبع والنشر، التابعة للمشيخة العزمية.

● ثانياً: النظم الصوفي

● تعريفه وكيفية تلقّيه

وهو الذي يقول فيه ﷺ: { إنَّ مِن الشِّعْرِ لَحِكْمَة }[110]

وقد بلغ فيه الإمام أبو العزائم ﷺ الغاية في جزالة الألفاظ ورصانة الأسلوب وبلاغة العبارة مع المعاني المبتكرة التي لم يسبقه إليها أحد، وقد كان ﷺ يلقي هذه القصائد عندما تنتابه حالة الوله، فيملي عليه ملك الإلهام هذه المعاني الروحانية والأسرار الربانية، فيصوغها نظماً، وقد وصف ﷺ هذه الحالة في قوله معبراً عن المراحل التي يمر بها الواصل حتى يصل إلى حالة الإلهام:

((ثم بعد أن تبدو له تلك الآيات الملكية، تعلوه حيرة منه له، فيظهر له منه خفاء ما فيه، فيغيب به عن شهود ما حوله وفوقه وتحته، ويجول في مدينة حسنه وجماله وكماله، متزهاً ما يظهر له منه من غرائب ما يراه فيه من الآيات التي هي عين

---

[110] رواه البخاري عن أبي بن كعب والترمذي والطبراني عن ابن عباس.

ما شهد قبل في غيره، ومن الأنوار التي سمت وعلت، ثم يشهدها في جميع ما شـــهد، حتى يغيب عنه شمس حقائق ما شهد من غيره، ويعلوه من الدهشة ما يجعله فوق طور الطرب، وتحت ناموس الشوق المقلق الموجب للهيام، وعندها يفـــنى عـــن القيـــود الناسوتية التي بها توصل لكشف الملك، لظهور لمعات أنوار الملكوت بعين بصيرته عن مشكاة المثال الحقي في كوكب التجلي الأسمائي، في صورة الزجاجة اللطيفة النورانية، ويفنى بعد هذا الفناء، في رتبة خفاء المرتبة الإحسانية، فتمتلئ بغير استحـــضار، بـــل بقوة ما يفاض عليه من لدى الأوصاف الحسنى من التتريه الاثباتي والتشبيه الـــسلبي، ويبوح عند الهيام بلواعج الشوق حتى يكاد يترجم من غير إدراك عن الغيب المصون الظاهر له بالبصيرة))[١١١]

وكان أولاده ومريدوه يكتبون عنه هذه المعاني التي رفض ﷺ أن يطلق عليهـــا اسم ((الشعر)) وإنما سماها ((مواجيد)) لأنها نتيجة حالة الوجد التي يعانيها ويعايشها، ويكشف اللسان عن شميم منها للمؤهل لها، وأجاز اطلاق اسم قصائد عليها بـــشرط أن يعرف المتقول لتلك الكلمة أنها ناتجة عن قصود علية، وهـــم سماويـــة، وقلـــوب عرشية وأرواح نورانية فيقول:

ليس شعراً ما قلت حال ورودي ... بل هو الخمر يحتسى في الوجود
راح قدس قصائد مـــن قـــصود ... قد أديرت من حضرة المعبـــود

ويقول أيضاً:

ترنمـــت لا لهياكـــل ومبـــاني ... ولكـــن لفـــرد واجـــد روحـــاني
أغان إلى الغيب المـــصون مـــشيرة ... بها الروح سكرى والجميل عيـــان
أغني لروحي معرباً عـــن حقـــيقتي ... فلا يـــصغي لي إلا فـــتى روحـــاني
وفي صوري الأخفى ورسمي في الخفا ... ومشهد روحـــي مـــشهد ربـــاني
أغان فما للعقـــل فيهـــا تناســـب ... ولا مشهد للنفس فيهـــا ببرهـــان

[١١١] شراب الأرواح ص (١٧٦ - ١٧٧).

وقد كان ﷺ تأتيه هذه الحالة حتى أثناء نومه، فيقوم ويملي ما ألهمه الله ﷻ به، ولما عرف خاصة الإخوان ذلك الأمر، كانوا يراقبونه مستترين، فإذا هاجه الحنين وأملى ما ورد، أسرعوا في كتابته، ولما ظن بعضهم أنه ﷺ لا يعرف أمرهم، كاشفهم ﷺ بحقيقة الأمر وأوضح لهم مكنون السر وقال:

أنا لو أغنى في الخفا لتكلمت أحجار هذا البيت عن كلماتى
لكن أشير بفرق فرق محرق يدري مباديه أولى الهمات

بل والأعجب من ذلك أنه ﷺ كان عندما ينتابه هذا الحال ولا يجد أحداً كاتباً بجواره، ينادي على من بجواره أياً كان، ويأمره أن يكتب فيمسك بالقلم ويكتب بأمر الله ﷻ، مع عدم معرفته بالقراءة والكتابة قبل ذلك.

ولكا كانت هذه الأحوال تنتهي، كان يسترجع مع أحبابه ما كتبوه، فيبقي على ما يناسب العقول والأفئدة، ويأمرهم بحرق ما تبقى ويقول لهم:

((من أظهر ما لا يطاق أوقع غيره في النفاق)).

ويقول أيضاً:

كيف الإباحة بالأسرار في ملأ وهي الحقيقة تصريحاً وتيقيناً
روحي قبيل بياني قد أجود بها سمحاً بها وأرى الأغيار تكويناً
أخشى على الدر أن يلقى بمزبلة فيزدري وأخون الحق والدينا

ولما كانت هذه الإلهامات من الكثرة حتى أنها تجاوزت المائتي ألف قصيدة، كان ذلك يدعو إلى حيرة وعجب كثير من الحاضرين، حتى أن رجلاً منهم وكان يسكن في مدينة السويس، بات ذات ليلة يفكر في هذا الأمر الغريب والشأن العجيب، وكيف أن هذا الرجل يلقي القصائد المتتالية بغير تفكير سبق، ولا إعداد ذهن ولا تصور عقل، ومع ذلك تسمعها كأنها المعنية بقول رسول الله ﷺ { إن من البيان

لسحر }١١٢ لشدة وقعها وغريب تأثيرها في نفوس السامعين، والأعجب من هـذا، أنها تأتي على أكمل ما يكون من حيث وزن الشعر وقوافيه، حتى أن المرء لا يستطيع أن يستبدل لفظة منها بغيرها، لشدة ترابط كلماتها ...

فرأى هذا الرجل في تلك الليلة سيدنا رسول الله ﷺ جالساً على كرسي وأمامه ستارة، وأمام الستارة يجلس الإمام أبو العزائم على المنصة، وكلما حرك سيدنا رسول الله ﷺ فاه بكلمة ردَّد الإمام أبو العزائم ﷺ نفس الكلمة، فكأنه يبلغ عنه، فقام من نومه مسروراً، وانتظر إلى الصباح بفارغ الصبر، ثم أسرع إلى القاهرة ليبشر الشيخ بما رأى، وعندما دخل المترل، وجد الإمام يلقي درساً على إخوانه، وحينما وقع نظره عليه، خرج الإمام عن درسه وقال فوراً على البديهة:

لولا ولولا ولولا عهدٌ وثيق لمولى
لكشفت عني ستاري وبحت بالسر قولا
لكن وجهاً جميلاً لعين قلبي تجلى
أغيب عني وأملي لمن بسري تحلى
لست المغني بقولي إلا إذا الفرد أملى

أغراضه:

وقد تناول ﷺ في هذه المواجيد :

كل المواضيع الدينية والخلقية بالإضافة إلى تعبيره عن جميع أحوال الصوفية سواء في جهادهم لأنفسهم أو في وصولهم لمحبوبهم أو في مواجهاتهم أو مؤانساتهم، حتى أنه لم يترك شاردة ولا واردة من أحوال الصوفية والصالحين إلا ووصفها ووضحها وبينها في هذه المواجيد الإلهية.

ونستعرض هنا رذاذ من عبير تلك القصائد:

ففي الصلاة مثلاً يقول:

---

[١١٢] رواه البخاري عن أبي بن كعب والترمذي والطبراني عن ابن عباس.

أقيم صلاتي إن تجردت عن نفسي فأفنى بها عني بمشهده القدسي
لديها يواجهني بوجه مقدس أكون أنا عرش التنزل والكرسي
عليَّ يصلي في صلاتي لأنني تشبهت بالمختار بالجسم والنفس

وها هو في الذكر يقول:

إذا ما ذكرت اسم الجلالة تجلى لي حقائق أنوار من المشهد العالى
فاشهد حال الذكر وجهاً مقدساً تعالى عن التشبيه والأمثال
لدى الذكر أنوار الجميل تلوح لي مواجهة في الذكر والذكر آمالى

ومما يشوق به القلوب إلى حضرة الله قوله:

من إليه حنين أهل الصفاء وهو نور يلوح للأصفياء
من تجلى فأظهر الكون نوراً شوَّق العالمين بالآلاء
من يلبي الداعي بحال اضطرار من يغيث المضطر بالنعماء
من هو الظاهر المجيب تعالى يعطى فضلاً سوابغ الإعطاء
من يرانا ولا نراه فنعصى يغفر الذنب بعد طول الجفاء
كم عصينا وكم سألنا فلبى أبدل الذنب منه بالرضاء

ويعلي الهمم للإقبال على سيد العرب والعجم فيقول:

سر الوصول إلى الجانب العالي حب النبي محمد والآل
من لحظة في الحب تشهد وجهه وتفوز منه بسره في الحال
تعطى العلوم وتشهدن فتترجمن بلسان أهل القرب والأبدال
تعطى الجمال فلا يراك مصدق إلا ويشهد نوره المتلالي
من أين هذا العلم والنور الذي أعطيته من لحظة في الحال

من حـــب قلـــبي للحبيـــب محمـــد نلت المنى بل نلـــت كـــل آمـــالي

ويعرج على رمز آدم فيكشفه حيث يقول:

إذا سبقت حسناك جملـــت التربـــا يصير لك المصباح نوراً ولا شـــوبا
له تسجد الأملاك طوعـــاً وقربـــة يعلمهم أسمائـــه يـــشهد الغيـــب
وما آدم لـــولا ضـــيا نفخـــة بهـــا لقد سخَّر الأكوان يجـــذبها جـــذبا
إذا سبقت حسناك ترفـــع ســـافلاً وتجعل ترب الأرض للعالم القطـــب

وتارة يفتح الباب للمذنبين حتى لا يقنطوا من رحمة ربِّ العالمين فيقول لهم:

يفـــرح التـــواب بالتوبـــة مـــن عبده يعطى الرضا يـــوم الحـــساب
يفـــتح البـــاب بتوبتـــه علـــى من أتى متحققـــاً ســـوء العقـــاب
قـــد يحـــب الله عبـــداً تائبـــاً راغباً رضـــوانه ينـــسى العـــذاب
من وريـــد العبـــد أقـــرب فابتـــهل تائباً يا عبد واضـــرع في الرحـــاب

وبعد التوبة يرغبهم في الجهاد فيقول:

يراقب أحكامي ويحفـــظ شـــرعتي فتى سالك يرجو وصالاً لـــوجهتي
يعامل خلقي بالـــذي قـــد شـــرعته وبالفضل يستجدي جميل مـــودتي
ويعبدني بالصدق لا يرجـــو نعمـــة من الخلق بل يرجو قبولي ونعمـــتي
وهذا ســـبيل الـــسالكين وحـــالهم مراقبة الأحكـــام رغبـــة جـــنتي

ويصف من يعاني من الوجد والغرام ويتجه إلى الله بخالص الحب والهيام فيقول:

أهل المحبـــة لمـــا عـــاينوا هـــاموا والغافلون عن المحبوب قد لامـــوا
ذكروا الحبيب فأدنـــاهم وقـــربهم وبعد قـــربهم كـــشف وإكـــرام
غابوا بذكرهم طـــابوا بـــشربهم ومقعد الصدق نزل فيه قد قاموا

لم تلههم جنة الفردوس إذ لهم شوق إلى ربهم وَلَـةٌ وإحرام
قد نولوا من شراب الود خالِصُهُ رفعت لهم بين أهل القرب أعلام

ومن وصفه للعارفين قوله:

العارفون لهم مقام راقي لم يدركن بالعقل والأحداق
شهدوا جمال الله بالعين التي وهبت لهم من منعم خلاق
أهل الشهود هم الكرام أئمة قد جملوا بالحب والأخلاق
أسرارهم وهبت لهم من ربهم والمصطفى الهادي لروحي ساقي
الشرع مشربهم ووجه حبيبهم في حيثما كالشمس في الإشراق

وعندما سمع بعض أهل العلم أحد تلاميذه جالساً بالأزهر الشريف يردد إحدى هذه القصائد! لم يتذوق معانيها .. بل زاد على ذلك، وذهب مغاضباً يريد أن يعاتب الشيخ على مثل هذا الكلام، نظر إليه ﷺ فوجده شديد الاهتمام جداً بهيئته وملبسه، حتى أن حذائه كان شديد اللمعان من شدة عنايته به، فقال له ﷺ:

((لو نظفت قلبك كما نظفت حذاءك لفهمت مثل هذا الكلام !)).

فاعلم أن المواجيد لا يتذوقها إلا أهل الوجد، فيتغنون بها ترويحاً عن أنفسهم في سيرهم وسلوكهم إلى ربهم، ويوجه الخطاب لمن يلومه على هذه الأحوال فيقول:

ألا لا تلوما ماضياً إن ماضيا له مهجة ذابت بحَرِّ المكاويا
رأى الحسن صرفاً في مطالع أفقه لروحي إلى رَبْعِ الحقيقة داعياً
فهامت له عشقاً ولما هيمت أباح الضنا عني بما قد علانيا
شهدت جمالاً لو تبدى لأكمه تهيَّم في معناه وأرتد رائياً
ولو للجبال الشمِّ أبدى جلاله لدكت لوقع الخوف منها العواليا
علام تلوماني ولم تريا الذي بصورة أسماء الجمال بدا لي

ديوان شروق الإسلام:

والأمر يطول لو استعرضنا كل الأغراض التي تحدث عنها ﷺ في مواجيده.

لكن أغرب ما فيها هو ديوانه المطبوع تحت اسم ((شروق الإسلام)) والـذي قد وضح فيه قبساً من الغيوب التي لم تكن قد ظهرت بعد، وظهرت بعده وأبرزهـا تنبؤه بالحرب العالمية الثانية، مع أنه قد مات قبل اندلاعها، وأيـضا تنبـؤه بتفكـك الإتحاد السوفيتي إلى دول، ومما قاله فيها:

نجم غرب يمحـى وكوكـب شـرق ... يقتـضي عـودة بخـير المواهـب
نار حـرب تـشب منـها [113] بألمـا ... تمحـق الظـالمين مـن كـل كـاذب
عمَّت الغـرب في شمـال وأصْـلت ... في لظاها الظُّلام مـن كـل غاصـب
فيـه ألمانيـا وروس ونمـسا ... تـسعر النـار بـالجرئ المحـارب
تـصطلي دولـة البـواخر حربـا ... يمحى عنها في الشرق كـل المناصـب
نار حـرب تـشب منـهم علـيهم ... سـرها الظلـم والقـوى المطالـب

بل أنه ﷺ تنبأ بما يحدث في روسيا وفي اليابان الآن من علو لشأن الإسلام فيقول:

يظهر الإسـلام في روسـيا وفي ... أرض يابان يعلو بهـا القـرآن
ينشر الإسـلام في روسـيا وفي ... أمة اليابـان بـالآي الحـسان

ثم يبشر ﷺ بما سيحدث لأهل أوروبا نتيجة ظلمهم فمن ذلك قوله:

يا أروبـا جهلـت ثم جهلـت ... أنـت في سـور رتبـة الأنعـام
قـد رأيـتم غنـاكم فطغيـتم ... سـوف ترمـوا بـصعقة الإنتقـام
قد جمعـتم جيوشـكم لتزولـوا ... أبـشروا بالـدمار ذل الحمـام

---

[113] ألمانيا.

وفى تبشيره ﷺ بانهيار الإتحاد السوفيتى وتفككه وهو ما حدث مؤخراً، قال:

قوم روسيا قد يــصبحون عزينــا فرقة تسلب النفــوس في الأحــلام
يقــذفون بنــار بركــان مقــت يــصبحون الأكــام بعــد النظــام

وفي هذا تكون البشرى لأهل الإسلام حيث يقول لهم:

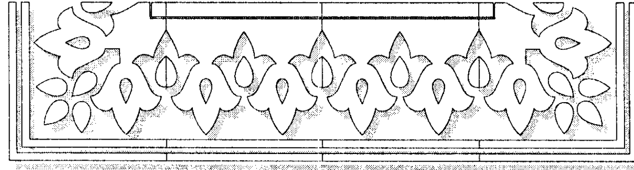
لديها يضئ الشرق بالشمس أشرقت تكـــون لياليـــه كنـــور نهـــار
يجدد منهاج الهــدي مــن أئمــة لقد جهلــوا قبــل انتــشار النــار

ويقول أيضاً:

تشرق الشمس في مرابــع شــرق تترائـــى بكـــل أرض حـــرام
يمحــق الله كــل تيجــان ظلــم وبـــلاد الإســـلام أرض الـــسلام

هذا وقد طبع من قصائده ﷺ :

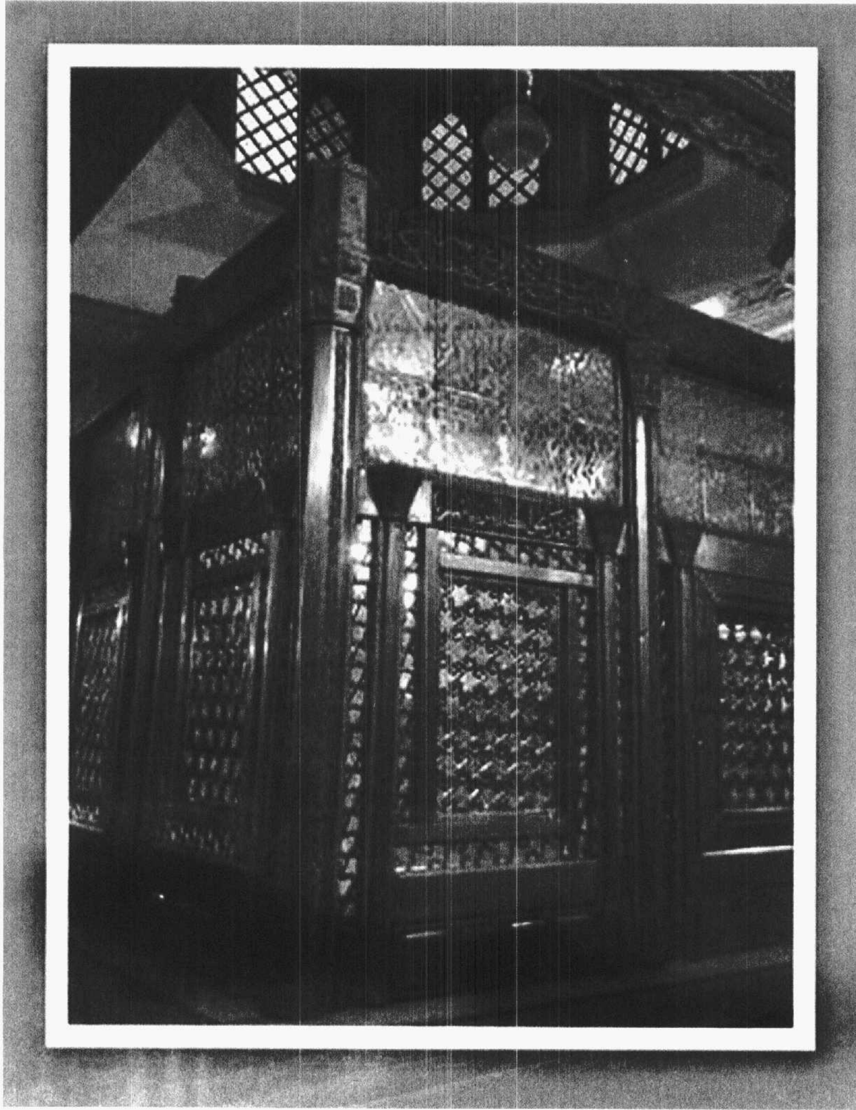
١- ديوان ضياء القلوب فى خمسة مجلدات.
٢- والمواجيد التي أملاها في عام ١٣٤٢ هجرية، حيث طبعــت علــى حساب شهور العام.



الفصل الثاني عشر

وصية ووداع

- وصيتة لإخوانه
- وصيتة لأولاده وأهل بيته
- زوجاته وأولاده
- خاتمة



مزار الإمام أبي العزائم ﷺ بمسجده بشارع مجلس الشعب بالقاهرة

الفصل الثاني عشر: وصية ووداع

وصيته لإخوانه

وقد ظل ﷺ يجاهد في كل نفس من أنفاسه في ذات الله تعالى، حتى لما أقعده المرض في آخر أيامه وشلت رجلاه، لم يصرفه ذلك عن مهام الدعوة إلى الله ﷻ، فكان ﷺ في قوة عزيمته ومضاء همته وصدق إرادته كأنه أمة من الدعاة إلى الله ﷻ، لشدة تأثيره في النفوس والقلوب، ولما أحس بدنو الأجل، جمع أحبابه ومريديه، ووصاهم بوصايا بالغة تجمعها هذه القصيدة التي جمعت كل شئ يهم المريد والواصل والمتمكن في حالهم مع الله ﷻ، وسنذكرها برمتها لأهميتها البالغة وهي:

أيا رفقة بالحق للحق صدقوا ... ويا خلة بالله لله وفقوا
أيا سادة ذاقوا رحيقاً مقدساً ... على منهج الصديق ساروا ورافقوا
وإخوان صدق بالعزيمة بادروا ... برشف المدام الحق حتى تحققوا
ويا عصبة المختار يا نجدة الهدى ... ومن بكموا في منهج الحق رافقوا
ويا أولياء الله يا أهل وده ... ومن لهم المختار قد يتشوق
ومن خصصوا من سيد الرسل بالصفا ... ومن هم بحار للهدى تتدفق
أيا نخبة الرحمن أهل اختصاصه ... ومن وجدهم خلق به لا تخلق
ومن خصصوا منه بفضل ورحمة ... ومن هم شموس للأخلاء [١١٤] ترمق

---

[١١٤] ترمق يشار أو ينظر إليها.

ومن شاهدوا الآيات في كل مظهر		بأعين تسليم بها النور مشرق
أيا رفقتي يا خلتي يا أحبتي		على العروة الوثقى فسيروا ورافقوا
إليكم إشاراتي فذوقوا سلافها		تحابتموا في الله بالله صادقوا
ألا فاجتماعاً بالقلوب وألفة		وعوناً على عمل المكارم تلحقوا
وإياكم وأخلاق إبليس إنما		لقد أبعدته وهو طاووس رامق
دعوا الكبر والحسد القبيحين سادتى		دعوا طمعاً فيما يزول وسابقوا
وستراً لعورات الأحبة كلهم		وعفواً عن الزلات فالعفو أرفق
وغضوا عن المكروه أعين عفة		وجودوا ببشر فالسماحة رونق
وإياكم وعدوكم خبث طبعكم		وطمعاً وحبَّ الجاه فهو يفرق
توادوا بروح الله في الله وابذلوا		لإخوانكم بشر اللقا وتعانقوا
لصحبتكم بالرفق والحسن فابذلوا		لأحبابكم عند اللزوم وخالقوا
وكفوا عن التنفير واسعوا لجمعكم		على الله فالدنيا متاع مفارق
ألا من يكن في قلبه بعض ذرة		من الكبر والأحقاد ما هو ذائق
ألا طهِّر الأخلاق والنفس زكها		وإلا فسهم البعد يرمى فيفتق
ألا يا أخي بالذل ترقى وترفعن		وبالزهد تعطي ما له تتشوق
ويا صاحبي بالجد والعزم جاهدن		لتشهد أسراراً بها الحق مشرق
ويا أيها الصديق يا مظهر الهدى		بحالك ماضي العزم يمحي المنافق
ويا أيها الباب الذي نوره جلى		لزين الخفا وبه أضاء المشارق
ويا أيها الفاني الذي حبه محا		معاليمه في الحق والقلب يخفق
ويا أيها المحبوب مطلوباً لنا		ومن هو فانٍ عن سوانا محقق
ويا أيها الراجي لوصل ونظرة		فظاهره يشتاق والروح أشوق
ويا باذلاً ما في يديك تقرُّباً		لنيل الرضا ولطيبهم تستنشق
ويا باذلاً للنفس بيعاً بهمة		وبُشِّر منهم بالقبول وصدقوا
تخلَّق بأخلاق الاله وحافظن		على منهج المختار في العقد تنسق

وكن ماضى العزم الذي لا يشوبه … شوائب تدليس وبالحق ينطق
ودع عنك ميلاً للحضيض وزينة … بها اشتغل اللاهون عنه وما ارتقوا
وقم داعياً لله بالحكمة التي … بها قد حباك الله وهو الموفق
ولا تسع في التفريق أجمع به له … عليه أولى التسليم إذ أنت واثق
فماضيكموا الراجي بفضل محمد … إخوة طه هل مراد يوافق؟
فقد صح (واشوقاه)[115] منه لهم به … فلبُّوا بعزم فالملبِّي موفق
وها أنا واشوقاه مني له به … ولولا اشتياقي كادت الروح تزهق
إذا كان منه الاشتياق لنا به … فأولى بنا للوجد فيه نسابق
فقد خصَّنا المختار بالشوق خلتي … فشوقاً له شوقاً له لا يفارق
فهيا بصدق في العزائم وأنهضوا … لنيل إخوته به فهي أوفق
فهذا زمان الصدق في نصرة الهدى … وأيام أهل العزم أين المصدق؟
ألا سارعوا أحيوا لسنة أحمد … ففتنة هذا العصر كالنار تحرق
ألا أطفئوها باليقين تجردوا … عن الحظ والأهواء فالحظ مفرِّق
وجدوا وجودوا بالنفوس وحافظوا … على السنة الغراء فالله خالق
الا أيها الإخوان إن خشوعكم … واخباتكم لله من هو رازق
ألا بعتموا لله مالاً وأنفساً … بمدلول (إن الله)[116] والذكر ينطق
ألا حققوا واستبشروا يا أحبتي … ببيعة رضوان من الله تسبقوا
وعلماً بأن الدين حسن عقيدة … وأنوار أخلاق بها الكشف يشرق
عبادة ربِّ العرش سيروا برحمة … تكونوا بها أبناء طه تحققوا
بأنفسنا أولى بمحكم[117] آية … فدتك نفوس طيبات[118] وأينق

---

[115] يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام مالك في الموطأ والذي يقول فيه ﷺ: { واشوقاه لإخواني الذين لما يأتوا بعد، فقال سيدنا عمر ألسنا إخوانك يارسول الله؟ قال أنتم أصحابي، إخواني قوم يأتون آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني }.

[116] يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾(١١١ التوبة)

[117] يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾(٦ الأحزاب).

[118] الأينق: الجمال السريعة.

فدا سنة المختار مالاً وأنفساً ... لنحفظها من كل غرٍّ[١١٩] ينافق
ألا عزَّة منكم على كلّ كافر ... سعى منكراً للحق يرجو يفرق
وكونوا أذلاء على كلّ مؤمن ... ليجمع بالتوفيق هذا المفرق
ألا خلصوا الأرواح من سجن نأيها ... وجدُّوا لتزكية النفوس وسابقوا
ألا جاهدوا تلك النفوس بهمة ... تفوزوا برضوان من النار تعتقوا
ألا اسعدوني باجتماع وألفة ... على منهج المختار فالنور مشرق
ولا تيأسوا من رحمة الله إخوتي ... ومن نصره فالله بالعبد يرفق
على سنة المختار سيروا بهمة ... عسى الله يحيينا به ويوفق
عساه بحول منه يمنحنا الهدى ... ويحيي بنا أسرارها ويحقق
ويمحو بنا الألحاد والبغي والجفا ... لتشرق شمس الدين والشرق يشرق
ألا فابغضوا من أكدَّ الله بغضه ... أحبُّوا بحبِّ الله والحظ فارقوا
ألا فاحفظوا الأركان أركان ديننا ... صلاة صياماً ثم حجٌّ تصدقوا
أديموا لذكر الله فالذكر نوره ... لأهل الهدى والغي لا شك فارقوا
توادوا بروح الله فيه تزاوروا ... تحابوا بحبِّ الله فيه توفقوا
ألا عظموا لشعائر الله تعظموا ... بها وتسودوا في القيامة تسبقوا
وإني عبد خاضع أرتجي الرضا ... وأرجو بفضل الله في العقد أنسق
بعقد المعية آخر الفتح بينت ... أوصاف أهليها بها [١٢٠] أتحقق
ظلوم لنفسي بل جهول وغافل ... ولكنني في الله بالعفو واثق
إلهي بفضل منك عفواً وتوبة ... بها تمحو أوزاري وفضلاً أوفق
إلهي إلهي مذنبٌ ومقصرٌ ... غريبٌ فقيرٌ في الضلالة غارق
تفضل على ماضٍ إلهي بنظرة ... بأعين إحسان بها الفضل [١٢١] يغدق
توسلت بالمختار طه وحزبه ... وأنصاره من للهداية سابقوا

---

١١٩ غر أى مخادع.
١٢٠ يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿ محمد رسول الله والذين معه ... ﴾ إلى آخر الآية (٢٩ الفتح).
١٢١ يغدق أى يعم جميع الأركان والنواحي.

بآيات فرقـــان ووصـــف حنانـــة أفض منك بحر الجـــود لي يتـــدفق
وجد لي وإخواني وأهلـــي جمـــيعهم بمحض العطايـــا والهبـــات تـــسابق
إلهي علـــى طـــه الحبيـــب محمـــد أفض غيث إحسان به القلب يـــشرق
وآل وأصـــحاب كـــرام أئمـــة ومن تابعوا المختار بالحال صـــدقوا

وصيته لأولاده وأهل بيته

ثم دعا أولاده وآل بيته جميعاً ووصاهم بوصية جامعة تعتبر مثلاً فريداً في وصايا الصالحين لذويهم، ونظراً لما تمتلأ به من عظات وعبر، فسنذكرها بأكملها وإن كانت قد طبعت في مؤخرة كتاب الإسلام نسب، ولكن ليس كل أحد قد تيسر له الإطلاع على الكتاب، وهذا ما دعانا إلى تسجيلها هنا وهي:

((أي إخوتي وأبنائي وأرحامي:

إني يسرني سروركم، ويحزنني حزنكم، أجد في نفس هذا الوجد بمجرد العلـــم بداعي كل نوع قبل شهود مسببه، فكيف بشهود ذلك؟ ما ذلـــك إلا لأن الـــروح السارية في تلك الأجسام المختلفة متصلة وإن تباعدت الأجسام، والاتصال الروحاني لا يستلزم اتصال الأشباح مثال ذلك ما يراه الإنسان في نومه لأخيه، فيحصل ما يراه من الخيرات وغيرها، وارتسام الصور في المرآة من غير اتصال جسم المـــرآة بجـــسم المصور، فكأني أنا وأنتم. وإن تعددت الأجسام كنفس واحدة. يتألم أحدنا بألم الآخـــر ويفرح بفرحه. فأنا يا أخواني يسرني ويفرحني أن تكونوا مجملين بالعافية فائزين بنيـــل الخير الحقيقي الذي به يدوم لي بكم الفرح والهناء في الدنيا والآخرة.

وطريق هذا الخير الحقيقي محصور فيما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ. وقد قررت لكم ذلك في كتاب ((النور المبين)) عند قولي: ((بالإسلام نيل السعادتين)). فكونـــوا على ثقة يا إخوتي وأولادي وعشيرتي أن كل لذة ينالها المرء بمعصية الله هي عـــذاب أليم في الدنيا والآخرة، وكل حظ يناله الإنسان بمعصية الله هـــو شـــقاء في الـــدنيا والآخرة، وليست لذة تفنى وتوجب العذاب الأليم بلذة يتلذذ بها إنـــسان عاقـــل،

وكيف يكون ذلك من إنسان يعتقد إنه مسئول أمام الله عن كل صغيرة وكبيرة؟ ثقوا يا إخوتي بمعونة الله ما دمت محافظين على سنن رسول الله ﷺ، وبوسعة أرزاقكم، وبالعزة من الله لكم وبالغنى عن شرار الخلق، وبالتمكين في الأرض بالحق، ما دمتم تعملون بكتاب الله، وتجاهدون أنفسكم في ذات الله. بل أبشروا برضوان الله الأكبر، وبالنعيم الأبدي في الفردوس الأعلى، لأنكم يا إخوتي باتباعكم للسنة وعملكم بالكتاب تكونون أشبه بأصحاب رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [٢١الأحزاب].

ومتى أشبهتم أصحاب رسول الله ﷺ كنتم مع أهل معية رسول الله ﷺ، ونحن في القرن الرابع عشر من هجرته عليه الصلاة والسلام، بل ويجملكم الله تعالى بالصفات التي أشتاق إليها رسول الله ﷺ، بقوله في الحديث الطويل برواية الإمام مالك بن أنس ﷺ: ((واشوقاه لإخواني)) يا أولادي: احفظوا الله يحفظكم، احفظوا الله تجدوه أمامكم، كونوا مع الله تروا الله معكم.

يا أبنائي: يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [٢١الطور]

فابغضوا المعاصي يا أبنائي لأن الله حرمها وتوعد عليها بالنار، ولأن المعاصي في ذاتها تنفر منها النفوس الكريمة، ولأنها تهدم مجداً أسسه أئمة الهدى من أبائنا العلماء العاملين، ولأنها تذهب وجاهة الإنسان ومنزلته العالية بين الناس، وتجعله محتقراً ذليلاً، ولأنها تسبب العداوة بين الناس والخصومات، ولأنها تسبب الأمراض في الأبدان، وتوجب الخزي والندم في الدنيا، والعقوبة يوم القيامة، فاتركوا يا أولادي المعصية، فإن لذة تؤدي إلى كل تلك البلايا جديرة أن تفروا منها، ولو كان في تركها آلام عاجلة.

يا أبنائي:

صلة الأرحام تطيل الأعمار، وترضي الرحمن، وتكثر الأنصار وتجعل الرجل

سيداً عظيماً في عشيرته، وهي من صفات رسول الله ﷺ، وصلة الرحم صلة للرحيم[١٢٢] ، هذا فضلاً عما يشعر به المرء المسلم من الشفقة والرحمة والعاطفة على أقاربه، فلو لم تكن صلة الرحم شرعاً وعقلاً، لكانت فطرة وسجية، وقاطع الرحم، كأنه يقول: أنا لست إنساناً، ولكني وحش، لأن الإنسان ولو ابن زنا يعطف على أبناء أمه وأقاربها ويتعصب لها.

يا أبنائي :

اكرموا جيرانكم يدم لكم الصفاء والهناء، وتزد نعمكم. لأن إكرام الجار يرضي الله تعالى. ويرضي رسول الله ﷺ. ويجعل لك جارك خادماً يطيعك، يلبيك إن ناديته. ويسرك إن قابلته. فإن أنت لم تكرمه كان كالهم الملازم. والغريم المطالب. ولا غنى لك عنه. والعاقل لا يجعل له سبعاً وحشاً مفترساً مطلقاً من القيود قريباً من بابه. وإن عجزت عن إكرامه وتأليفه. فتب إلى الله واسأله المعونة. وافرض أن جارك بعيد عنك. فلا تذكره إلا بخير. وانس إساءته يهده الله أو يريحك منه.

يا أبنائي:

احترسوا من الناس بسوء الظن، ولا تظهروا سوء الظن لعباد الله، ولكن عليكم بمداراتهم، فحسنوا نواياكم في قلوبكم وصونوا أعراضكم في بيوتكم، وأموالكم في خزائنكم، حتى إذا ظفرتم بواحد من أهل الأسرار فجربوه واختبروه، ثم كاشفوه بقدر معلوم وأنتم على حيطة منه. فإذا وجدتم رجلاً أميناً يمكنه أن يحفظ مالكم ويعمل فيه لينتفع وتنتفعوا، فأعطوه بقدر معلوم مع الحيطة منه.

أما الأعراض يا أبنائي، فإن الله تعالى حكم فيها فقال: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [أول الآيات (٣٠ ، ٣١النور] والعمل بكتاب الله به الفوز برضوان الله وبه السعادة في الدنيا والآخرة، والجاهل عدو نفسه، فكيف يكون صديقاً لغيره؟

أوصيكم يا أبنائي بأن يحب كل واحد منكم لأخيه ما يحبه لنفسه، وخيركم من

---

١٢٢ روي عن ابن عباس ﷺ، أن النبي ﷺ قال إن الله ليعمر بالقوم الديار ويثمر لهم الأموال وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضاً لهم وقيل كيف ذلك يا رسول الله قال بصلتهم أرحامهم. رواه الطبراني.

بدأ بأخيه فيما يحب ثم بنفسه.

تعلموا يا أبناء العلم تكن لكم الدنيا والآخرة، فإن كان آباؤكم من أئمة الهدى حفظتم ذكرهم، وأبقيتم صورهم مرسومة على صفحات القلوب، وإن كانت أعيانهم في القبور، وحفظتم تراثهم ومجدهم، وصرتم كالجوهرة النفيسة المستخرجة من كنوز أنفس الجواهر، ويعظمكم الناس لنسبكم، ويجلونكم لعلمكم، العلم يا أبنائي حقيقة صعب المرتقى، ولكنه كرسي من جلس عليه ساد في الدنيا، وكان في مقعد صدق عند مليك مقتدر يوم القيامة.

قال الله تعالى مثنياً على أصحاب رسول الله ﷺ وليست بينهم أرحام يتواصلون بها وإنما هي أخوة الإسلام:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [٩الحشر]، فيجب عليكم يا أبنائي أن تتشبهوا بالكرام قياماً بأخوة الإسلام وأخوة الأرحام.

يا أبنائي:

أعطوا حب قلوبكم للأخ التقي الأمين الموالي، واجعلوا مزيده بالدعاء الصالح، والبشاشة في وجهه، والمسارعة إلى خيره، وأعطوا طلاقة الوجه وحلاوة اللفظ لمن تخشون شره، أو تخافون جهالته، ليكفيكم الله شروره، فسعوا الناس كلهم بأخلاقكم، حتى يكونوا لكم ألسنة خير.

يا أبنائي:

المؤمن عظيم معظم عند الناس ما لم يعمل معصية، فإن وقع في معصية خفية أغضب الله عليه، وأعوذ بالله يا أولادي من غضب الله ومن اختفى من الناس ليعمل معصية كان من المنافقين، لأن ذلك من أقبح صفات المنافقين.

قال الله تعالى ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ [١٠٨النساء]، ومن عمل معصية أمام الناس، أثار عليه لئام الناس، فيذل بعد العز، ويستوجب غضب الله وسخط الناس. فيا أبنائي: أعاذكم الله من المعصية، إذا دعتكم

النفس الخبيثة إلى ما يغضب الله، فضعوا قدر لذتكم في كفة الميزان، وغضب الله وسخط الناس والعذاب يوم القيامة في الكفة الثانية ثم اختاروا لأنفسكم.

أنا على يقين من أن ابني الذي آمن بيوم الحساب، وصدق بالقرآن، وأحب أن يشابه والده، يغضب إذا خطرت المعصية على قلبه فضلاً عن أن يهم بها، اسأل الله أن يعيذني وذريتي وأهلي من الشيطان الرجيم ويجعلني ممن قال سبحانه فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [٢١الطور] وقال فيهم: ﴿ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [٧٠الزخرف]

اعتقدوا يا أبنائي أن أبناء الصالحين، أو أولاد العلماء تكون الصغيرة منهم كبيرة، والكبيرة منهم كفر، لأنهم محل نظر العامة، فقد يقتدي بهم الجهلاء، لاعتقادهم أنهم أبناء الصالحين، وينكر عليهم العلماء، فيكونون بلاء على الجاهلين لاقتدائهم بهم في معصية الله، وبلاء على العلماء لاشتغالهم بالرد عليهم والانكار، وذلك كله لأنهم أبناء الصالحين، ومن لم يشبه أباه فقد ظلم أمه ورماها بالزنا، ووصم نفسه بأنه ابن زنا، أعيذكم بالله يا أبنائي من الشيطان الرجيم، وأعيذ ذريتكم من الشيطان الرجيم.

احفظوا يا أبنائي أرحامكم، وصلوهم وإن قطعوكم، واحسنوا إليهم وإن أساءوا إليكم، فإن الصلة واجبة عليكم بحكم الله وبسنة رسول الله ﷺ، لأنها أرحامكم، لا لأنهم أحسنوا إليكم، فهم وإن أساءوا لا تسقط حقوقهم عليكم[123] لأنكم يا أبنائي لو أنكم قطعتم أرحامكم بسبب إساءتهم إليكم تكونون قد حكمتم بغير ما أنزل الله ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [المائدة]، صلوا أرحامكم صلة لله ورسوله، فإن الذي لا يصل من أرحامه إلا من أحسن إليه ليس بواصل، ولكنه مكافئ، وإنما الواصل لرحمه، بل والقائم بما فرضه الله عليه من وصل أرحامه لله تعالى ولو قطعوه، وأحسن إليهم وإن أساءوا إليه، غير ناظر إلى عملهم، فإن نظر إلى عملهم حكم عليهم بما حكموا به عليه كان من الأخسرين أعمالاً.

---

[123] قال رسول الله ﷺ: (ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها) رواه البخاري.

يا أبنائي:

إن النبي ﷺ رغبنا في الإحسان إلى من أساء إلينا من الأباعد، وفي صلة من قطعنا منهم، وفي إكرام جارنا الغريب ولو أهاننا، وجعل ذلك من مقامات الإحسان، وجعل من فعل ذلك من أعبد الناس، فكيف يكون الحال في الجار القريب. يا أبنائي: كل من تشبه بقوم الحق بهم أو صار منهم أو معهم، فاقرأوا يا أبنائي سير أئمة الهدى، واذكروا طرائق المتقين، وجاهدوا أنفسكم أن تتشبهوا بهم تمام التشبه.

يا أبنائي:

إذا نزعت الرحمة من قلب مسلم لأقاربه، هل تكون في قلبه لأجنبي؟ إن من نزع الله الرحمة من قلبه لشقي.

يا أبنائي:

إن الرجل تكون له الزوجة، والزوجة تبغض أقارب الرجل لأنهم يشاركونها في نعمته، وهم يبغضونها لأنها استقلت بنعمة قريبهم، وتصرفت في ماله إلا من حفظ الله، والمرأة ألصق بقلب الرجل فقد تخلو به، وترميهم بالبهتان، فيقوم الرجل بقطع أرحامه، ويحارب أقاربه، ويؤذي من أمره الله بالإحسان إليهم، فتكون المرأة في مثل هذا أشر من الشيطان، وأضر من النار، وإذا قدم الرجل لشهوته البهيمية، المرأة الأجنبية على أرحام له أمر الله بصلتهم فإنه يكون كالبهيم، بل أقل.

يا أبنائي:

اتقوا الله في جيرانكم، غضوا أبصاركم عن عوراتهم، شاركوهم فيما أنعم الله عليكم، فإنهم يبصرون ويسمعون، واستديموا نعم الله عليكم بقليل تبذلونه لهم من نعمة الله عليكم يكون لكم مزيداً في الدنيا ورضوان من الله في الآخرة.

لا تجعل جارك يرى شيئاً في بيتك إلا أشركته فيه، وإذا بلغ بك الحرص مبلغاً جعلك تكره أن تشرك جارك فيما أنعم الله به عليك فاخف ذلك عنه وعن أبنائه، فإن الجار كالقريب يطمع في جاره ويرجو منه ما لا يرجوه من غيره، حتى إذا شم

جارك دخان قدرك فاعطه منه.

اعلموا يا أبنائي أن نظرة إلى زوجة الجار أو إبنته بشهوة عمداً لمن الكبائر التي توبق، لأن له حقوق كحقوق القرابة، وكشف ستر الله عن الجار من الموبقات، فاتقوا الله في جيرانكم، فإن لهم عليكم حقوقاً، التساهل في حق منها موجب لغضب الله تعالى، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نقوم بحقوقهم ثم نتفضل عليهم.

أبنائي:

إياكم أن يحبَّ أحدكم نفسه فيطمع في قليل يفنى، ويحرم كثيراً يدوم، فإن أحدكم إذا أحبَّ نفسه، فطمع في الدنيا ونافس فيها إخوته، فقد فتح على نفسه أبواب شر:

الأول: بغض أقاربه الذين هم أولى الناس به، ومتى كره أقاربه قرب أهل الجهالة من شياطين الإنس الذين يعينون على قطيعة الأرحام وأحبهم، واستعملهم في إساءة أقاربه، فينفق ماله في غضب الله على شياطين الإنس وفي إساءة أقاربه.

الثاني: يبغضه عقلاء الناس لأنهم بمعاداته لأقاربه يعتقدون فيه الجهالة، ومخالفة السنة، ومعصية الله، وييئسون منه لأنه يصير عندهم لا خير فيه.

الثالث: يفرق الجماعة، فإن كل واحد من أقاربه له شيعة يشايعونه، وأحباب ينصرونه، فإذا أحب الرجل نفسه ابتلى بعداوة تلك الشيع المختلفة، فكثر همه، وقلت راحته واشتغل عن الله واشتدت الخصومة عليه، فبذل ما في يده من المال في خلاص نفسه وأذية أقاربه، فكان حبه لنفسه سبباً في زوال النعمة، وفقدان اللذة، وحرمان الراحة.

فيا أبنائي:

الأخ خير من مال كثير، وإيثار الأخ على المال سبب السعادة الكبرى والخير الحقيقي، لأنك إذا آثرت أخاك على نفسك بالمال أو بالرياسة أو بالجاه صيرت أخاك لك كمملوك لك مطيع، وصرت عزيزاً عظيماً، كثير المال عظيم الجاه، منشرح الصدر، آمناً على نفسك.

يا أبنائي:

الجاهل حقاً من يبغض أخاه لأجل المال أو الجاه، وأجهل منه من يسعى في أذية أخيه لينال مالاً أو جاهاً، ومن عمل ذلك أضاع الجاه والمال من نفسه ومن أخيه. وأنت يا ولدي إذا كان لك أخ غني أو ذو جاه فأنت الغني ذو الجاه، لأن مال أخيك مالك، وجاه أخيك جاهك، والواجب عليك أن تسارع في زيادة ماله أو تأييد جاهه، لأنك شريكه في كل شئ، إلا إذا عاداك لشيطان الهوى والحظ.

أعوذ بالله من طمع يزيل الخير، ومن حسد يوقع في نار جهنم. وإني والله ليسرني أن يكون جاري الغريب في نعمة وسيادة، فأنا أكون في نعمة وسيادة مادام جاري سيداً منعماً عليه، فكيف بأخي أو عمي أو خالي أو ابن أخي أو أحد أقاربي؟

يا أبنائي:

الله أعلم حيث يجعل نعمته، كما أنه أعلم حيث يجعل رسالته، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [١٠٧يونس].

فإذا أنعم على الله على واحد منكم بنعمة وسعة في رزقه، أو سيادة في قومه، أو حكمة أو جمع لك تلك النعم، فاعتقدوا أن ذلك فضل من الله عليكم جميعاً، واجتهدوا جميعاً أن تعظموا من أنعم الله عليه، وأن تعضدوه، فإن ذلك يكون تعظيماً لله ومزيد فضل لكم جميعاً.

وعلى من أنعم الله عليه أن يعتقد أنه إنما أقامه الله مقام كل أفراد العائلة، ورزقهم جميعاً في ذاته، فعليه أن يجعل نفسه كواحد من أفراد العائلة يحب لصغيرهم ما يحب لنفسه، حتى يكون خادماً لهم شاكراً الله على نعمته عليه، فيكون بذلك في نعمة الله، ومزيد من فضله العظيم ومزيد من حبه سبحانه، ومواجهاته الربانية، وتكون النعمة عليه معراجاً للقرب من حضرة القدس الأعلى، ويكرم الله أولاده من بعده إكراماً له، قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا

وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [٨٢الكهف].

فانظر يا بني كيف أكرم الله الأبناء إكراماً لوالدهم، فأرسل لهم رسولاً من أولي العزم، ونبياً أو ولياً من كمل الأولياء، يرفعان الجدار، ليحفظ الكنز للولدين.

هذه نهاية الإكرام من الله للميت في الأحياء، فاحرص يا ولدي على أن تنال إكرام الله في حياتك وإكرام الله لأولادك بعد مماتك إكراماً لك.

يا ولدي:

ورث أبناءك أخلاقك المحمدية، وعقيدتك الحقة ومعاملتك الجميلة، وعبادتك لله الصحيحة، التي تشكر بها ربك سبحانه. ورثهم الرحمة على الأرحام، والرأفة بالأيتام والإحسان إلى الجيران. ورثهم حسن التوكل على الله، والثقة بما في يد الله، وحسن الظن بالله ورثهم الإحسان إلى من أساء إليهم، والعفو عمن ظلمهم والصلة لمن قطعهم.

يا ولدي:

هذه وصيتي التي أسألك بحقوق أبوتي عليك أن تحافظ عليها لتكون معي إن شاء الله تعالى يوم القيامة، إذا تفضل الله علينا بمغفرته وعفوه في دار النعيم.

يا بني:

لا تغضب وإن أغضبك غيرك، فإنك إذا غضبت جهلت من أنت، فإذا جهلت من أنت عملت أعمال الشياطين، وفعلت أفعال الخاسرين الهالكين وإذا أغضبك غيرك ولم تغضب، ودبرت بعقلك ورويتك، جعلت الناس أنصاراً لك على من أغضبك وكان الله تعالى معك، لأنك تخلقت بخلق من أخلاقه، لأنه ﷻ حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، وصبور وغفور وتواب وعفو، ومن كان الله يا بني معه فهل تعلم نفس ما يتفضل به عليه سبحانه من الخير الحقيقي، وما يمنحه سبحانه من الفضل العظيم؟

. يا بني: مداراة الناس بالفكر والتدبير والضمير لا باليد واللسان، وما ترك من

الحماقة شيئاً من قال لعدوه: إني أكرهك أو أنت عدوي فإنه يسلط على نفسه شيطاناً كان في حصون الحفظ منه، لولا تلك الكلمة، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [٣٤فصلت]. ولا تحزن قلب زوجة لك ولا خادم ولا ولد ولا دابة إلا في مقام أدب على ذنب موجب، وفي غير ذلك انصح نصيحة رحيم عطوف حكيم. والله تعالى يعينني وإياكم يا أقاربي وأولادي، على ما به ننال رضاه الأكبر، من العقيدة والعبادة والعمل والحال والأخلاق، ويجعلنا من العاملين بالسنة والكتاب، المجددين لمناهج رسول الله ﷺ، وممن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر))

وبعد هذه الوصايا أحسَّ الجميع بقرب مفارقته ﵁ لحياته الدنيا، ففصت العيون بالدموع، فنظر إليهم وقال لهم متمثلاً قول الإمام الغزالي ﵁:

قل لإخوانٍ يروني ميِّتاً ... ليس والله بالميت أنا
أنا عصفورٌ وهذا قفصي ... طرتُ منه إلى دار الهنا
لا تظنوا الموتَ موْتاً إنَّهُ ... لحياةٌ وهو غايات المنى
لا تَرُعْكُمْ هجمة الموتِ فما ... هو إلا نقلةٌ من ها هنا

وأخذ يسليهم بالعظات والملاحظات وكان آخر كلامه ﵁ هذه القصيدة التي يقول فيها:

مولاي أسرع بي إلى الوجه ... إني فنيت عن الأولاد والأهل
وزج بي في رياض القدس مشرقة ... أنوار وجهك بالغفران والوصل
إني فنيت عن الدنيا ولازمها ... وعن بني عن الأولاد والأهل
والدار دار غرور كلها ألمٌ ... قد تبتُ فاغفر لي يا واسع الفضل
مني سلامٌ على أهلي على ولدي ... أستودع الله من أبقيت بالفعل
مختار ريحانتي مهديَّة بنتي ... أرجو له ولها من فضله الكلي
كذا من مرضوني أرتجي لهم ... خيراً عميماً وحسنى واهب الطول
مني عليهم سلام الله أسأله ... أن يعطيهم خيرهم في الفعل والقول

مولاي أنت ولي والوكيل فكــن عوناً لهم يسرن يا ســيدي ســؤلي
كونوا مع الله في أدواركم فعسى أن تمنحوا فضله بــالحول والطــول

وشاءت إرادة الله أن يكون انتقاله ﷺ إلى جوار ربه في ليلة الإسراء والمعراج، وهي نفس الليلة التي ولد فيها، وكان ذلك في يوم السابع والعشرين من شهر رجب سنة ألف وثلاثمائة وست وخمسين من الهجرة النبوية الشريفة والموافق الثالــث مــن أكتوبر سنة ألف وتسعمائة وسبع وثلاثين ميلادية، عن عمر يناهز سبعين سنة، قضاها كلها في طاعة الله ﷻ.

وقد دفن ﷺ ببيته بناء على الوصية الخاصة التي وصى بها في ذلك، وتحول هذا المكان ببركته إلى مسجد كبير يشع منه النور والمعرفة والهدى إلى جميع المسلمين:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [٢٣الأحزاب].

زوجاته وأولاده

وقد تزوج ﷺ بالسيدة منتهى طلبة وأنجب منها أولاده:

- السيد أحمد ماضي أبو العزائم وقد توفي في ٢٠ ربيع الأول ١٣٩٠ هجرية الموافق ٢٦ مايو ١٩٧٠ ميلادية، ودفن بالمقصورة بجوار والده.
- والسيد محمد الحسن ماضي أبو العزائم وقد توفي عام ١٣٨٨ هجرية.
- والسيد عبد الله ماضي أبو العزائم وقد توفي عام ١٣٧٩ هجرية.
- والسيدة فتحية ماضي أبو العزائم وقد توفيت عام ١٣٩٠ هجرية.

ولما توفيت السيدة منتهى زوجته الأولى تزوج بالسيدة لبيبة محمــود ســلامة العطيفي، وكانت رحمها الله أحبَّ أهل الإمام إليه وأقربهن من قلبه، وقد توفيت أثناء ولادها لابنها شفيع، وبعد وفاها تزوج بالسيدة عزيزة السماحي وأنجب منها:

السيد مختار ماضي أبو العزائم.

- والسيدة مهدية ماضي أبو العزائم.

وقد رباهم جميعاً على طاعة الله وحسن عبادته، وغرس فيهم حب الجهاد في سبيله والعمل على إعلاء شأن دينهم فوفوا جميعاً بما عاهدوا الله عليه، فرضى الله عنهم أجمعين وأخلفهم في أولادهم بخير في الغابرين، وسلام على آل ياسين والحمد لله رب العالمين.

خاتمة

قد وفق الله وأعان على هذا العمل الذي لا يلائم جلالة قدر الإمام أبي العزائم ﷺ، ولا يحيط كل الإحاطة بآثاره العلمية، فضلاً عن أحواله الربانية ومشاهده القدسية، فهو كما قال ﷺ:

أنا طلسم لا يدريني إلا أنا خاف وأوصاف لذاتي بادية

ويصف حال قربه فيقول:

أنا غارق في بحر نور مطلق لا بر يحصرني ولا ملاح
من رام يعرفني تجرَّد عن سوى نص الشريعة إن أراد فلاح
النور محظور على أهل الهوى والحظ بادر نعطك الأقداح

وقد أدرك هذه الحقيقة الدكتور مصطفى محمود عندما قرأ بعض آثاره العلمية وكتب عنه كتابه ((**السر الأعظم**)) وقال فيه عن الإمام أبي العزائم:

((وهو في نظري كنزٌ لم يكتشف بعد، وقطبٌ ينافس الفحول علماً وسلوكاً، وشعره رموز عرفانية عالية يفهم منها كل واحد على قدر حظه، وما قدمناه من علم الرجل ما هو إلا نقطة في بحر)).

وما كتبناه هنا على قدر ضعفنا وعجزنا لا على قدر مولانا الإمام أبي العزائم

ﷺ، ونلمح إلى أن ما ذكرناه في هذا الكتاب من حكايات غير المذكورة في المراجع العلمية التي أثبتناها فإنما تلقيناها سماعاً، إما من أهلها الذين حدثت معهم:

- كالشيخ عبد الحميد سري (القاهرة).
- والشيخ عرفات الجمال.
- والشيخ أحمد الجمال.
- والشيخ علي عطية (برج البرلس - كفر الشيخ).
- والشيخ محمد أبو شريف.
- والشيخ الجنيد (المنيا).

و سمعناها ممن عاصروا الإمام في حياته وهم:

- الشيخ قطب زيد (القن مركز سيدي سالم - محافظة كفر الشيخ).
- والشيخ محمد شحاته.
- والشيخ عبد القادر مسعود (كفر الشيخ).
- والشيخ محمد عامر (بني سويف).
- والشيخ عبد السلام شتا (القاهرة).
- أو ممن تربوا على مائدة الإمام أبو العزائم منذ نعومة أظفارهم خاصة منهم:
- السيد عز الدين ماضي أبو العزائم حفيد الإمام.
- والشيخ طاهر محمد مخاريطه لسان حال الإمام.
- وفضيلة العارف بالله تعالى الشيخ محمد علي سلامة رضى الله عنه،وإليه يرجع الفضل في معظم الحكايات التي أوردناها في هذا الكتاب خاصة منها ما يتعلق بالسودان حيث أنه قد زار الإخوان السودانيين وسمع من المعاصرين للإمام منهم هذه الحكايات ونقلها إلينا .

وفي الختام نقول كما قال العماد الأصفهاني ((إني رأيت أنه لا يكتب أحداً كتاباً في يومه إلا وقال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر)).

ونقول أيضاً كما قال الإمام الشافعي ﷺ حينما راجع كتابه ((الأم)) سبعين مرة وفي كل مرة يكتشف فيه أخطاء جديدة فقال في النهاية ((أبى الله أن يجعل كتاباً خالياً من الأخطاء إلا كتابه الكريم)) فمن قرأ هذا الكتاب ووجد فيه عيباً أو خطأ أو خللاً فليستغفر لكاتبه ويسأل الله ﷻ له العفو والغفران.

فإن تجد عيباً فسد الخللا — فجل من ليس فيه عيب وخلا

وإن وجد فيه توفيقاً وفضلاً فلينسبه إلى الله ﷻ وليردد قوله سبحانه ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [٥٣النحل].

هذا وأدعو الله ﷻ أن يوفق إخواني الصالحين الذين قاموا بطباعة هذا الكتاب ونشره للمسلمين حسبه لوجه الله الكريم وأن يرزقهم الله ﷻ السكينة والرضا ويبلغهم مقامات الواصلين ومنازل العارفين ويجمعنا وإياهم على سيد الأولين والآخرين في معيته الدائمة في الدنيا وتحت لواء شفاعته يوم الدين.

وهذا أوان الفراغ من كتابة هذا الكتاب المبارك في ليلة الجمعة الثالث عشر من شهر جمادي الآخرة ١٤١٢ هجرية الموافق ١٩ ديسمبر ١٩٩١ ميلادية.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴾

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه
فله سبحانه وتعالى الشكر والمنة

المراجع

- القرآن الكريم.
- كتب الصحاح في الأحاديث الشريفة ومراجعه.
- مؤلفات الإمام أبي العزائم (المطبوعة).
- مواجيد الإمام أبي العزائم (مخطوطة).
- الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين، الشيخ محمد علي سلامة.
- أيام الله، الشيخ محمد علي سلامة.
- شرح الفتوحات في الصلاة على خير البرية، الشيخ محمد علي سلامة.
- الإمام محمد ماضي أبي العزائم (حياته – جهاده – آثاره) للأستاذ/ عبد المنعم شقرف – جمعية أولوا العزم الدينية بالقاهرة.
- أبو العزائم وأثره في التصوف الإسلامي – عبد المنعم شقرف (مكتبة الكليات الأزهرية).
- إحياء علوم الدين – للإمام الغزالي – دار الشعب.
- معارج القدس في مدارج معرفة النفس – الإمام الغزالي – مكتبة الجندي.
- الفتوحات المكية – محي الدين بن عربي – طبعة دار صادر – بيروت.
- حلية الأولياء، الأصفهاني، طبعة السعادة.
- السر الأعظم للدكتور مصطفى محمود – طبعة دار المعارف.
- الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية – لابن عجيبة – الحلبي.
- شرح الحكم العطائية لابن عجيبة – الحلبي.
- مكانة التصوف والصوفية في الإسلام – محمد عبد الشافعي (دار الناشر العربي).
- الطرق الصوفية في مصر – د. عامر النجار – دار المعارف.
- التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً – د. كمال جعفر – دار الكتب الجامعية.
- الطبقات الكبرى للإمام الشعراني – دار الفكر العربي.
- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية – للإمام الشعراني (دار جوامع الكلم).
- درة الأسرار – لابن الصباغ، طبعة السعادة.
- المفاخر العلية في المآثر الشاذلية – ابن عياد – الحلبي.
- سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونيين – النبهاني.
- جامع كرامات الأولياء – النبهاني، الحلبي.
- قوت القلوب – أبي طالب المكي – دار صادر – بيروت.
- الرسالة القشيرية – تحقيق د. عبد الحليم محمود – دار الكتب الحديثة.
- الدعوة إلى الإسلام – سير توماس أرنولد – النهضة المصرية.
- وغيرها من المراجع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



نبذة عن المؤلف الأستاذ
فوزى محمد أبوزيد

۞ تاريخ ومحل الميلاد: ١٨/١٠/١٩٤٨م ، الجميزة – مركز السنطة – الغربية

۞ المؤهل: ليسانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

۞ العمل: مدير عام بمديرية طنطا التعليمية.

۞ النشاط : ١- يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة ،ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.

٢- يتجول فى جميع أرجاء الجمهورية، وفى الأقطار العربية والإسلامية وغيرها؛ لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣- بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام .

٤- والتسجيلات الصوتية و الوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس على الشرائط و الأقراص المدمجة.، ٥- وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت:

WWW.Fawzyabuzeid.com

۞ دعوته :

١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامى وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم .

٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام .

۞ هدفه :

إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية وترسيخ المبادئ القرآنية. وصلى الله على سيدنا محمد على آله و صحبه وسلم



قائمة مؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

أولا : من أعلام الصوفية

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط) ٢- الشيخ محمد على سلامة سيرة وسريرة.
٣- المربى الربانى السيد أحمد البدوى ٤- شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى

ثانيا : الدين والحياة :

٥- زاد الحاج و المعتمر (٢ط) ٦،٧- نفحات من نور القرآن ج١، ج ٢، ٨- مائدة المسلم بين الدين و العلم، ٩- نور الجواب على أسئلة الشباب، ١٠- فتاوى جامعة للشباب، ١١- مفاتح الفرج (٦ط) (ترجم للأندونسية)، ١٢- تربية القرآن لجيل الإيمان، (ترجم للإنجليزية والأندونسية)، ١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام ١٤- كيف يحبُّك الله (تحت الترجمة للأندونيسية)، ١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (تحت الترجمة للأندونيسية)، ١٦- المؤمنات القانتات، ١٧- فتاوى جامعة للنساء، ١٨- قضايا الشباب المعاصر

الخطب الإلهامية : المجلد الأول : المناسبات

١٩- ج١: المولد النبوى، ٢٠- ج٢: الإسراء و المعراج، ٢١- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران، ٢٢-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر، ٢٣- ج٥ : الحج و عيد الأضحى، ٢٤- ج٦ : الهجرة و يوم عاشوراء.

ثالثا : الحقيقة المحمدية :

٢٥- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣طبعات). ٢٦- الرحمة المهداة. ٢٧- إشراقات الإسراء-ج١(٢ط)، ٢٨- إشراقات الإسراء (ج٢)، ٢٩- الكمالات المحمدية ٣٠- واجب المسلمين المعاصرين نحو الرسول ﷺ (ترجم للإنجليزية وجارى نشره بالموقع بعد تطويره وتحديثه).

رابعا : الطريق إلى الله :

٣١- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ترجم للأندونسية)،

٣٢- أذكار الأبرار، ٣٣- المجاهدة للصفاء و المشاهدة، ٣٤- علامات التوفيق لأهل التحقيق، ٣٥- رسالة الصالحين، ٣٦- مراقي الصالحين، ٣٧- طريق المحبوبين و أذواقهم، ٣٨- كيف تكون داعياً على بصيرة.

خامسا : دراسات صوفية معاصرة :

٣٩- الصوفية و الحياة المعاصرة، ٤٠- الصفاء والأصفياء، ٤١- أبواب القرب و منازل التقريب ٤٢- الصوفية فى القرآن والسنة (٢ط) (ترجم للإنجليزية) ٤٣- المنهج الصوفى والحياة العصرية ٤٤- الولايـــة والأوليـــاء ٤٥- موازين الصادقين، ٤٦- الفتح العرفانى، ٤٧- النفـــس وصفها وتزكيتها.

سادساً: سلسلة شــفاء الصدور

٤٨- مختصر مفاتح الفرج (٢ط)، ٤٩- أذكار الأبرار (٢ط)، ٥٠- أوراد الأخيار (تخريج وشرح).٥١- علاج الرزاق لعلل الأرزاق ٥٢- بشـــائر المؤمن عند الموت، ٥٣- أسرار العبد الصالح وموسى عليه السلام. ٥٤- مختصر زاد الحاج والمعتمر

سابعاً: تحت الطبع للمؤلف :

السلسة		إسم الكتاب
١- من أعلام الصـــوفية	:	الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى
٢- دراسات صــوفية معاصرة	:	حقائق التصوف النقيّ
٣-	:	ســـياحة العارفين
٤- الحقيقة المحمديـــة	:	الصلوات الإلهاميّـــة
٦- الطريـــق إلى الله	:	طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ط٢)
٧-	:	الحكم الإلهاميّة
٨- الدين والحيـــاة	:	الخطب الإلهامية: المجلدالأول: المناسبات (ط٢،إقتصادية)

الفهرست

للحصول على مؤلفات الأستاذ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهرة
المجلد العربي	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ ش جوهر القائد، الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام، ميدان الحسين،
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ ش الشيخ ريحان، عابدين
دار الأحمدي للنشر	٢٥٧٤٠٥٠٣	٤٠ طلعت حرب أمام سينما مترو
جوامع الكلم	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفر، الدراسة
نفيسة العلم	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة بجوار المسجد
المكتب المصري الحديث	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ ش شريف
دار الإنسان	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ ش التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة نصر	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، ش النصر مدينة نصر
النهضة المصرية	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ ش عدلى جوار السنترال
هلا للنشر والتوزيع	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ ش دحجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة الفاطمية	٠١٨٥٢٠٠٨٤٦	ميدان الأزهر، أمام الباب العباسي
أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ ش جوهر القائد- الأزهر
الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ ش الصنادقية بالأزهر
الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ش د.أحمد أمين، مصر الجديدة
مكتبة عبادة	٠٥٥٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق — ش نور الدين
		الإسكندرية
كشك سونا	٠١٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
معرض الكتاب السكندرى	٠١٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد سعيد موسى	٠١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر

مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشيرأحمد إسماعيل، سيدى جابر
		الأقـــــــــاليم
كشك عبدالحافظ محمد عبدالحافظ	--------	الزقازيق، بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا أمام السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا، ٩ ش سعيد مع شارع المعتصم - أمام كلية التجارة
مكتبة الإيمان	--------	فايد- الحاج أحمد غزالى بربرى
كشك الصحافة	---------	السويس- شارع الشهداء، الحاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	٢٣٢٧٥٩٩-٠٩٣-	سوهاج- ش احمد عرابي، أمام التكوين المهنى
كشك أبو الحسن	٠١٦٩٥١٨٦١٦	قنا - أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
دار الأحمدي للنشر	-٠٦٨- ٢٣٤٧٨٠٢	المنيا، أبراج الجامعة، أمام الشبان المسلمين

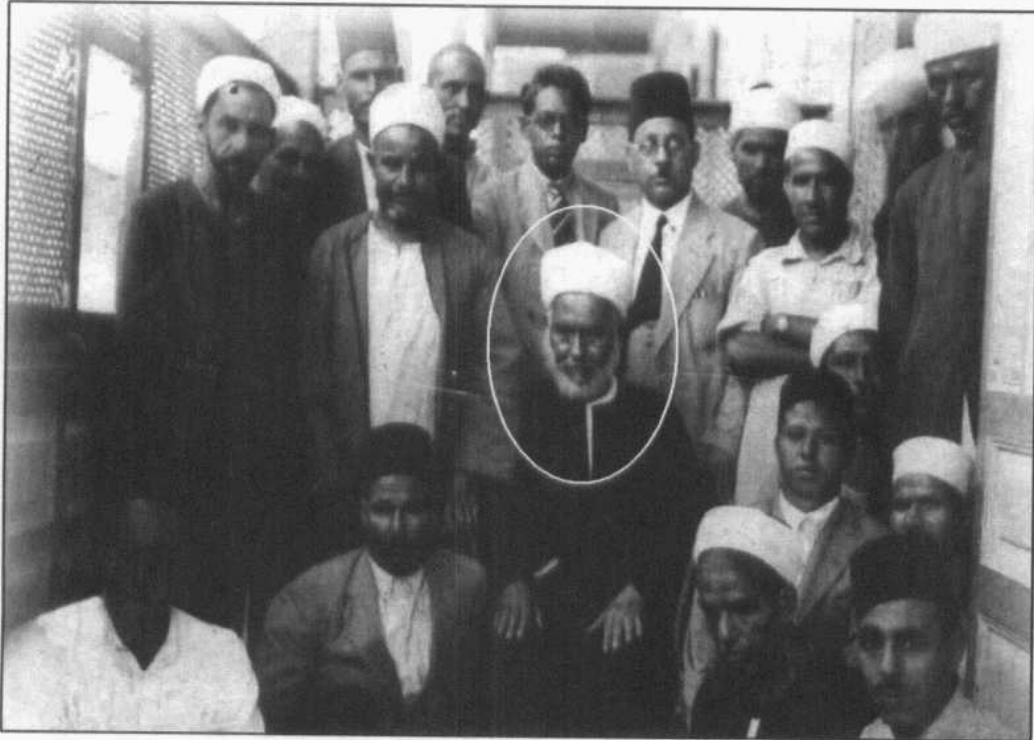
أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار للتوزيع و دار الشعب والدور القومية للتوزيع والنشر ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والجيزة والأسكندرية والمحافظات.

ويمكن الإطلاع إليكترونيا على نبذة مختصرة عن المؤلفات مع المقدمة والفهرست على أكبر موقع علمى للكتاب العربى على الإنترنت

www.askzad.com

كما يمكن تنزيل الكتب إليكترونيا بشروط الموقع.

=========== تمَّ بحمد الله وتوفيقه ===========





من صور الإمام أبى العزائم ﷺ فى وسط إخوانه